كلية الكوت الجامعة
مركز البحوث والدراسات والنشر

الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

خطيباً مُفوّهاً

دراسةٌ فنيةٌ تحليليةٌ

جمع وشرح وتوثيق
الاستاذ الدكتور عبد اللطيف حمودي الطائي

الطبعة الثانية
مزيدة ومُنقّحة

٢٠٢٣م ١٤٤٥ هـ
بغداد

منشورات

مركز البحوث والدراسات والنشر

كلية الكوت الجامعة

٢٣٩ /٣

ط ٢٩٩ الطائي، عبد اللطيف حمودي.

الإمام الحسن عليه السلام خطيبا مفوها/ عبد اللطيف حمودي الطائي. – ط١. – بغداد: مطبعة الرفاه، ٢٠٢٣م.

٢٦٢ ص؛ ٢٤ سم

١. الحسن بن علي بن ابي طالب (ع) -(الامام الثاني)

٢. اهل بيت النبي – أ. العنوان

م. و.

٤٧٨٨ /٢٠٢٣

المكتبة الوطنية / الفهرسة اثناء النشر

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

٤٧٨٨ لسنة ٢٠٢٣م

ISBN: 978-9922-685-68-7

ملاحظة

مركز البحوث والدراسات والنشر في كلية الكوت الجامعة غير مسؤول عن الافكار والرؤى التي يتضمنها الكتاب والمسؤول عن ذلك الكاتب او الباحث فقط.

Al-Kut University College Printing Press

مطبعة كلية الكوت الجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم

{إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ
ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}

سورةُ الأحزابِ ؛ الآية : ٣٣

الإهـــداء :

الى سيدي ومَولاي رسول الله مُحمّدٍ عليهِ أفضل الصلاةِ والسلام .

والى سيدي ومَولاي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهِ أفضل الصلاة والسلام .

والى سيدتي ومولاتي فاطمة الزهراءِ البتولِ عليها السلام .

والى سيدييَ سبطيْ الرحمةِ الإمامين الحَسنِ والحُسينِ عليهما السلام .

مقدمة الكتاب :

الإمامُ الحَسنُ المُجتبى عليه السلام ، غنيٌ عن التعريف ، والمُعرفُ لا يُعرف ، ومع ذلك فهوَ السبطُ الأول ، والسبطُ الأكبر ، لرسولِ الله مُحمَّدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فضلًا عن كونهِ هو الابنُ البِكر لأمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب ؛ والسيدة فاطمة الزهراء عليهما السلام ، نشأ الإمام الحَسن مع أخيه الإمام الحُسين عليهما السلام في كنفِ جدِّهما رسول الله ، وفي رعايته ، وتربيا في حجره ، فتعلما منه كلَّ شيءٍ ، إذْ كان النبيُ يحبُهما حُبًّا كبيرًا ، وهو متعلقٌ بهما ، إذْ كان يستدعيهما الى حُجرته يُلاعبهُما ويُداعبهُما ويُقبلُهُما ، لأنَّ الله سبحانه وتعالى أخبرهُ أنَّ الحَسنَ والحُسينَ هُما سيدا شباب أهل الجنةِ طُرًا ؛ ما خلا رسولُ الله مُحمَّدٌ وعليٌ وفاطمةٌ ، ومن ثُمَ أنَّ اللهَ جلتْ قدرته ، اختارهُما ليكونا إماما هذه الأمة من بعد جدِّهما وأبيهما، فهما امتدادٌ طبيعيٌ لهُما ، فهما غُصنا هذه الشجرة الطيبة المباركة ، فقد قال النبيُ في الحديثِ القدسي : (الحَسنُ والحُسينُ إمامان إنْ قاما أو قعدا) ، وبصورة أخرى إذا استلما مقاليد إدارة الدولة الإسلامية ، فهما الإمامان الشرعيان ، أو أُبعِدا عنها بعد انقلابِ قُريشٍ وعصابتها عليهُما ، سيقبيان هما الإمامان الشرعيان المنصبان من الله سبحانه وتعالى ، وويلٌ لمن دفعهُما عن مراتبهُما التي رتبها الله لهُما ، فسيلقى اللهَ بوجهٍ أسودٍ ، وسيؤولُ مصيرُهُ الى نارِ جهنمَ خالدًا فيها أبدًا ، كان النبيُ مُحمَّدٌ قد أشار الى إنَّهُما سيتعرضانِ من بعدهِ الى مصاعبٍ جمةٍ يشيبُ لها الوليد ، فضلًا عن محاربةِ زعماءِ قُريشٍ لهما ، وبني أمية لهُما على وجه الخصوص ، تنتهي بسمِّ الإمام الحَسنِ ، ومقتل الإمام الحُسينِ ، ومع كلِّ ما تعرضا له من محاربةٍ وتضييقِ الخناقِ عليهما ، إلا أنَّهُما أديا ما عليهما من تكليفٍ بصبرٍ وتضحيةٍ كبيرين ، وتكفي الإشارة الى واقعةِ الطفِ الأليمةِ التي يندى لها جبينُ الانسانية ، فقد ضحى الإمام الحُسين عليه السلام من أجل أنْ تبقى سارية الإسلام عالية ، بكلِّ ما يُملكُ من أولادٍ وأخوةٍ وأبناءِ عمومةٍ وأصحابٍ ومالٍ ، وتوجَ تلك التضحيات بنفسه الشريفة ، فقال عزَّ من قائل : {يا أَيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَةُ ۞

ارجِعِي الى رّبِّكَ راضِيَةً مَرْضِيَةً ۞ فأدْخُلي في عِبَادي ۞ وادْخُلي جَنَّـتِي} ؛ فقد أرادوا استئصال ذرية رسول الله .

فالحَسن والحُسين هما من البيت الذي طهرَهُ الله من الأرجاسِ والأدناسِ في قوله تعالى : { إنَّما يريدُ اللهُ ليذهبَ الرجسَ عنكم أهلَ البيتِ ويطهركم تطهيراً} ، وقد أكدَ النبيُ مُحمّدٌ أنَّ أهلَ بيته هُم : عليٌ وفاطمةُ والحَسنُ والحُسينُ ، وذلك في حديثِ الكساء ، فضلًا عن آيةِ المودةِ الكريمة ، التي جاءتْ في القرآن الكريم على لسانِ رسول الله مُحمّدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم) في قوله تعالى : { قُـلْ : لا أسئلكُم عليه أجراً إلا المودةَ في القُربى } ، فقالوا لهُ من القُربى ؟ قال : عليٌ وفاطمةُ والحَسنُ والحُسينُ ، فالحَسنُ هو رابعُ أهل الكساء ، وثاني أئمة الهُدى من أهلِ البيتِ بعد أبيه الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام.

الإعلام الأموي ومن بعده الإعلام العباسي الخبيثين المعاديين والمنحرفين عن أهل بيت النبي الذين هُم عدل القرآن في حديث الثقلين (إنّي تاركٌ فيكم الثقلينِ كتاب الله ؛ وعترتي أهل بيتي) ، وبعد أنْ رأوْا أنَّ الإمامَ جعفر الصادق عليه السلام قد حثَّ محمد بن اسحق، وهو من علماء المدينة المنورة ، على جمع سيرة سيد الكونين وكتابتها لتطلع عليها الأجيال اللاحقة ، لتعرف من هو رسول الله ؟ وما كادت السيرة التي كتبها محمد بن اسحق أنْ ترى النور حتى تصدى لها الإعلام العباسي المعادي بعنفٍ وقوةٍ ، وأمروا ابن هشام أنْ يكتب سيرة جديدة بدلًا عنها ؛ على أنْ تكون وفق هواهم ، وما يريدون ، فلم يجد ابن هشام أمامه إلا سيرة ابن اسحق فاتكأ عليها ، وأعتمدها بعد أنْ حذفَ منها كلَّ ما يتعلق بمآثر أهل البيت ، وعلى وجه الخصوص مآثر الإمام علي بن أبي طالب والحَسن والحُسين عليهم السلام ، وظهرت سيرة ابن هشام بنسخة جديدة محرفة عن السيرة التي كتبها ابن اسحق ؛ وذلك بعد أنْ كتبت على وفق ما يريده الحكم العباسي المعادي لأهل البيت ، لتُرضي السيرة الجديدة أسيادهُ حكام بني العباس ، وكادت سيرة ابن هشام أنْ تطمسَ مآثرَ الإمام علي وأولاده ، لولا الطبري في تاريخه ، والكُلَيْني في الكافي ، وحفظهما لفضائل الإمام علي وأولاده لطمستْ السيرة ،

وضاع منها الكثير ، وهذا ما كان يهدفُ إليه الإعلام العباسي الضال ، فضلًا عن قيامهم بالتضليل وطمس حقيقة صُلح الإمام الحَسن عليه السلام مع معاوية ، وصوروه للمسلمين على أنَّ الإمام الحسن كان على خلافٍ مع أبيهِ وأخيهِ ، وأنَّهُ باع الخلافة بخرقٍ ودنانيرٍ ، لأنَّهُ غيرُ مؤهلٍ للخلافة ، فضلًا عن كونه شهواني مزواج ومطلاق ، تزوج أكثر من مئة مرة ، وقالوا : إنَّ صُلح الحَسن عليه السلام مع معاوية من العيوب التي يُوآخذ عليها الإمام الحسن .

قامت الدكتورة رباب صالح حسن بجمع خطب الإمام الحَسن عليه السلام في كُتيبٍ صغيرٍ حملَ عنوان (خطبُ الإمام الحَسن : جمع ودراسة) ، فوجدتُ كتابها لا يفي بالغرض المطلوب ، على الرغم من القيمة الكبيرة للكتاب والتي تمثلث في جمع أقوال الإمام الحَسن وخطبه في مكان واحد ، ولابد من الإشارة إلى أنَّها تغافلت عن مناظراته مع بني أمية ، وعن أقواله الأخرى ، والمناظرات ذات قيمة كبيرة ، لأنَّها فضحت الأمويين وبينت للمسلمين ضعف إيمانهم ، وأنَّهم غير جديرين بالخلافة ، فيما كتب الأستاذ الدكتور مهدي صالح سلطان الشمري كتابًا آخر حمل عنوان (خطبُ الإمام الحَسن : دراسة لغوية) ، الكتابُ قيم جداً ، فقد سدَّ ثغرةً في مكتبة أهل البيت عليهم السلام ، إلا أنَّهُ كان يصبُ في خدمة المتخصصين أكثرُ مما كان يصبُ في خدمة عامة القراء والناس ، وهذا ما شجعني على كتابة هذا الكتاب الماثل بين يديْكم الكريمة ، وكتابي يتكون من ثلاثة أقسام هي:

١- القسم الأول : أقواله العامة التي كان يقولها في المسجد ، وإجابته لمن يسأل ، وهو جالسٌ بينهم وليس على المنبر.
٢- القسم الثاني : مناظراته مع من كانوا يحملون لهُ ولأبيهِ وأخيه الحقدَ والحسدَ والبغضَ والكراهية من بني أمية وغيرهم .
٣- القسم الثالث : خطبه التي القاها من على المنبر في حياة أبيه وبعد استلامه مقاليد الإمامة .

فقمت بدراسةٍ مبسطةٍ وشرحٍ لكلِّ قولٍ أو مناظرةٍ أو خطبةٍ ، وقمتُ بتفكيكها الى مكوناتها الرئيسة ، لأصل من خلال ذلك الى هدفها

المقصود منها ، فوجدتُ أنَّ كلَّ ما قاله الإمام الحسن عليه السلام ينبعُ من مصدر واحد هو القرآن الكريم ، ولا عجب في ذلك ، فهو قرآنُ اللهِ الناطق ، وقبل الختام لابد من القول : إنَّ كتاب الدكتورة رباب ، وكتاب د. مهدي صالح سلطان ، قدما لي خدمة كبيرة ووفرا لي وقتاً كبيراً للتفرغ للكتابة ، وقد أخذتُ من الكتابين بعض عنوانات الخطب ، فشكراً لهما ، وقد رتبت الأقوال والمناظرات والخطب ترتيبًا تاريخيًا حسب قدمها قدر الإمكان ، وأتمنى أنْ ينال الكتاب رضا الله ورسوله وأهل بيته والقارئ الكريم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الأستاذ الدكتور عبداللطيف الطائي
٤ / ١٢ / ٢٠٢٣م

الإمام الحسن المجتبى (ع) خطيبًا مفوهًا
دراسة فنية تحليلية

الخطابةُ هي إحدى أهم السُبل التي انتهجها الرسول الكريم مُحمّد (صلى الله عليه وآله السلم) ، واتخذها مركبًا في دعوته لنشر الدين الإسلامي الحنيف ، وذلك حينما كان يستقبل وفود القبائل العربية في موسم الحج ، ويخطب فيهم عارضاً عليهم دين الاسلام لتوحيدهم بعد فرقة ، ويؤلفُ بين قلوبهم بعد فرقة ، ويخرجهم من الظلمات الى النور ، ذلك لأنَّ الخطابة هي أرفع فنون القول البشري درجةً ، وهي أسمى درجةً من الشعر وأرفع ، بدلالة أنَّ الله سبحانه وتعالى ؛ ارتضى لنبيه الكريم مُحمّدًا عليه الصلاة والسلام ، أنْ يكون خطيبًا ، ولم يرتضِ له ؛ أنْ يكون شاعرًا فضلًا عن ذلك أنَّ الخطابة تمثلُ منبر علية القوم من الملوك والرؤساء والقادة والفرسان ووجوه القبائل والمجتمعات ، أما الشعر فهو لعامة الناس، يشترك فيه العُقلاء منهم ، والمجانين والحمقى ، مثلما يشترك فيه علية القوم وسوقتهم ، فمن هذا المنطلق ، كان النبيُ مُحمّدًا خطيبًا مفوهًا لا يدانيه خطيب ولا يجاريه ، ومن بعده أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب وولديه الإمامين الحسن والحسين صلى الله عليهم وسلم .

فالخطابةُ إذاً : هي فنُ الاقناع بالكلام المباشر ، وهي من الكلام المنثور المباشر ، ربمّا يكون مسجوعاً (١) ، والخطابة تمثلُ لسان الأشراف ورؤساء القبائل وعلية القوم قبل الإسلام ، إذ كان الخطيبُ يلقى خطبته بشكلٍ مباشرٍ في جمعٍ من الناس ، من على ربوةٍ من الأرض ، أو من على ظهر راحلته ، لكي يراه الناس ، ولما اشرقت شمس الإسلام اتخذ النبي مُحمَد الخطابة مركبًا ليوصل به الى الناس ما أرسل به ، ولكي يصل صوت الحق وينتصر ، ويخفت صوت الباطل وينتهي ، وذلك عن طريق ما يوحى إليه من القران الكريم ، وما يقوم بإلقائه من الخطب لينير الطريق للناس ليخرجوا من الظلمات الى النور ، فقد عرف العرب الخطابة منذ العصر الجاهلي ، إذ كانت معروفة ومنتشرة ، وهي تتميز بالقصر النسبي، وسبب ذلك يعود الى أنَّ العرب كانت تميل الى الايجاز ، مفضلةً إياه على الاطناب ، لأنَّ الايجاز يوصل الفكرة الى المُتلقي بأقصر الجمل وبأقل الكلمات ، ويجب أنْ تتميز الخطبة بفصاحة الكلمات ، وجزالة الالفاظ ، ووضوح المعاني مع قوة التأثير في السامعين وشد سمعهم الى الخطيب ، ولفت انتباههم لما يريد قوله للمستمعين ، لذلك قالوا ((خيرُ الكلامِ ما قلَّ ودلَّ)) ، وكذلك رغبتهم في

حفظ الخطبة وتداولها ، لأنَّ الخطبَ القصار أجولُ في المحافل والمجالس ، وأسرع في الانتشار بين الناس ، فقد سُئِلَ أبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ) شيخ مدرسة البصرة ، وأحد القراء السبعة (٢) : (هل كانت العرب تطيل ؟ قال : نعم ليسمع منها ؛ قيل : هل كانت توجز ؟ قال : نعم ليحفظ عنها) ؛ فيما قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (٣) : (يُطوَلُ الكلام ويكثر ليُفهم ؛ ويُوجز ويُختصر ليحفظ) ، والشاعر في الجاهلية في أول الأمر كان أرفعُ منزلةً من الخطيب ، لحاجتهم الى الشعر في تخليد مآثرهم ، وشدة العارضة ؛ وحماية العشيرة ؛ وتهيبهم عند شاعر غيرهم من القبائل ، فلا يقدم عليهم أحدًا خوفًا من شاعرهم على نفسه وقبيلته ، ولما تكسبوا بالشعر وجعلوه طُعمةً ، وتولوا به الأعراض وتناولوها ، صارت الخطابة فوقه (٤) ، وأعلى منه درجةً ومنزلةً ، ذلك لأنَّ الشعر لعلية القوم وسوقتهم ، والخطابة مخصوصة لعليتهم؛ لا يشاركهم فيها السوقة ، لأنَّ السوقة تتكون من مشاربٍ شتى ، بين رجلٍ وضيعٍ ورجلٍ عفيفٍ ورعٍ ، أما الخطابة فلا يركب مركبها إلا من كان على خلقٍ رفيعٍ ، ومنزلةٍ عاليةٍ ، ومن هذا المنطلق كان رؤساء القبائل العربية يفخرون بأنَّهم خطباءُ مفوهون ، فهذا قيسُ بن عاصم المنقري سيد قبيلة تميم ورئيسها في الجاهلية والإسلام يقول (٥) :

إنّي امروٌ لا يعتري خُلقي	دنسٌ يفندهُ ولا أفــــــــنُ
من منقرٍ في بيتِ مكرمةٍ	والأصلُ ينبتُ حولهُ الغصنُ
خطباءُ حينَ يقومُ قائلُهــم	بيضُ الوجوهِ مُصاقعٌ لســنُ
لا يفطنون لعيبِ جارِهـم	وهُمُ لحفظِ جوارِهم فُطُــــنُ

والأفن هو الرجلُ الضعيف القول ، الذي لا يحسن أنْ يوصل فكرته وما يريد قوله ، وأما المصاقع اللسن : فهم الرجال البلغاء الفصحاء المتكلمين الذين يجيدون فن القول ، ويحسنون التعبير وتوصيل أراءهم وأفكارهم بأسلوب سلس ورصين ، وهذا عمرو بن الإطنابة الخزرجي يصف خطيب قومه فقال (٦) :

إنّي من القومِ الذينَ إذا انتدوا بدأوا بِبِرّ اللهِ ثُـمَ النائـــلِ
القائلينَ فلا يُعابُ خطيبُهـــم يومَ المقالةِ بالكلامِ الفاصلِ

وللخطيب شروط ومواصفات يجب أنْ تتوافر فيه ، لكي يجذب الناس الى سماع خطبته وأنْ ينصتوا اليها ، ومن أهم هذه الشروط ، هي يجب أنْ تكون له مكانة اجتماعية رفيعة ، وشانٌ عالٍ في مجتمعه وبين قومه وغيرهم، وأنْ يكون سريع البديهة فضلًا عن كونه كريمًا جوادًا ، ومن ذوي الحجا والراي ، حليماً عفيفاً ذا مظهرٍ كريمٍ ، ولابد للخطيب من هدف سامٍ ينشدهُ ، وفكرة سديدة نافعة يريد أنْ يعرفها الناس ، مع امتلاكه مقومات الحجة والدليل والبرهان على صحة أفكاره ، والخطب والى زمن قريب تلقى ارتجالًا وبطريقة عفوية خالية من اللف والدوران ، فالخطيب كان يدخل في غرض خطبته مباشرة ، وكلِّ هذه المواصفات وأكثر توافرت في رسول الله محمّد وأل بيته الطيبين الطاهرين الكرام ، فالرسول الكريم كان خطيباً مفوهاً لا يجاريه خطيب في مضمار الخطابة العربية ؛ وكذلك كان أمير المؤمنين خطيباً مفوهاً على شاكلة رسول الله ، وكذلك كانت السيدة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين خطيبةً مفوهةً صمت بصوتها اذان التاريخ حينما القتْ خطبتها العصماء في مجلس ابن ابي قحافة ، فزلزلتْ الأرضَ تحت قدميه ، وكذلك كان الحَسن والحُسين خطيبين مفوهين .

في الإسلام كان للخطابة الحظ الأوفر من الدين ، لأنَّ الخطبة هي عماد الدين في الأعياد والجُمُعات والجماعات (٧) ، وهذا الكتاب سيكون مختصاً بخطب الإمام الحَسن المجتبى بن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام مع مناظراته وما بقي من أقواله ، في دراسة فنية تحليلية لخطبه التي القاها في مناسبات متعددة ، وقالها في مجالس كثيرة ، فالحَسن عليه السلام خطيبٌ مفوهٌ طلقُ اللسان ، لا عيٌّ عنده ولا حصر ، يخطب بانسيابية وسلالة ، بألفاظٍ فخمة دالة على المعاني المرادة منها ، فخطبه تصل الى القلوب والعقول بانسيابية كبيرة ، ولا توجد في معجم الفاظه كلمة نابية تخدش الحياء مطلقًا ، فهو ربيبُ مُحمّدٍ وعليٍ ؛ فقد ذكر ابن منظور في كتابه : مختصر تاريخ دمشق ، نقلاً عن عُمير بن اسحاق قوله (٨) : (ما تكلم عندي أحدٌ ؛ كان أحبُ إليَّ إذا تكلم ألا يسكت من الحَسن بن علي ، وما سمعت منه

كلمة فُحش قط إلا مرة ، فإنَّهُ كان بين الحَسن بن علي ؛ وعمرو بن عثمان بن عفان خصومة في أرضٍ ، فعرض الحُسين أمرًا لم يرضَ به عمرو ، فقال الحَسن : فليس لهُ عندنا إلا رغمَ أنفه ، قال فهذه أشدُ كلمةُ فُحشٍ سمعتها منه) ، فالحَسن مثل جده وأبيه وأخيه أدبهم القرآن الكريم لذا فكلِّ ما يحمله الحَسن من أفكارٍ ومعانٍ هي تتناص مع القران الكريم ؛ والحديث الشريف ؛ أما لفظاً أو معنىً ؛ ذلك لأنَّ الحَسن عليه السلام تربى في حجر الرسول ؛ وهو هو عدل القرآن الكريم ، وهو القرآن الناطق ، إذاً من هو الإمام الحَسن المجتبى عليه السلام ؟

نبذة موجزة ومختصرة عن سيرة الإمام الحسن المجتبى :

هو الحَسنُ بن علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي ، يُكنى أبا مُحمَّدٍ ، ويلقب بالمجتبى ، والحسن المجتبى قصيرُ النسبِ ، وقصير النسب تعني أنَّه يعرفك بنسبهِ دون عناء ، فبمجرد أنْ تقول الحسن، سيذهب فكرك الى السبط الأول ، أو السبط الأكبر لرسول الله مُحمّد ، وهو ابن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، وأمهُ الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء بنت النبي مُحمّد (صلى الله عليه واله وسلم) ، وهي سيدة نساء العالمين من الأولين والاخرين ، فضلًا عن كونها سيدة نساء أهل الجنة ، كان مولد السبط الحَسن في الخامس عشر من شهر رمضان المبارك من السنة الهجرية الثالثة (٩) ، وحينما ولدت فاطمة (عليها السلام) الحَسن (عليه السلام) ، قالت لعلي (عليه السلام) سمه ، فقال : ما كنتُ لأسبقَ باسمه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فجاء رسول الله ، وقال : يا أسماء هاتي ابني ، فدفعته إليه في خرقة صفراء ، فقال : يا أسماءُ ألم أنهكم أنْ تلفوا المولود في خرقة صفراء ؟ ثُّم رمى بها وأخذ خرقة بيضاء فلفهُ فيها ، وأذن في أذنه اليمنى ، وأقام في أذنه اليسرى، ثُمَ قال لعلي هل سميته ؟ فقال : ما كنتُ لأسبقك بذلك ، فقال وما انا سابق ربي به ، فأوحى الله الى جبرئيل أنَّه قد ولد لمُحمّدٍ ابن فاهبط فأقرئه السلام وهنئه ، وقل له : إنَّ عليًا منك بمنزلة هارون من موسى ، فسمه باسم ابن هارون ؛ فقال : وما كان اسمه ؟ قال شُبر ، فقال (صلى الله عليه واله وسلم) : لسانٌ عربيٌ ، قال سمه الحَسن(١٠)،

فسماهُ حَسناً وكناه أبا مُحمَد ، وفي اليوم السابع من مولده الشريف ، عقَّ النبيُ مُحمّد (صلى الله عليه وله وسلم) عنه بكبشين أملحين ، وأعطى القابلة فخذًا ودينارًا ، وحلقَ رأسه ، وتصدق بوزن الشعر فضةً ، ورقاهُ وطلى رأسه بالخلوق ، وقال يا أسماء الدم من فعل الجاهلية ؛ ثُّم ختنه في اليوم السابع من مولده الشريف (١١) ؛ قال رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)(١٢) : (الحَسن والحُسين اسمان من أسماء الجنة ، ولم يكونا في الدُّنيا، وأنَّ الله حجبَ هذين الاسمين عن الخلق حتى يسمى بهما ابنا فاطمة، والحُسين مُصغر الحَسن) ، والحَسن والحُسين اسمان ذُكِرا في التوراة باسم شُبر وشبير، وفي الانجيل باسم طاب وطيب (١٣) .

عاش الإمام الحَسن المجتبى طفولةً رائعةً متنقلًا بين بيت أبويه علي وفاطمة (عليهما السلام) ، وبيت جده رسول الله مُحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ؛ فقد كان رسول الله يحبه حبًّا كبيرًا ، وكان حين يستقبله يضمه الى صدره المبارك ، وهو يردد قائلًا : (اللهم إنّي أحبهُ ، فأحبه وأحب من يحبه)(١٤) ، روت السيدة عائشة قائلة : (١٥) : (خرج النبي غداة ، وعليه مرطٌ مرجل من شعرٍ أسودٍ ، فجاء الحَسن بن علي ، فأدخله ، ثُّم جاء الحُسين فدخل معه ، ثُّم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثُّم جاء علي فأدخله ، ثُّم تلا قوله تعالى (١٦) : { إنَّما يريدُ الله ليذهبَ عنكم الرجسَ أهلَ البيتِ ويطهركم تطهيرًا}) ، وفي يوم مباهلة نصارى نجران ، أخرجه رسول الله معه بعد أنْ نزل قوله تعالى (١٧) : { فمنْ حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقلْ تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونسائنا ونساءكم ثَّم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين}، وكان النبي مُحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذه المباهلة خرج محتضناً الحُسين وآخذاً بيد الحَسن ، وفاطمة تمشي خلفه ، وعلي يمشي خلفها ، والرسول يقول لهم : إذا دعوتُ فأمنوا ، فقال أسقفُ نجران : يا معشر النصارى ، أنَّي أرى وجوهاً ، لو سألوا الله أنْ يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بهم ، فلا تباهلوهم فتهلكوا (١٨) ، فضلًا عن ذلك فقد كان رسول الله يحبه ، ويحب أخاه الحُسين حبًّا شديدًا ويقول (١٩) : (الحَسنُ والحُسينُ ريحانتي من الدنيا) ، وكان يكرر ويقول (٢٠) : (الحَسن والحُسين سيدا شباب أهل الجنة)، وكان دائمَ القولِ (٢١) : (من أحبَ الحَسن والحُسين فقد أحبني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني) ، وقال رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في الحَسن

على وجه الخصوص والتحديد (٢٢) : (إنَّ ابني هذا سيدٌ يصلحُ الله على يديه بين فئتين عظيمتين).

ورث الإمام الحسن المجتبى عليه السلام من جده رسول الله الهيبة والسؤدد (٢٣) ، فقد كان عليه السلام شخصيةٌ مهيوب الجانب يتميز بالوقار والهدوء ، وكان الحَسنُ السبط أصبح الناس وجهاً ، وكان يشبه جده رسوله الله ، وإنَّهُ أوسع الناس صدراً ، وأسجحهم خلقاً (٢٤) ، وأما صفاته الخلقية فقد (٢٥) : (كان أبيضٌ مشرباً بحمرة ، أدعجُ العينينِ ، سهلُ الخدينِ ، كث اللحيةِ ، ذا وفرةٍ ، كأنَّ عنقه ابريق فضة ، عظيم الكراديس ، بعيدٌ ما بين المنكبين ، ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير ، مليحاً من أحسن الناس وجهاً، وكان يخضبُ السواد ، جعدُ الشعر ، حسن البدن) ، وروي أنَّ وجهه أقمر، وجبينه أزهر ، ولفظه أعذب من الشهد وأخْيَر ، وأحلى من السكر ، إذا مشى كأنَّهُ البدرُ إذا بَدَرَ ، والوبلُ إذا مطر ، وله جمال من هو غير معهود للبشر، ومن النور والضياء ما تكسف عنه الشمس والقمر من صباحة وجهه (٢٦) ، ولما اشتد ساعده ، وأصبح في عداد الرجال وصفه واصل بن عطاء فقال(٢٧): (كان الحَسن بن علي عليهما السلام ، عليه سيماءُ الأنبياءِ ، وبهاءُ الملوك ، قيل له ، إنَّ فيكَ عظمة ، قال عليه السلام : بل عزةٌ ، قال الله تعالى(٢٨) : {ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين} ، وقال محمد بن اسحق (٢٩) : (ما بلغ أحدٌ من الشرف بعد رسول الله ما بلغ الحَسن ، وصدق الشاعر حين قال :

من شعلة القبس التي عرضت على ... موسى وقد حارت به الظلماءُ

من معدن التقديس وهو سلالة ... من جوهر الملكوت وهو ضياءُ

هذا الذي عطفت عليه مكة ... وشعابها والركن والبطحاءُ

فعليه م سيما النبي دلالةٌ ... وعليه من نور الاله بهاءُ)

كان نقشُ خاتم الإمام الحَسن المجتبى عليه السلام هو ((العزةُ لله)) فيما كان نقش خاتم أخيه الإمام الحُسين الشهيد عليه السلام هو ((إنَّ الله بالغٌ أمره)) (٣٠) ، وكان الإمام زين العابدين علي بن الحسين يتختمُ بخاتم أبيه الحسين عليهم السلام (٢٩) ، روى جابر عن رسول الله (صلى الله عليه

وآله وسلم) قوله (٣١) : (إنَّ الجنة اشتاقت الى أربعةٍ من أهلي قد أحبَّهُم الله وأمرني بحبهم : علي بن أبي طالب ، والحَسن والحُسين ، والمهدي) ، روى جابر بن عبدالله الانصاري عن رسول الله قوله (٣٢) : (من سرَّهُ أنْ ينظر الى سيد شباب أهل الجنة فلينظر الى الحَسن بن علي) .

الحَسنُ المجتبى بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام هو كريمُ أهل البيت كما هو معروف عند القاصي والداني ، وفي جوده وكرمه تجد العجب العجاب ، ومن ذلك العجب العجيب ما رواه صاحب البحار عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام في قوله (٣٣) : (إنَّ رجلاً مرَّ بعثمان، وهو قاعدٌ على باب المسجد ، فسأله فأمر له بخمسة دراهم ، فقال له الرجل: ارشدني فقال له عثمان : دونك الفتية الذين تراهم ، وأومأ بيده الى ناحية من المسجد فيها الحَسنُ والحُسينُ وعبدالله بن جعفر ، فمضى الرجل نحوهم فسلم عليهم وسألهم ، فقال له الحَسنُ (عليه السلام) يا هذا : إنَّ المسألةَ لا تحِلُ إلا في إحدى ثلاثٍ ، دمٌ موجع ، أو دَيْنٌ مقرح ، أو فقرٌ مدقع ، ففي أيُّها تسأل؟ فقال : في وجهِ واحدةٍ من هذه الثلاث ، فأمر له الحَسنُ عليه السلام بخمسين دينارًا ، وأمر له الحُسين بتسعة وأربعين دينارًا ، وأمر له عبدالله بن جعفر بثمانية وأربعين دينارًا ؛ فانصرف الرجل، فمرَّ بعثمان فقال له : ما صنعت؟ فقال مررت بك وسألت فأمرت لي بما أمرت ، ولم تسألني فيمَ أسأل ، وأنَّ صاحب الوفرة ، لما سألته ، قال يا هذا فيمَ تسأل ؟ فإنَّ المسألة لا تحِل إلا في ثلاث ، فأخبرته بالوجه الذي أسأله من الثلاثة ، فأعطاني خمسين دينارًا، وأعطاني الثاني تسعة وأربعين دينارًا ، وأعطاني الثالث ثمانية وأربعين دينارًا ، فقال عثمان : ومن لك بمثل هؤلاء الفتية ، أولئك فطمُوا العلم فطمًا، وحازُوا الخيرَ والحكمة) ، اللافت للنظر هنا ليس الجود والكرم ، أو الفرق بين عطاء أهل البيت وعطاءِ غيرهم ؛ بل السؤال لماذا أعطى الحُسين دينارًا أقلُ مما أعطاهُ الحَسن ؟ ولمَ أعطى عبدالله بن جعفر دينارًا أقلُ مما أعطى الحُسين ؟ لعل الجواب المقنع والله أعلم هو توقيرُ بعضهم للبعض ، وعدم التفاخر والتباهي ، مع حفظ المقامات لكلِّ واحدٍ منهم .

ومن روائع كرمه وجوده أنَّ جاريةً حَيَّتْ الإمام الحَسن بن علي عليهما السلام بباقةِ ريحانٍ ، فقال لها : أنتَ حرةٌ لوجه الله ، فقيل له في ذلك ، فقال:

هكذا أدبنا الله تعالى فقال : (٣٤) : {وإذا حييتم بتحية ؛ فحيُوا بأحسنِ منها} ، وأحسن منها أعتاقها (٣٥) .

من أخبار علمه اللُدْني :

الإمام الحَسن المجتبى ورث العلم عن أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) وعن جده رسول الله مُحمّد (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) ، فكان علمه لُدنياً من الله سبحانه وتعالى ، وهذه طائفة من بعض علمه على سبيل المثال لا الحصر :

١- سأل أعرابي أبا بكر فقال (٣٦) : إنّي أصبتُ بيضَ نعامٍ فشويته وأكلته وأنا محرمٌ ، فما يجب عليَ ؟ فقال له : أشكلت علي في قضيتك ، فدلّهُ على عمر فلم يعرف ، فدلّهُ على عبدالرحمن فلم يعرف ، فلما عجزوا قالوا : عليك بالأصلع ، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) سل أيُّ الغلامين شئتْ ؛ فتحول الأعرابي الى الحَسن (عليه السلام) فقال الحَسن: يا أعرابي ؟ ألك إبلٌ ، قال : نعم ، قال فاعمد الى عددِ ما أكلت من البيض نوقاً فاضربهن بالفحولِ ، فما فضل منهما فأهدهِ الى بيت الله العتيق الذي حججتَ إليه ، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) إنَّ من النوقِ السلوبِ منها ما يزلق ، فقال : إنْ يكن من النوق السلوب، ومنها ما يزلق ، فإنَّ من البيض ما يمرق ، قال : فسمع معاشر الناس إنَّ الذي فَهَّمَ هذا الغلام ، هو الذي فَهَّمَ سليمان بن داود .

٢- جلس الحَسنُ بن علي وعبدالله بن عباس على مائدةٍ واحدةٍ ، فجاءتْ جرادةٌ ، ووقعت على المائدة ، فقال عبدالله للحسن أيُّ شيءٍ مكتوبٌ على جناحِ الجرادة ؟ فقال (عليه السلام) مكتوبٌ أنا الله لا اله الا أنا ، ربما أبعثُ الجراد لقوم جياع ليأكلوه ، وربما أبعثها نقمة على قومٍ ، فيأكل أطعمتهم ، فقام عبدالله وقبل رأسه ، وقال هذا من مكنونِ العلم(٣٧) .

٣- كتب ملك الروم الى معاوية بن ابي سفيان يساله عن مسائل ، فلم يعرف معاوية الجواب ، واستغاث بالحَسن بن علي (عليه السلام) فأجاب والمسائل هي : (عن مكانٍ بمقدارٍ وسطَ السماءِ ، وعن قطرةِ دمٍ وقعتْ على الأرض ، وعن مكانٍ طلعت فيه الشمس مرةً ، وعن ما لا قبلة له، وعما لا قرابة له) ، فقال (عليه السلام) : اكتب : وسط السماء الكعبة ، وأول قطرة دمٍ وقعت على الأرض دم حواء ، وعن مكانٍ طلعت عليه

الشمس مرةً أرض البحر حين ضربه موسى ، وما لا قبلة له فهي الكعبة، وما لا قرابة له فهو الربُّ تعالى (٣٨) .

٤- قال الإمام الحسن المجتبى (علي السلام) (٣٩) : (إنَّ لله مدينتين احداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب ، عليهما سورٌ من حديد ، وعلى كلِّ واحدٍ منهما ألف ألف مصراع ، وفيهما ألف ألف لغة يتكلم كل لغة بخلاف صاحبها ، وأنا أعرف جميع هذه اللغات وما فيها وما بينهما وما عليهما حجةٌ غيري وغير الحُسين أخي) .

أزواجه وأولاده وبناته :

أعداءُ أهل البيت الكرام كثيرون ، فهم بينَ حاقدٍ وحاسدٍ ومنحرفٍ ، وقد انحرفوا جميعهم عن الحق وهم يعرفونه ؛ ولزموا الباطل ؛ وهم يركضون لاهثين وراء الجاه والسلطان وحبُّ المال ، وبذلك أراقوا ماء وجوههم ، وحطوا من قدرهم ومنزلتهم ، ومن يريق ماء وجهه ، يسهل عليه الذل والهوان والكذب والافتراء ، فكانت فرياتهم كثيرة ، لست بصدد الوقوف عندها ، ولكنّي أقف أمام فرية ((إنَّ الحَسن مزواجٌ مطلاقٌ)) ، فقد ذكرت دائرة المعارف الإسلامية (٤٠) أنَّها أحصتْ للحسن بن علي عليه السلام مئة زيجة ، وفات الدائرة أنَّ كذبتها مفضوحة ، لأنَّها عجزت أنْ تسمي هذه الزوجات ، فهي ذكرت العدد ، ولكنَّها لم تستطع ذكر الأسماء ، فمن هنا كانت فريتهم داحضة ولا سبيل لقبولها ، والفرية بصورة عامة صناعة أموية صنعها أعداء الإسلام بغضًا بأهل بيت النبي مُحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فيما ذكر صاحب البحار (٤١) خبرًا مفاده ، أنَّ للحَسن زوجات كثيرات ، حتى قيل تزوج ثلاثمئة امرأة ... وأنَّ الحَسن بن علي طلق خمسين امرأةً ، فقام الإمام علي بالكوفة فقال : يا معشر أهل الكوفة لا تنكحوا الحَسن ، فإنَّهُ رجلٌ مطلاقٌ) ، أقول : من قال بهذا الصدد عليه أنْ يثبت ما يقول بالعدد والأسماء، وإلا فهو مفترٍ كذابٍ ، وبالطبع لا يستطيعون اثبات ذلك ، وبذلك يكون خبرهم مجرد فرية لا قيمة لها ، وما قالوا به باطلاً ، وأما قيام الإمام علي عليه السلام خطيبًا في الكوفة طالبًا من أهلها عدم تزويج الحَسن ، فالخبرُ عارٍ من الصحة وهو افتراءٌ مزدوجٌ على الإمام علي وابنه الإمام الحَسن ، ذلك لأنَّ الإمام علي عليه السلام كانت إقامته بالكوفة قصيرة ، فقد قضى أكثر مدة خلافته خارج الكوفة منشغلًا بمحاربة الناكثين في يوم الجمل ، ومن بعدهم محاربة

القاسطين في معارك صفين الدامية ، ومن بعدها بحرب المارقين في يوم النهروان ، وفي كلِّ هذه الحروب والمعارك ، كان الإمام الحسن عليه السلام ملازماً لأبيه ، وقائدًا في جيشه ، يجاهد بين يديه ، وأنت تلحظ أنَّ الإمام علي وابنه الإمام الحَسن كلما خرجا من حرب انغمسا في غيرها حتى شهادة الإمام علي عليه السلام بسيف المارق أشقى الأشقياء الخارجي عبدالرحمن ملجم ، فأين الوقت الذي يتيح للإمام الحسن أنْ يتزوج ويطلق ، ألا ترى معي أنَّ هذه الفرية مُخجلة يندى لها جبين المسلم الصادق ؛ ولا تنطلي على أحد ، وعند العودة للمصادر التي ذكرت أنَّهُ تزوج مئة امرأة وقيل ثلاثمئة امرأة ، وأنه طلق خمسين ، ونقرأها عدة مرات ، سنخرجُ بنتيجةٍ واحدةٍ أنَّ الأخبار كاذبة ومفتراة على أمير المؤمنين وابنه الحَسن عليهما السلام ، ولا يمكن لقارئٍ لبيبٍ التسليم بصحتها ، والواقع والحقيقة تشير الى أنَّ عدد زيجاته محدود ، فقد ذكر صاحب معالي السبطين (٤٢) زوجاته وهنَّ كما يأتي :

١- أم بشر بنت أبي مسعود بن عُقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجية وهي أم زيد بن الحسن وأختاه : أم الحَسن ، وأم الحُسين .
٢- خولة بنت منظور الفزارية وهي أم الحَسن المثنى .
٣- أم ولد وهي أم عمرو بن الحَسن والقاسم وعبدالله ، وأرجح أنَّ اسمها رملة بدلالة ابنها شهيدُ كربلاء القاسم بن الحَسن عليهما السلام .
٤- أم ولد ولم يذكر اسمها ولكنَّهُ ذكر ابنها وهو عبدالرحمن بن الحَسن .
٥- أم اسحق بنت طلحة بن عبدالله التميمية ، وهي أم الحُسين بن الحَسن الملقب بالأثرم ، وأخوه طلحة بن الحَسن وأختهما فاطمة بنت الحَسن .
٦- ذكر عدة بنات للإمام الحسن عليه السلام وهنَّ : أم عبدالله ، وفاطمة ، وأم سلمة ، ورقية بنات الحَسن ، وقال هنَّ لأمهات شتى ، ولم يذكر عددهن ولا اسماؤهن .

وسأذكر أولاد الحَسن وبناته من غير أنْ أذكر أسماء امهاتهم ، ومن ثم أتحول الى شهادته لأدخل في صلب الموضوع ، وهو الدراسة الفنية .

أنجب الإمام الحسن المجتبى عليه السلام خمسة عشر ولداً ذكراً وأنثى هم كما يأتي (٤٣) :

الذكور :

١- زيد بن الحَسن
٢- الحَسن المثنى
٣- عمرو بن الحَسن
٤- القاسم بن الحَسن
٥- عبدالله بن الحَسن
٦- عبدالرحمن بن الحَسن
٧- الحُسين بن الحَسن الملقب بالأثرم
٨- طلحة بن الحَسن
٩- أبو بكر بن الحَسن وقيل اسمه أحمد

الإنـــــاث

١- أم الحَسن بنت الحَسن
٢- أم الحُسين بنت الحَسن
٣- فاطمة بنت الحَسن
٤- أم عبدالله بنت الحَسن
٥- فاطمة بنت الحَسن (لعل الإمام الحَسن عليه السلام سمى اثنتين من بناته باسم امه فاطمة عليها السلام) والله أعلم .
٦- أم سلمة بنت الحَسن
٧- رقية بنت الحَسن

وأضاف صاحب جمهرة أنساب العرب ولدين من الذكور هما : جعفر و حمزة (٤٤) ، وبذلك يكون عدد أولاد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام من الذكور هو أحد عشر ولداً ذكرًا ، وعقب الإمام الحسن في ولديه الحَسن بن الحَسن ، وزيد بن الحَسن (٤٥) ، وأضاف شيخ الشافعية أبو محمد بن شجاع ولدين آخرين هما : إسماعيل ويعقوب ، مقابل حذفه للقاسم بن الحَسن(٤٦) ، وبذلك وقفنا على أبناء الإمام الحَسن عليه السلام وهم ثمانية عشر منهم اثنا عشر ذكرًا ؛ وسبع أناث .

شارك أولاد الإمام الحَسن المجتبى عليه السلام في معركة الطف نصرةً لعمهم الإمام الحُسين عليه السلام وأبلوا بلاءً حسنًا حتى استشهد منهم: أبو بكر ، والقاسم ، وعبدالله ، فيما جرح وشفي فيما بعد الحَسن ابن الحَسن المعروف بالحَسن المثنى ، ومنه ذرية الإمام الحَسن المجتبى عليه السلام .

شهادته عليه السلام :

قضى الإمام الحَسن المجتبى عليه السلام نحبَهُ شهيداً بالسمِّ ، وكان له من العمر خمس وأربعون سنة ، وقيل سبعٍ وأربعون سنة ، والصواب هو سبعٍ وأربعين سنة ، وذلك في الثامن والعشرين من شهر صفر من سنة خمسين للهجرة ، بعد أنْ دسّت له السمَّ زوجه جعدة بنت الأشعث بن قيس ، وقد أغراها معاوية بن أبي سفيان ، وبذل لها عشرة الاف دينار ، وقطاعات كثيرة من شعب وسور في سواد الكوفة وحمل اليها سمًّا ، فجعلته في طعامٍ ووضعته بين يديه ، فلما أكله جرى السمُّ في بدنه فيئس من نفسه ، ثم هربتْ الى أبيها بالشام وسالت معاوية بأنْ يزوجها بابنه يزيد فسألها معاوية عن صفات الحَسن عليه السلام ، واذا هي عكس صفات يزيد ، فقال لها إذا كنتِ قتلتِ الحَسن وهو جامع لهذه الصفات الحسنة ، فكيف لا تقتلين يزيد ، وهو بعكس صفات الحَسن ، ثم أمر بقتلها في الحال(٤٧) ، فيما قال الإمام الحسن عليه السلام بعد أنْ سُقي السم : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمدُ لله على لقاءِ مُحمَدٍ سيد المرسلين ، وأبي سيد الوصيين ، وأمي سيدة نساء العالمين ، وعمي جعفر الطيار في الجنة ، وحمزة سيد الشهداء صلى الله عليهم ، فاستمسك السمَّ في بطنه حتى قطع كبده قطعة قطعة ، قال الدميري في حياة الحيوان : فمكث شهرين يرفع من تحته في اليوم كذا وكذا مرة طشت من دم، وكان يقول سُقيت السُمَّ مراراً ، ما أصابني فيها ما أصابني في هذه المرة، لقد لفظتُ كبدي فجعلتُ أقلبها بعودٍ معي (٤٨) وقبره الشريف في البقيع دُفن مع جدته فاطمة بنت أسد ، وقيل دفن مع أمه فاطمة الزهراء في قبرٍ واحدٍ(٤٩) السلامُ عليك سيدي ومولاي يا أبا محمد الحَسن المجتبى يوم وُلدتَ ويوم استشهدتَ ويوم تُبعثُ حياً .

نكتفي بهذه القدر من مكنونِ علم الإمام الحَسن المجتبى عليه السلام وزوجاته وأولاده وشهادته ، لأنَّ هدفي من البحث هو الدراسة الفنية لنثرهِ وخطبهِ ، وليس سيرتهِ الشريفة .

ينقسم نثر الامام الحَسن المجتبى عليه السلام على ثلاثةِ أقسامٍ هي كما يأتي :

١- القسم الأول : الأقوال العامة
٢- القسم الثاني : المناظـــــرات
١)- مع معاوية وعمرو بن العاص ومروان بن الحكم وزياد ابن أبيه
٢)- مع معاوية وعبدالله بن الزبير
٣)- مع معاوية بن أبي سفيان
٤)- مع معاوية بن أبي سفيان
٥)- مع معاوية بن أبي سفيان
٦)- مع معاوية وعمرو بن العاص ومروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة .
٧)- مع عمرو بن العاص في مكة في الطواف حول الكعبة
٨)- مع عمرو بن العاص
٣- القسم الثالث : الخطب ويمكن أنْ نقسمها على وفق الآتي :
١) - خطب تتعلق بمعركة الجمل
٢) - خطب تتعلق بمعارك صفين والتحكيم
٣) - خطب عند شهادة أمير المؤمنين
٤) – خطب في خلافته
٥) - خطب الصلح وما يتعلق به

وسأقوم بدراسة تفصيلية لكلِّ قسم من أقسام فنون نثره .

الهوامش :

١- تاج العروس : ٢/ ٣٧٢

٢- العمدة في محاسن الشعر ونقده : ١ / ١٨٦

٣- المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

٤- المصدر السابق نفسه ١ / ٨٢

٥- البيان والتبيين : ٢ / ٢١٩

٦- عمرو بن الاطنابة الخزرجي : حياته وما تبقى من شعره : ٩٧

٧- كتاب الصناعتين : ١٤٢

٨- مختصر تاريخ دمشق : ٢٩/٧

٩- مقاتل الطالبيين : ٤٩

١٠- البحار : ٣ / ٢٣٨ ؛ ذخائر العقبى : ١١٨ ــ ١٢٠

١١- البحار : ٣/ ٢٣٨ ؛ الاستيعاب : ١ / ٣٦٨ ؛ ذخائر العقبى : ١١٨- ١٢٠

١٢- معالي السبطين : ١١

١٣- معالي السبطين : ٩

١٤- سنن ابن ماجه ؛ صحيح مسلم : ٧ / ١٢٩ ــ ١٣٠

١٥- صحيح مسلم : ٧ / ١٣٠

١٦- سورة الأحزاب ؛ الآية : ٣٣

١٧- سورة آل عمران ؛ الآية : ٦

١٨- تفسير الرازي : ٨ / ٨٠

١٩- سنن الترمذي : ٥/ ٦٥٧

٢٠- سنن الترمذي : ٥ / ٦٥٦ ؛ ٥ / ٦٦١

٢١- سنن ابن ماجه : ١ / ٥١

٢٢- سنن الترمذي : ٦٥٨/٥ ؛ وسنن ابن داود : ٥١٩/٢ ــ ٥٢٠

٢٣- معالي السبطين : ٩ ؛ وفي مناقب آل محمد : ٢٣ ؛ فله سؤددي .

٢٤- شرح نهج البلاغة : ١٦ / ٢١

٢٥- ذخائر العقبى : ١٢٧- ١٢٨ ؛ وقعة صفين : ١١٣ ــ ١١٤ ؛ معالي السبطين : ١٠

٢٦- معالي السبطين : ١٠ ؛ المناقب : ٤ / ١٣

٢٧- معالي السبطين : ١١

٢٨- سورة المنافقون ؛ الآية : ٨

٢٩- معالي السبطين : ٩

٣٠- معالي السبطين : ١٢

٣١- البحار : ٤٣ / ٣٠٤

٣٢- المناقب : ٤ / ٢٤

٣٣- البحار : ٤٣ / ٣٣٢

٣٤- سورة النساء ؛ الآية : ٨٦

٣٥- البحار ٤٣ / ٣٤٣

٣٦- البحار : ٦٥ / ٢٠٦

٣٧- المناقب : ٤ / ١٣

٣٨- البحار : ٤٣ / ٣٥٧

٣٩- البحار : ٢٦ / ١٩٢

٤٠- دائرة المعارف الإسلامية : ٤٠١/٧ - ٤٠٢

٤١- البحار : ٤٤ / ١٧٢

٤٢- البحار : ٤٢ / ٢٢٨

٤٣- معالي السبطين : ٥٦

٤٤- جمهرة أنساب العرب : ٣٨ – ٣٩

٤٥- المصدر السابق نفسه : ٣٨

٤٦- مناقب آل محمد : ٩٨

٤٧- البحار : ٤٢ / ٢٢٨

٤٨- معالي السبطين : ٥٠

٤٩- معالي السبطين : ٥٦

القسم الأول

أقوال الإمام الحسن عليه السلام

اقصد بأقواله العامة التي كان يقولها في المجتمع مع اهل بيته وأصحابه ، وهي الاقوال العرضية التي كان يقولها الإمام الحَسن عليه السلام في مجلسه من غير أنْ يرتقيَ المنبر ، وبعضها من خلال اجابته على من يسأله ، وهي أقوالٍ تتميز بالقصر والكثافة اللغوية والبلاغية مع وفرة المعاني وقوة المنطق وحُسن التعبير وهي كما يأتي :

أولًا : قال الإمام الحَسن المجتبى عليه السلام (١) : ((أيها الناس سمعتُ جدي رسول الله (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) يقول : (أنا مدينة العلم وعليٌ بابها) ، وهل تُدخل المدينة إلا من بابها)) .

قال الامام الحسن عليه السلام هذه الكلمة بعد اتفاق المسلمين على تسليم مقاليد الخلافة الإسلامية لصاحبها الشرعي أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، ومبايعته بالخلافة ، وهي حقٌّ شرعيٌ له بموجب وصية رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام ، ونلحظ هنا أنَّ الامام الحَسن عليه السلام عزز قوله بحديث شريف سمعه من جده رسول الله بشكلٍ مباشرٍ وهو قوله (٢) : (أنا مدينة العلم وعليٌ بابها) ، ولم يقل سمعته من فلان أو علان ، وهذا يعطي القول دلالة على أنَّ الاختيار الأصلح للخلافة هو هذا الذي حصل الآن ، وليس الذي حصل في يوم السقيفة ، وأما الشطر الثاني من قوله : (وهل تدخل المدينة إلا من بابها) ، وهذا يسمى استفهام العارف المحيط الموضوع ، فالإمام الحسن هنا يردُ رداً قويًا ومباشرًا على المتخلفين والمنحرفين والمتلكئين عن بيعة الإمام علي عليه السلام ، إذ أفحمهم بالدليل القاطع أنَّ الخلافة انقادت لصاحبها الشرعي من غير أنْ يطلبها ، وعلى المسلمين كافة الدخول الرسمي في البيعة من بابها الواسع ، وهو باب علم رسول الله ، والدخول الشرعي للبيوت والمدن ، هو من أبوابها ، وليس من النوافذ وتسلق الأسوار ، وباب المدينة (الإسلام) هو أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، والمدينة التي تمثل للإسلام هي رسول الله محمد صلى الله عليه واله وسلم .

ثانيًا : قال الإمام الحَسن المجتبى عليه السلام (٣) : إنَّ عليًا بابٌ من دخله؛ كان مؤمنًا ، ومن خرج منهُ كان كافرًا .

هذا القول من الناحية الفكرية والعقائدية يعدُ مكملاً لقولهِ السابق ، (أنا مدينة العلم وعليٌ بابها) ، فإذا كان الإمام علي عليه السلام باب علم رسول الله صلى الله عليه وآله ، فمن الطبيعي هو باب الإيمان المؤدي الى الجنة ، ومن لم يهده الله فيخرج منها ، فقد هلك وهوى الى قعر جهنم ، لخروجه من دائرة الإيمان الى دائرة الكفر .

ثالثًا : قال الامام الحَسن المجتبى عليه السلام (٤) : (يا أهل العراق اتقوا الله فينا ، فإنا أمراؤكم وضيفانكم ، ونحنُ أهل البيت الذي قال الله عزَّ وجل فينا (٥) : { إنَّما يريدُ اللهُ ليذهبَ عنكم الرجسَ أهلَ البيتِ ويطهرُكم تطهيراً}.

بعد أنْ تمَّ الصلحُ بين الإمام الحَسن عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان وذلك حقناً لدماء المسلمين ، لم يرضِ شرذمة من المسلمين ممن كانوا في صفوف الإمام الحسن عليه السلام ، ذلك لأنَّ عقولهم لم تكن متنورة فتفهم حقيقة الصلح ، فقاموا معارضين ومعترضين ومنتقدين الإمام الحَسن على توقيعه الصلح ، وتسليم الحكم الدنيوي الى معاوية ، لذلك قام هذا النفرُ الضال ممن يدّعون الإسلام زورًا وبهتانًا ، يرمونه بشتى أنواع التهم ، وأسمعوه من قوارص القول ما لا يمكن أنْ يصدر عن مسلم مؤمن البته ، بل ذهبوا الى أبعد من ذلك ، إذ سولت لهم أنفسهم المريضة ، وضمائرهم الميتة من التجاوز على حرمة الإمام ، ومحاولة قتله واغتياله، إذ أقدم أحدهم فطعنه في فخذه ، وقام الآخرون بانتهاب رحاله ، عند ذلك طفحَ الكيلُ وبلغ السيلُ الزُّبى عند كريم أهل البيت فانتفض - وإنْ كان مريضاً - فخاطبهم قائلاً : ((يا أهل العراق اتقوا الله فينا ؛ فإنا أمراؤكم وضيفانكم)) ، الكلامُ بشكلٍ واضحٍ وصريحٍ موجه الى عسكره من أهل العراق الذين كانت أهواهم شتى وولاءاتهم متعددة ، فقال : اتقوا الله ، والتقوى هي أعلى درجات الخوف من الله ، فهم قومٌ قد قستْ قلوبهم ، وماتتْ ضمائرهم ، وذكَّرَهُم بأنَّهُ أميرَهم وقائدهم وعليهم طاعته وسماع أوامره ، وفضلًا عن ذلك أشعرهم أنَّهُ من أهل الحجاز ، وهو الآن ضيفًا على أهل العراق ، وعلى أهل العراق إكرام الضيف كما هو معروف عنهم ، وحسن معاملته ، وليس طعنه ، وسلب أمواله ورحاله ، وبعد ذلك أنَّهُ وأهله ، وهم أهلُ بيتِ النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ، وهم الذين نزلت فيهم آية التطهير مخصوصة .

رابعًا : قال الإمام الحَسن عليه السلام (٦) : (أيها ذاكرُ عليًا (عليه السلام)؛ أنا الحَسنُ وأبي عليٌ ، وأنت معاوية وأبوك صخرٌ ، وأمي فاطمة ، وأمك هندٌ ، وجدي رسول الله ، وجدك عتبة بن ربيعة ، وجدتي خديجة ، وجدتك قتيلة ، فلعن الله أخملنا ذكرًا وألأمنا حسبًا وشرفًا قديمًا وحديثًا وأقدمنا كفرًا ونفاقًا) .

افتخر معاوية بن أبي سفيان يومًا في مجلسه بالشام على الإمام الحَسن المجتبى (عليه السلام) وبحضور كبار زعماء بني أمية ، ورؤساء قبائل الشام ووجهائها ، ونال في فخره المزعوم من أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) سبًا وشتمًا ؛ فقام إليه الإمام الحَسن (عليه السلام) رادًا عليه ما قال ، ناقضًا فخره المزعوم ، مفندًا ما يدعي ، فألقمه حجرًا في فيه ، فجعله مثل العصفور العالق في مخلب بازٍ كبيرٍ .

عندما نعيدُ قراءة نص ما قاله الإمام الحسن (عليه السلام) لمعاوية ابن أبي سفيان سنجدُ كلَّ ما قاله الإمام الحسن هو عبارة عن مقابلة بلاغية أفحمت معاوية ، وجعلته يترنح مضطرباً في مجلسه ، بعد أنْ فقد صوابه، وافتضح أمره ، وضاقت عليه الأرض بما رحبت ، فقد ذكره الإمام الحسن بماضيه الأسود المخزي ، ومن كان بهذا الماضي المخزي عليه أن يصمتْ الدهر كله ، ولا ينبس ببنتِ شفة ، والآن أرسم مخططاً توضيحياً لما قاله الامام الحَسن عليه السلام :

الحَسن بن علي عليه السلام

١- الحَسن : سيد شباب أهل الجنة بنص الحديث الشريف .
٢- أبوه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وصي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .
٣- أمه فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين من الطاهرات من الأولين والآخرين ؛ مُطهرةٌ من الأرجاس والأدناس .
٤- جده رسول الله محمد صلى الله عليه واله ؛ وكفى به فخرًا .
٥- جدته خديجة الكبرى ، وهي إحدى النساء الكُمـــل .

معاوية بن أبي سفيان

١- طليقٌ كافرٌ أسرَهُ رسول الله يوم الفتح وأطلقه .
٢- أبوه أبو سفيان طليقٌ وهو عدو رسول الله في المواقف كافة .
٣- امه هند آكلة الأكباد وهي من الطليقات يوم فتح مكة ، فضلًا عن كونها من العواهر ، ومن صاحبات الرايات الحمراء في الجاهلية .
٤- جده عتبة بن ربيعة قُتِلَ كافرًا في معركة بدر .
٥- جدته قتيلة هي الأخرى من العاهرات ، ومن صاحبات الرايات الحمراء.

وعندما ننظر الى المقابلة التي قالها الإمام الحَسن عليه السلام لمعاوية سنجدها أجرأ مقابلة قيلت في مجلسِ سلطانٍ جائرٍ ظالمٍ ، وسنرى أنَّ هناك طرفًا قد حاز المجدَ من أطرافه كافة ؛ وهو الإمام الحَسن عليه السلام ؛ وطرفٌ جمع الخزي والعار كله ، وهو معاوية ؛ ثم أنَّ هذه المقابلة رفعت الإمام الحَسن عليه السلام فوق أخس الطرفين ، وهو معاوية بلا أدنى شك ، فالإمام الحَسن من الخُلص الذين اصطفاهم الله ، وهو من البيت الذي طهره الله من كلِّ الأرجاس والأنجاس والأدناس والعيوب والأدران ؛ فنحنُ عندما نزور الامام الحُسين عليه السلام نقول (٧) : (أشهدُ أنَّك كنتَ نوراً في الأصلاب الشامخة ، والأرحام المطهرة ؛ لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ، ولم تُلبسك من مدلهمات ثيابها) ، وهذا القول ينطبقُ على الإمام الحَسن لأنَّهُ الشقيقُ الأكبر للإمام الحُسين ؛ وقد قال الإمام زين العابدين عليه السلام في الشام عندما ادخلوه على يزيد الرجس ، وصعوده أعواد المنبر ، والقاء خطبةَ عصماء ، هذا مقطع منها (٨) : (أنا ابن عديماتُ العيوبِ ، أنا ابن نقياتُ الجيوبِ) ، وكفى بهذا فخرًا يا معاوية .

<u>خامسًا :</u> قال الامام الحَسن المجتبى عليه السلام موجهًا كلامه لأهل الكوفة (٩) : (قد غررتمُوني (١٠) كما غررتم أبي من قبلي ، مع أيّ إمامٍ تقاتلون بعدي ، مع الكافر الظالم الذي لم يؤمن بالله ، ولا برسوله قط ، ولا أظهر الإسلام هو ، ولا بنو أمية إلا فرقاً بالسيف ؟ ولو لم يبقَ لبني أمية إلا عجوزًا درداء (١١) لبغت دين الله عوجًا ؛ وهكذا قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) .

لم تكن الكوفة علوية خالصة الولاء لأهلِ البيتِ عليهم السلام ، بل كانت الكوفة بلدة متعددة الولاءات بين علوي وخارجي وموالٍ لمعاوية ، وهم أصحاب أمزجة متقبلة لا يثبتون على رأيٍ معين ، يقولون القول وينقضونه، وقد قال الإمام الحَسن هذه الكلمة بعد أنْ تفرقت كلمة جيشه ، واتفاق أغلبهم على موادعة معاوية والتسليم له طعمًا بالعطاءات التي يسيلُ لها لعاب المنافقين ، ونلحظ هنا إنَّ الامام الحَسن ابتدأ قوله بكلمة ((غررتموني)) والتغرير هو نوع من الخدعة ، وهي دس السُمَّ بالعسل ، والتغرير هو أنْ يقولوا قولًا مُشجعًا ، وعند التنفيذ يتخلون عنه الى قولٍ غيره ، وهذه من صفات المنافقين ، وهذه العادة السيئة ليست جديدة عليكم يا أهل الكوفة : فقد خدعتم من كان قبلي ، وهو أبي علي بن أبي طالب ، وكان جدي قد جاءكم بالإسلام ليخرجكم من الظلمات الى النور ، وإذا أنتم أشدُ تمسكاً بالكفر والظلال ، فأنتم إنْ لم تحاربوا معي وتنصروني على عدو الإسلام معاوية بن أبي سفيان الذي لم يؤمن بالإسلام قط ، وأنا سيد شباب أهل الجنة ، فمع من ستقاتلون ، تقاتلون مع معاوية الظالم الكافر ، وتحاربون من يحمل اليكم رسالة السماء فتعساً لكم ، وبنو أمية هم الشجرة الخبيثة والملعونة بالقرآن الكريم ، وقد أخبر النبي مُحمّد عليه أفضل الصلاة أنَّ بني أمية لا يؤمنوا ، ولن يدخلوا في الإسلام جملةً وتفصيلاً ، وما اعلانهم الاسلام يوم الفتح إلا فرارًا من القتل بعد أنْ وقعوا أسرى بيد رسول الله ؛ فمنَّ عليهم بالعفو وقال لهم (١٢) : (اذهبوا فأنتم الطلقاء) ، والطليق كما قال رسول الله محرمة عليه إمارة المسلمين وقيادتهم ، وقد أكد الامام الحَسن عليه السلام ذلك قائلا (١٣): (ولو لم يبقَ لبني أمية إلا عجوزًا درداءَ لبغثْ دين الله عوجًا) وهذا يعني أنَّهُ لو هلك بنو أمية كافةً ولم يبقَ منهم إلا امرأةً عجوزًا درداءَ قد سقطت أسنانها كافة من تطاول العمر ؛ لانحرفتْ عن الإسلام ، وارتدتْ عن المبادئ والقيم، أو ربَّما رفعت رايةً حمراء ، وقبل ذلك كان رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) قد رأى أبا سفيان راكبًا على حمار يقودهُ يزيد ويسوقه معاوية وهما أبني أبي سفيان فقال (١٤) : (اللهم العن الراكب والقائد والسائق) ، كما قال رسول الله عندما رأى أبا سفيان ومعه ابنه معاوية (١٥) : (اللهم العن التابع والمتبوع ، اللهم عليك بالأقيعس) ، والأقيعس (١٦) هو معاوية بن أبي سفيان سماه بذلك رسول الله ، كنايةً عن تكبرهِ مع كبرِ بطنه ، وكان معاوية يُضرَبُ

به المثلُ لكبرِ بطنه (١٧) ، والقعس هو نقيض الحدب ؛ أي خروج البطن الى الأمام ودخول الظهر ، ومعاوية سماه رسول الله بالأقيعس ، والأقيعس هو تصغير الأقعس ، وتصغير الكبير في اللغة العربية يستعمل للتحقير ، والتابع هو معاوية ، وأما المتبوع فهو أبو سفيان ، الملعونين على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

سادساً : قال الإمام الحَسن المُجتبى عليه السلام مخاطباً أهل الكوفة في قضية الصلح مع معاوية (١٨) : (لو لم تذهل (١٩) نفسي عنكم ، إلا لثلاثِ خصالٍ ، لذهلت مقتلكم أبي ، ومطعنكم بغلتي ، وانتهابكم ثقلي ، وردائي عن عاتقي ، وأنَّكم بايعتموني على أنْ تسالموا وتحاربوا من حاربت ، وأنّي قد بايعتُ معاوية فاسمعوا له وأطيعوا) .

يقول الإمام الحَسن المجتبى عليه السلام لأهل الكوفة ، أني راغبٌ عنكم ، فقد ذهلتكم نفسي ورفضتكم ، وتجاهلتكم وأنا تناسيتكم عمدًا ، لأسبابٍ كثيرةٍ منها ثلاث خصال : هن من الكبائر ، أولهن قتلكم أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وهو قائدكم وإمامكم ، والثانية طعنكم أياي، وانا على ظهر بغلتي ، ولم أكن محاربًا لكم فضلًا عن نهبكم ثقلي ورحالي وانتزاعكم ردائي عن أكتافي ، والثالثة هي انَّكم قد بايعتموني أميرًا عليكم ، ولكنَّكم مثل الذين سبقوكم ، نكثتم بيعتي ، ولم تحاربوا معي ، وتخاذلتم عن نصرتي ، ولم تحاربوا عدوي وعدوكم ، وبما أنَّكم لا عهد لكم ولا ميثاق ، ولم تسمعوا قولي ، وعصيتموني ولم تطيعوني ، فأنّي وعلى الرغم من حراجة الموقف ، فقد بايعتُ معاوية مضطرًا ؛ لأنّي لم أجد منكم أعوانًا وأنصارًا فأصول بهم على معاوية وأهل الشام ، لذلك آثرتُ حقن الدماء والحفاظ على أرواح المسلمين ، وعلى أرواحكم ، لذا عليكم أنْ تسمعوا معاوية وتطيعوه .

سابعًا : قال الإمام الحسن عليه السلام (٢٠) : النعمةُ محنةٌ ، فإنْ شكرتَ كانتْ نعمةٌ ، وإنْ كفرتَ صارت نقمة .

النعمة هبةٌ من الله لعباده بكل صنوفهم وألوانهم ومعتقداتهم ، الإمام الحسن عليه وصفها بانَّها محنة ، والمحنة تعني هنا الإمتحان العسير ، فالله

سبحانه وتعالى يختبر عباده بها ، ليميز الشاكر من الجاحد ، فالشاكر هو من يشكر الله على ما نعم عليه من أنوع النعم ، فإذا شكر الله ، فإن الله يقول : لئن شكرتم لأزيدنكم ، ومن يجحد نعمة الله ولم يشكره على ما أعطاه من وافر النعم ، فتتحول تلك النعمة الى نقمة ، وسيؤول عاقبة أمرها الى عقاب، وعقاب الخالق هو أن يُلقى في نار جهنم مذمومًا مدحورًا ، وأضاف الإمام الحسن عليه اسلام قائلًا (٢١) : اللؤمُ أنْ لا تشكر النعمة .

ثامنًا : بعد أنْ اجتمعت كلمة المسلمين على مبايعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بالخلافة ، دعا المسلمين لنصرته والوقوف مع الحقّ ، ومن هذا الموقف خاطب الإمام الحَسن المجتبى جموع المسلمين ؛ حاثهم على نصرة أمير المؤمنين والاستجابة لندائه ، والجهاد معه فقال (٢٢) : (أيها الناس : إنَّهُ سيوجد لهذا الامر من ينفرُ اليه ، فأجيبوا دعوتنا ، وأعينوننا على ما قد بلينا به ، فوالله إنّي لأعلمُ أنَّ من سمع بهذا الامر ، ولم يكن إلا مع الحق ، إنَّهُ لسعيد) .

أراد الإمام الحَسن المجتبى عليه السلام بـ ((هذا الأمر)) الإسلام ، ومن سينفر اليه في المستقبل ، هو الإمام صاحب الأمر والزمان المهدي المنتظر عليه السلام ؛ فانتم أيها المسلمون أجيبوا دعوة إمامكم وأميركم وكونوا لنا عوناً وسنداً لنهوض بهذه المهمة الصعبة ، وأنَّ الله سبحانه وتعالى امتحننا واياكم بهذا الأمر ، والامام المجتبى يقسم بالله العظيم أنَّ من يستجيب لنداء أمير المؤمنين بنيةٍ خالصةٍ لله سيكون سعيدًا في الدنيا والاخرة، وقد أكد هذه الحقيقة الإمام الحُسين عليه السلام عندما كان قريباً من كربلاء ، حين التقى بعبيد الله بن الحر الجُعفي ، وعرض الانضمام لقائمة أنصاره ، ولكنَّ الجعفي تخاذلَ ولم يلبِ نداءَ الإمام الحُسين معتذرًا ، أنَّهُ ما خرج من الكوفة إلا لاعتزال الطرفين ، فقال له الإمام الحُسين : اذهبْ بعيدًا من هنا ؛ ولا تسمع نداءَنا ((واعيتنا)) ؛ فإنَّ من يسمع نداءَنا ولم ينصرْنا أكبهُ الله على وجههِ في النار .

تاسعًا : قال الامام الحَسن المجتبى عليه السلام بعد أنْ خذله أهل الكوفة(٢٣): (يا عجبًا من قومٍ لا حياءَ لهم ، ولا دينَ مرةً بعد مرةٍ ، ولو

سلمتُ الى معاوية الامرَ ، فأيم الله لا ترون فرجًا أبدًا مع بني امية ، والله ليسومونكم سوءَ العذابَ ، حتى تتمنوا أنْ يلي عليكم حبشيًا ؛ ولو وجدتُ أعوانًا ما سلمتُ له الامر ، لأنَّهُ محرمٌ على بني أمية ، فأفٍ لكم وترحًا يا عبيد الله) .

أبدى الإمام الحَسن المجتبى عليه السلام استغرابه وتعجبه من موقف رجال الكوفة ، وعدم دفاعهم عن دينهم ومدينتهم أمام معاوية المعتدي الضال والخارج على الإسلام ، فنعتَهُم بأنَّهم عديمي الحياء ، وليس لهم دين ، فهم يخذلون قادتهم مرة بعد مرة ، فقد خذلوا من قبل أمير المؤمنين علي عليه السلام ، وأجبروه على قبول التحكيم ، وبعد ذلك رفضوا التحكيم ، واليوم يتكرر الخذلان مع الإمام الحَسن عليه السلام ، وهنا نجد أنَّ الإمام الحَسن يطلعهم على الحقيقة المرة ، والمستقبل الأسود الذي ينتظرهم في ظل حكم بني أمية ، ويقسم لهم الامام قائلًا ((وأيم الله)) وهذا قسم ، وهو قسم شرط مركب من مزج كلمتين الأولى ((أي)) الشرطية والثانية ((ما)) وهي زائدة، قال الامام يسومونكم ، والفعل يسومون لا يستخدم إلا للقيادة الغاشمة والظالمة ، وقد ورد هذا الفعل في القرآن الكريم في ست آيات كريمات للدلالة على هذا المعنى ، منها قوله تعالى (٢٤) : {يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابنائكم ويستحيون نسائكم وفي ذلكم بلاءٌ من ربكم عظيم } ، حتى أنَّكم - يا أهل الكوفة - تتمنون لو أنْ يقودكم عبدٌ حبشيٌ أشرف لكم من قيادة بني أمية الجائرة والظالمة ، وأنا أقول لكم بصراحة مطلقة ، لو وجدتُ فيكم خيرًا ، وكنتُم لي أعوانًا وأنصارًا ، ما سلمتُ الأمر لمعاوية ، ليتحكم في رقابكم ورقاب المسلمين ، ولكنْ أنتم السبب ، بتخاذلكم عن إمامكم وقائدكم، وعدم طاعتكم لولاة أمركم ، وأنتم من يتحمل تبعات هذا الأمر ، وليسمع حاضركم ، ويخبر غائبكم إنَّ امارة المسلمين محرمة على بني أمية ، ولكنَّكم قومَ سَوْءٍ رضيتم بالذل والهوان، وأجبرتموني على قبول الأمر الواقع ، فتعسًا لكم وأفٍ وترحًا (٢٥) من موقفِكم المخزي هذا يا عبيد الله .

<u>عاشرًا :</u> قال الامام الحَسن المجتبى عليه السلام موجها كلامه لأهل الكوفة بعد أنْ خذلوه بعد بيعتهم له (٢٦) : (خالفتم أبي ، حتى حكمَ وهو كارهٌ ، ثم دعاكم لقتالِ أهلِ الشامِ ، بعد التحكيم فأبيتُم ، حتى صار الى كرامةِ الله ، ثم

بايعتمُوني على أنْ تسالمُوا من سالمني ، وتحاربُوا من حاربني ، وقد أتاني أنَّ أهلَ الشرف منكم قد أتوا معاوية وبايعُوه ، فحسبي منكم ، لا تغرُوني من ديني ونفسي) .

بعد مقتل عثمان بن عفان تدافع المسلمين الى المسجد النبوي مجتمعين على مبايعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بالخلافة ، فرفض البيعة ، ولكنَّهم كانوا مصرين على مبايعته ، فقبلها كارها لها ، فقال(٢٧) : (والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ، ولا في الولاية إربة ، ولكنَّكم دعوتمُوني اليها وحملتمُوني عليها) ، وبعد أنْ حملتم أبي على قبول الخلافة عصيتمُوه ، وقد دعاكم أمير المؤمنين علي لحرب عدوكم من أهل الشام ، بعد أنْ رفضتُم التحكيم ولم تقبلُوا به ، ورأيتُم أهل الشام يشنُون الغارات على أطراف العراق ؛ وأنتم ساكتُون لا تتحركُون لصدِّ عدوكم وردعه ، وظل يدعُوكم لحربهم حتى لقي الله شهيدًا في محرابه ، ثم أجمعتُم على بيعتي ، واشترطتُ عليكُم في قبول الخلافة أن تحاربُوا من أحارب ، وتسالموا من أسالم ، فقبلتُم بذلك ، واليوم تأتيني أخباركُم أنَّ عددًا من أشرافِكُم يراسلون معاوية ، وبعضهم قد بايعه بالفعل ، فحسبي منكم أنَّكُم قومٌ لا عهدَ لكم ولا ميثاق ، واليوم تريدُونْ أنْ تخدعوني عن ديني ونفسي ، كما خدعتم من قبل أبي ، هيهات هيهات منكم .

<u>الحادي عشر :</u> حلَّ شهرُ رمضان على المسلمين والإمام الحَسن المجتبى جالس في مجلسه مع مجموعة من أهلِ بيتهِ وأصحابهِ ، فقال لهم بعد أنْ هنأهم بحلول الشهر المبارك ، فقال (٢٨) : (إنَّ اللهَ جعلَ شهر رمضان مضمارًا لخُلصهِ ، فيستبقونَ فيه بطاعته الى مرضاته ، فسبق قومٌ ففازوا ، وقصرَ آخرون فخابوا) ، أراد الامام الحسن عليه السلام بهذه الكلمة الموجزة والقيمة حث المسلمين على الالتزام بالصيام ، واحترام قدسية شهر رمضان ، بعد أن شبه شهر رمضان بضمار السباق، ولكنَّهُ سباقٌ الى مرضاة الله من خلال الالتزام بأوامره والامتناع عن معاصيه ، فمن كبحَ جماحَ نفسه ورغباتها ، والتزم بما يأمره الله ؛ فقد فاز بمرضاة الله ورسوله، ومن تعثر ولم يستطع كبح جماح نفسه الشهوانية فقد خاب وخسر ، وقد يكون عقابه أليم إن لم يعد الى رشده فيطيع الله ورسوله .

الثاني عشر : قال الامام الحسن المجتبى عليه السلام لجلسائه : من خافَ الله ، أخافَ الله منه كلَّ شيء ، ومن َخاف الناس ، أخافهُ الله من كلِّ شيء(٢٩).

أراد الامام الحسن عليه السلام أنْ يشعر العبد المسلم بأنَّ الله سبحانه وتعالى أكبر من كل شيءٍ ، بيده الأمن والأمان ، فمن عرف الله حقَّ قدره، آمنه الله وجعل كلّ شيءٍ في الوجود يخاف منه ويخشاه ، واما العبد الضعيف الايمان صاحب النفس المريضة ؛ الذي يخشى الناس ويخافُهم ، فهو عبدٌ ذليلٌ ، رفع اللهُ الأمنَ والأمانَ عنهُ وجعلهُ خائفاً من كلِّ شيءٍ .

الثالث عشر : في إحدى وفادات الإمام الحسن عليه السلام الى معاوية ابن أبي سفيان ، سأله معاوية قائلاً (٢٧) : (أيهما كان أكبرُ عليٌ أم الزُبير؟ قال : ما أقرب ما بينهما ؛ عليٌ أسنُ من الزُبير .

وطريف القول ما قاله العباس بن عبدالمطلب حينما سُئِلَ (٢٨) : أيمّا أكبر أنت أم النبي صلى الله عليه واله ؟ فكان العباس ذكياً في جوابه حينما أجاب قائلًا : هو أكبر مني ، وأنا وُلِدتُ قبله ، فأراد الإمام الحسن عليه السلام أنَّ علياً والزبير متقاربين في الولادة ، ولكنَّ الأمام علي بن أبي طالب عليه السلام أكبرُ عمراً من الزُبير بن العوام بشهورٍ قليلة وعدة أيام .

الرابع عشر : قال الإمام الحسن عليه السلام (٢٩) : الغنى رضا النفس بما قُسِمَ لها ، وإنْ قَلَ .

القول العام والسائد هو إنَّ الغنى هو غنى النفس بما تملك سواءً كان كثيرًا أو قليلًا لأنّ غنى النفس هو القناعة ، وجاء في الأثر ((الحديث))(٣٠): القناعةُ كنزٌ لا ينفذ ، وأضاف الإمام الحسن عليه السلام قائلاً (٣١) : ارضَ بما قسم الله سبحانه ، تكن غنياً .

الخامس عشر : قال الإمام الحسن عليه السلام لحبيب بن مَسلمة الفهري(٣٢) : رُبَّ مسيرٍ لكَ في غيرِ طاعةِ الله ، قال : أما مسيري الى أبيك فلا ، قال : بلى ، ولكنك أطعت معاوية عن دنيا قليلة ، فلئن كان قام بك في

دنياك لقد قعد بك في آخرتك ، ولو كنت إذ فعلت شرًا قلت خيرًا ، كنت كما قال الله عزَّ وجل (٣٣) : { خلطوا عملًا صالحاً وآخرَ سيئًا } ولكنك كما قال الله : (٣٤) { بل رانَ على قلوبِهم ما كانوا يكسبون } .

من خلال دعوة المسلمين لنصرة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والاستعداد لحرب معاوية بن أبي سفيان الذي شقَّ عصا الطاعة وتمرد على الخليفة الشرعي المنتخب من المسلمين ، دعا الإمام الحسن عليه السلام حبيب بن مسلمة الفهري للانضمام الى معسكر الإمام علي ونصرته ، ولكنَّ الإمام الحسن عليه كان يعرف نية حبيب بن مسلمة الفهري ، وانحيازه الى صفوف معاوية بن أبي سفيان ، فأراد أنْ ينصحهُ ويرشدهُ الى طريق الحق والصواب، بعيدًا عن طريق الضلال ، فكانت إجابة حبيب بن مسلمة كما كان يعرفها الإمام الحسن ، ومع ذلك واصل الإمام نصحه وارشاده وقال له لقد بعت دينك بدنياك ، فإن نفعك معاوية في الدنيا ، فإنَّهُ أعجز من أنْ ينفعك في الآخرة ، فسيؤول مصيرك الى نار جهنم خالدًا فيها .

السادس عشر : قال الإمام الحسن عليه السلام (٣٥) : القريب من قربته المودّة ، وإنْ بعُدَ نسبه ، والبعيد من باعدته المودّة وإنْ قرُبَ نسبهُ .

أراد الإمام الحسن عليه السلام إنَّ صلة القرابة والرحم والتلاحم ركيزتها الأساسية هي المودّة ، والمودّة هي أعلى مراتب المحبة ، والمودة هي التي تقرب القلوب بعضها من بعض، وانْ لم يكن قريبًا بالنسب ، فقرابة النسب تفقد قيمتها عندما تتخلى عن المحبة والمودّة ، وقد يكون الإنسان البعيد في النسب أو من عشيرة أخرى ، هو أقرب اليك ممن يتصل بك بنسب ، وأشار الإمام الحسن الى أنَّ البعيد هو من فقد المحبة والمودّة ، وامتلأ قلبه كراهيةً وحسدًا وإنْ كان قريبًا منك بصلة النسب والرحم .

السابع عشر : قال الإمام الحسن عليه السلام (٣٦) : (واللهِ للبلاء والفقر والقتل أسرعُ الى من أحبنا من ركض البراذين ، ومن السيلِ الى صمرهِ وهو منتهاهُ) .

هذا الحديث يروى للإمام الحُسين عليه السلام أيضًا ، وبزيادة فقد خاطب الإمام الحُسين أنصاره ومحبيه قائلًا (٣٧) : (والله : البلاءُ والفقرُ والقتلُ أسرعُ الى من أحبنا من ركض البراذين ، ومن السيلِ الى صمره ، فقلت وما الصّمرُ ؟ قال : منتهاهُ ، ولولا أنْ تكونوا كذلك ، لرأينا أنَّكم لستم منا) .

لقد ضيق الأمويون الخناق على محبي أهل البيت وأنصارهم ، فمنعوهم حقهم من العطاء ، وشردوهم في الآفاق وقتلوا كثيرًا من رجالهم ، وواقعة الطف خير مثال على ذلك ، وذلك لإبعادهم عن نصرة أهل البيت ، وتنفيرهم عنهم ، وترغيب الناس بالولاء لبني امية من خلال الإغراء بالعطاء والمناصب ، والناس تحب العطاء والرفاه ، فانفض كثيرون عن نصرة أهل البيت عليهم السلام ، ومن أراد أنْ ينصرَ أهل البيت ، عليه الاستعداد للبلاء والفقر والحرمان والقتل والتشريد .

الثامن عشر : قال الإمام الحسن عليه السلام (٣٨) : إنَّ أبصرَ الأبصار ما نفذ في الخير مذهبه ، وأسمع الأسماع ما وعى التذكير وانتفع به ، وأسلم القلوب ما طهُرَ من الشبهات .

الأبصار هنا ليس الرؤية البصرية بالعين المجردة بل هو الرؤية بقلبٍ مؤمنٍ ، فعلى المؤمن أنْ يحب الخير للناس مثلما يحبهُ لنفسه ، واحسن أنواع السماع ما كان كان مصحوبًا بقوة الذاكرة ، ويعي ما يسمع ويفهمه وإذا نسي تذكر ، وأشار القرآن الكريم الى هذا النوع من السماع فقال (٣٩) : { وتعيها أذنٌ واعية } وطلب رسول الله من ربه أنْ تكون أذن الإمام علي عليه السلام هي المقصودة بقوله تعالى ، لأنَّ الأذن الواعية إذا نست تذكرت وانتفعت من التذكر لتجاوز الخطأ أو الوهم ، الذي حصل عندها ، وأفضل القلوب ، هي القلوب الطاهرة الخالية من العقد والأدران والحسد والكراهية وهي ممتلئة بمحبة الناس كافة .

التاسع عشر : قال الإمام الحسن عليه السلام (٤٠) : الإعطاء قبل السؤال من أكبر السؤدد .

طبقات المجتمع ليست على درجة واحدة ، فكثير من الناس ضعفاء وبحاجة الى معونة لمواجهة صعوبة الحياة وقسوتها ، لذلك يضطر بعضهم لمدِّ يده طلبًا للعون والمساعدة ، وبما أنَّ مثل هذا السؤال فيه أهدارٌ لكرامة الإنسان وإراقةٌ لماء الوجه ، لذا يقول الإمام اعطوهم ولا تذلوهم ، ولا تبطلوا أعمالكم بالمنِّ والأذى النفسي ، القرآن الكريم التفت الى هذه الحالة المهمة وخاطب المسلمين ، أذا أعطيتم صدقة فلا تجرحوا مشاعر السائل وذلك في قوله تعالى (٤١) : { يا أيها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنِّ والأذى } ، فالإمام الحسن عليه السلام يقول : أعطوا المحتاجين قبل السؤال للحفاظ على كرامتهم ، وكانَ الأمام الحُسين عليه السلام حينما يشعر أنَّ المقابل طالب حاجة ، كان يديرُ لهُ ظهره ولا ينظر إليه ، ويقول له : أكتب حاجتك في رقعة أو على الأرض وانصرف ، وستصلك الى دارك ، قيل له : إنَّ السائل يفرح بعطائكم أهل البيت ، فيقول لهم : أكره أن أرى في وجهه ذُلَّ السؤال .

العشرون : قال الإمام الحسن عليه السلام (٤٢) : لا أدب لمن لا عقل له، ولا مروءة لمن لا همة له ، ولا حياء لمن لا دين له ، ورأسُ العقل معاشرة الناس بالجميل ، وبالعقل تدرك الدارين جميعاً ، ومن حُرِمَ العقل حُرِمهما جميعاً .

العقل زينة الإنسان ، ولم يخلق الله عضوًا بشريًا أفضل من العقل ، قال الإمام الصادق عليه السلام (٤٣) : إنَّ الله عزَّ وجلَّ خلق العقل ، وهو أول خلقٍ من الرُّوحانيين عن يمين العرش من نوره ، فقال له : أدبر فأدبر، ثُمَّ قال له : أقبل فأقبل ، فقال الله تبارك وتعالى : خلقتُكَ خلقًا عظيمًا ، وكرمتك على جميع خلق ، فالأدب يأتي بالمرتبة الثانية بعد العقل وهو تابعٌ له ، والمروءة مكملة للهمة ، الهمة اسبق فأن عدمت الهمة فلا مروءة بعدها ، أما الحياء فهو الدليل الى الدين ، فالإمام الصادق يقول (٤٤) : الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة ، فمن لا يمتلك حياءً ليس مؤمنًا ولا يدخل الجنة ، والعقل هو قائد الإنسان للتعامل الصحيح مع الناس بالمعروف ، وصاحب العقل السليم هو من يدرك الدنيا والآخرة ، ومن لا عقل له فقد خسر الدارين معا .

الحادي والعشرون : قال الإمام الحسن عليه السلام (٤٥) : السَّداد دفعُ المنكر بالمعروف .

السّداد هو التوفيق ، فإذا كان الانسانُ مُسددًا فهو موفقٌ ، لأنَّهُ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ودفع المنكر هو النهي عنه بما يناقضه ، وهو الأمر بالمعروف .

الثاني والعشرون : قال الإمام الحسن عليه السلام (٤٦) : الفقرُ شَرَهُ النفس الى كُلِّ شيءٍ .

الفقرُ ليس فقر المال بل فقرُ انعدام الأخلاق والأدب ودناءة النفس ، والشَرَهُ هو : هو أسوء أنواع الحرص (٤٧) ، وأسوء أنوع الحرص هو أسوء أنواع البخل ، والنفس إذا كانت شرهة فهي دنيئة ووضيعة .

الثالث والعشرون : قال الإمام الحسن عليه السلام (٤٨) : نِعْمَ العونُ الصمتُ في مواطن كثيرة ، وإن كنتَ فصيحاً .

يشير الإمام الحسن عليه السلام على المرء إذا كان حاضرًا في مجلسٍ أو محفلٍ ، ودار الحديث حول أي موضوع ، وفي الحديث مسٌّ لبعض الحضور أو الغياب ، فعليك أن تلتزم السكوت ولا تتكلم مهما كانت بلاغتك وفصاحتك ، لأنَّهُ يجب أن تكون محضر خير ، وليس محضر سوء، لأنَّهُ قد تكون كلمة منك تلحق بالآخرين أذىً كبيراً .

الرابع والعشرون : قال الإمام الحسن عليه السلام (٤٩) : الحلمُ كظم الغيظ ، وملك النفس .

الحلمُ زينةٌ للعقل وللرجل ، فالحلمُ في موضع الغضب هو فروسية وشجاعة وأخلاق ، وإذا كان ولابدَّ من الغضب ، فكظم الغيظ في النفس ، وعدم إظهاره أمام المجتمع ، وهو من فضائل الرجال ، وخيرُ مثالٍ على ذلك في هذا الصدد هو سابع أئمة أهل البيت الكرام عليهم السلام ، إلإمام أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام الملقب بالكاظم لكثرة ما كان يكتم من الغيظ ، ويتحمل من الأذى .

الخامس والعشرون : قال الإمام الحسن عليه السلام (٥٠) : الجودُ بذل المجهود .

الجود هو خصلة من الكرم والقِرا ، لذا يجب أنْ يكون الجود بما يليق بالجواد وعلى قدر استطاعته وامكاناته وحاجة السائل ، لذلك قالوا الجود من الموجود ، وبتعبير آخر كنْ جوادًا بحدود قدرتك المادية ، فلا تعطي قليلًا ، والله قد أنعم عليك بنعمةٍ فضيلةٍ ، اعطِ بما يليقُ بك ، وفي الوقت نفسه لا تعطي عطاءً يؤثر على حياتك المادية فيجعلك محتاجًا .

السادس والعشرون : قل الإمام الحسن عليه السلام (٥١) : من اتكل على حُسن الاختيار من الله ، لم يتمنَ أنَّهُ في غيرِ التي أختارها الله له .

مهما يكن اختيارك جيدًا ، فإنْ لم يحظَ برضا الله سبحانه وتعالى ، فلا قيمة له ، لأنَّ الخيرَ بل كلَّ الخيرِ يتوافر فيما يختاره الله لك ، لأنَّك لا تعرف ما يخبئه لك القدر من امر ، والله وحده يعرف ذلك ، لأنَّهُ محيطٌ بالماضي والحاضر والمستقبل ، فأرضَ بما اختاره الله لك ، فهو حسبك وحرزك من كلِّ شيءٍ .

السابع والعشرون : قال الإمام الحسن عليه السلام (٥٢) : ما تشاور قومٌ إلا هدوا الى رشدهم .

التشاور هو تبادل الآراءِ والأفكار ، قد يغيب عنك الرأي فتجده عند أصحابك من خلال المشورة ، وعدة آراءٍ أفضل من رأي واحد ، القرآن الكريم اكد المشاورة ، فالمشاورة هو أنْ تستشير اصحابك ، لتنتفع من آرائهم، ولكنَّك لست ملزماً بالأخذ برأيهم ، والقرآن الكريم أكد هذه الحقيقة في خطابه للرسول الأعظم محمّد صلى الله عليه واله في قوله تعالى (٥٣) : { وشاورهم في الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله } ، ذلك لأنَّ الرأي الصائب يكون بالتشاور ومع الجماعة .

الثامن والعشرون : قال الإمام الحسن عليه السلام (٥٤) : رأسُ العقل معاشرة الناس بالجميل .

العقل هو أفضل ما خلق الله (٥٥) ، فجعله تاجاً على رؤوس المؤمنين والمؤمنات ، والرأس هو قمة هرم الإنسان ، وهو أعلاها مرتبة ومنزلة ، ومعاشرة الناس بالجميل تعني معاملتهم بالأخلاق والأدب وبالمعروف بما يليق بهم من تقدير واحترام ، فيما يكون غير ذلك من المنكر الواجب النهي عنه ويتمثل هنا بالغش ، لأنَّ المعاملة الحسنة أدعى للمحبة والطاعة ، ويضيف الإمام الحسن عليه السلام قائلاً (٥٦) : لا يغش العاقل من استنصحه، العاقل هنا تعني المؤمن المتكامل الإيمان ، الصادق في قوله ، والغش من المذمومات فالمسلم الحقيقي لا يكذب ولا يغش ، لأنَّ رسول الله صلى الله عليه واله قال (٥٧) : من غشَّ ليس منا ، أي ليس من المسلمين .

التاسع والعشرون : قال الإمام الحسن عليه السلام (٥٨) : المصائب مفاتيحُ الأجر .

المصائب هي الاختبارات الربانية ، التي يختبر بها الخالق عبادَهُ ، هلْ همُ صبَّرٌ أم لا ، فالمصيبةُ التي تعتري الإنسان المسلم الصابر المؤمن بقضاء الله سبحانه وتعالى ، هي مفتاحٌ من مفاتيح الجنة ، فالنبي أيوب عليه السلام عندما استسلم لقدر الله وقضاءه ، وصبرَه على ما ابتليَ بهِ من المصائب والمحن ، أعطاه الله في نهاية المطاف ضعف ما أخذ منه ، والقرانُ الكريم أكد ذلك بقوله تعالى (٥٩) : { وآتيناه أهلهُ ومثلهم معهم رحمة من عندنا } ، أما الإمام الحُسين عليه السلام عندما أحاطت بهِ المحنُ والخطوبُ والمصائبُ قال (٦٠) : (رضا اللهُ رضانا أهلَ البيتِ ، نصبرُ على قضاءِهِ فيوفينا أجورَ الصابرين) ، على الإنسان المسلم أن يستسلم لقضاء الله وقدره فلا يجزع ، لأنَّهُ لا يستطيع أنْ يغير من الأمر شيئا فقال تعالى (٦١) : {سواءٌ علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص} ، ومعنى ذلك إذا رضينا بقضاء الله أم لم نرضَ لن نغير ما قضى الله علينا ، ولكن الصابر المحتسب له أجرٌ وثواب ، والجازع عليه إثمٌ وعقاب .

الثلاثون : قال الإمام الحسن عليه السلام (٦٢) : أوسع ما يكون الكريم بالمغفرة إذا ضاقت بالمذنب المعذرة .

المغفرة هي العفو والصفح وهي من الصفات الحميدة ، وهي مفردة من مفردات الجود والكرم والحلم ، وهذه كلُّها من صفات الصالحين ، فالمغفرة هي التسامح والتجاوز عن المذنب والمسيء من باب الإصلاح والتوجيه الى طريق الحق الذي يرضاه الله لعباده ، فإنْ كنت مقتدرًا على معاقبة المذنب الذي وقف بين يدك ولم يجد ناصرًا او مدافعًا عنه والتجأ الى الله ، فبادر بالعفو عنه والتجاوز عن ذنبه ، لأنَّه حينما ضَعُفَ عن الدفاع عن نفسه ، وسدت أبواب السبل بوجهه ، ولم يجد غير باب الله مفتوحًا أمامه فلجأ اليه ، وأصبح بموجب هذا الموقف مظلومًا ، فالإمام الحُسين عليه السلام يلفت نظر ابنه الإمام علي زين العابدين الى ذلك بقوله(٦٣) : (يا بني إياكَ وظلم من لا يجدُ عليك ناصرًا إلا الله) .

الحادي والثلاثون : قال الإمام الحسن عليه السلام (٦٤) : تُجْهَلُ النِّعمُ ما أقامتْ ، فإذا ولّتْ عُرِفَتْ .

النِّعمُ هي هبةٌ من الله الى خلقه ورحمةٌ ، والنعمة تحتاج الى صيانة ورعاية ، فالنعم تُصان بالشكر ، ومن يهبك شيئًا عليك أن تشكره ، وفي حالة عدم شكرك لمن وهبك النعمة ، ستحدث بينك وبينه جفوة وفجوة وتباعد ، فإذا شكرت من وهبك وأكرمك ونعمك ، ستكون قريباً من رحمة الله ، لذلك قالوا : بالشكر تدوم النعم ، لأنَّ الشكر هو ادامة الصلة والتواصل بين العبد والمنعم ، والخالق هو المنعم الأول فيقول لعباده : إنْ شكرتم لأزيدنكم ، أي اقربَكم مني وأدخلكم جنتي ، ومعظم الناس عندما يكونوا منعمين ، ينسون شكر الواهب المنعم لأنَّهم منغمسون في ملذات الحياة الدنيا ومباهجها ، وعندما يسلبهم الله نعمته لطغيانهم واسرافهم في ملذاتهم ، وابتعادهم عن المعروف ، وقربهم من المنكر والمحذور ، هنا يتذكر الإنسان أنَّهُ كان يعيش بنعمة الله ، ولكنَّهُ أضاعها بإهماله لها ، لأنَّهُ لم يكن من الشاكرين لأنعم الله عليه .

الثاني والثلاثون : قال الإمام الحسن عليه السلام (٦٥) : المزاحُ يأكلُ الهيبة ، وقد أكثرَ من الهيبةِ الصامت .

المزاحُ نوع من أنواع اللهو والعبث يشتركُ فيه اثنين أو أكثر ، والمزاح كما هو شائعٌ نوعٌ من اللهو وخفة في النفس قائدُها الهوى ، المزاح هو بالضدِّ تمامًا من الوَقار والسكينة ، وتاجُ الوقارِ الهيبة ، فإذا سقطتْ الهيبة سقطتْ قيمة الإنسان ، لأنَّهُ من خلال المزاح أصبحَ موضع سخرية وتندر .

الثالث والثلاثون : قال الإمام الحسن عليه السلام (٦٦) : الشجاعَةُ موافقة الإخوان ، والصبرُ عند الطِّعان .

الشجاعةُ درجة عالية من البطولة ، ذلك لأنَّ الشجاعة تميزٌ في البطولة، والشجاعة من صفات الرجال المعتدلين ، وتكون قيمتها أكبر عندما تكون منسجمة ومتوافقة مع اخوانك في الدين والمعتقد ، لذلك قلت في مقال سابق لي : إنَّ كلِّ من كان مع الإمام الحُسين عليه السلام في يوم الطف هو بطلٌ وشجاع ، لأنَّ من يمتلك هذه الصفات ومؤمنًا بما يعتقد ، لا يهاب العدو ، ولا يخافُ من قراعَ السيوف وطعن الرماح ، وهكذا كان أهل بيت الإمام الحُسين عليه وأصحابه في يوم الطف الخالد ، وبذلك نالوا الدرجات العُلا في الجنة بعد أنْ زكاهم الإمام الحسين عليه السلام في قوله(٦٧) : لا أعلمُ أصحابًا أصلحُ منكم ، ولا أهل بيتٍ أبرُّ ، ولا أفضلُ من أهل بيتي .

الرابع والثلاثون : قال الإمام الحسن عليه السلام (٦٨) : هلاكُ الناس في ثلاثٍ : الكِبْرُ ، والحرصُ ، والحسدُ ، فالكبر هلاك الدين ، وبهِ لُعِنَ إبليس ، والحرص عدوُّ النفس ، وبه خرجَ آدمُ (عليه السلام) من الجنةِ ، والحسدُ رائدُ السوء ومنه قتلَ قابيلُ هابيلَ .

الإمام الحسن عليه السلام حدد للناس الأمور التي تؤدي الى هلاكهم، وهم لا يشعرون بها ولا يدركونها ولا يحيطون بها علمًا ، وسماها لهم ، فأول هذه الأمور : الكبر والتكبر على الآخرين ، وعلى الانسان العاقل أنْ يعرف حجمه وموضعه ولا يتطاول على غيره ، ومثال كفار قريش في مكة كانوا يتكبرون على الناس ويتعالون عليهم ، ولا يرضون أن يتساووا في المكانة والمنزلة مع مواليهم وعبيدهم من أمثال أبي جهل ، وأمية بن خلف ، وأبي سفيان ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة فأكبهم الله على وجوههم في النار ، علماً أنَّ الله خلق الناس بمقادير ، وأول من خرج على

هذه المقادير ابليس لعنه الله حينما رفض السجود لآدم عليه السلام ، وقد أمر الله كلِّ من كان في الجنة أنْ يسجد لآدم ، فسجدوا إلا ابليس رفض تنفيذ امر الله ، لأنَّهُ كان يعتقد في قرارةِ نفسه أنَّهُ أفضلُ من آدم ، لأنَّهُ مخلوقٌ من نار، وآدم مخلوقٌ من طين ، وذلك بداعي الكبر والتكبر ، ونتيجة لهذا العصيان للأمر الألهي ، غضب الله عليه وطرده من الجنة مذمومًا مدحورًا ، وعلى المسلم المؤمن الحقّ أنْ لا يتكبر ولا يتبختر فيخرج من طاعة الله ويلقى مصير ابليس لعنة الله عليه ، وثاني هذه الأمور هو الحرص والحرص نوعٌ من البخل فلا ينفقون على انفسهم ولا على عوائلهم ولا يعطون شيئًا لليتيم والفقير على الرغم من قدرتهم المادية على الإنفاق إلا أنَّ البخل يمنعهم من ذلك ، والأمرُ الثالث وهو الحسد ، والحسد أنكَ لا تقتنع بما قسم الله لك من رزقٍ ، وتنظر الى ما في يدِ غيرك من نعمة وتتمنى زوالها ، ومثال ذلك حسدُ قابيل لأخيه هابيل ، لأنَّ الله استجاب لدعاء هابيل وتقبل ما قدم من قربان ، ولم يستجب لدعاء قابيل ولم يتقبل قربانه ، فحسده على هذه المكانة العلية التي حاز عليها هابيل ولم يحصل عليها قابيل .

الخامس والثلاثون : قال الإمام الحسن عليه السلام (٦٩) : السماحُ : البذلُ في السَرَاءِ والضّرّاءِ .

السماحُ من أرقى أنواع العطاء ، لاحظ أنَّ الإمام الحسن عليه السلام قد أضاف للعطاء البذل ، وهي من أروع الإضافات والمتلازمات ، البذل هو العطاء من غير أن تنتظر شكرًا من أحد ولاسيما السائل ، وقيمة البذل تكون أكبر عندما يكون المُعطى قد مسهُ الضّرُّ ، وضاقت به السبل ، وأصبح في موقف حرج ، وتأتي أنت فتمدَّ له يد العون على تجاوز ما يمرُ به من عوز مادي ، وتفرح قلبه بعد أنْ فرجت كربته ، وكذا البذل في السراء لهُ أجره وثوابه ، وهو أكبر من ثواب البذل علنًا ، وخيرُ من جسد هذا القول فعلاً وعملاً هو أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حينما أعطى السائل ، والإمام كان يؤدي الصلاة ، فنزل قوله تعالى(٧٠) : { اللذين يقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة وهم راكعون } .

السادس والثلاثون : قال الإمام الحسن عليه السلام (٧١) : التَّفَكُّرُ حياةُ قلب البصير .

التفكرُ هو من أنواع التأمل والتعقل ، والتعقل من العقل وهو الذي يسوس الإنسان ، والتفكر يحيي القلب ، وينمي بصيرته باتجاه الخير ، لأنَّ الله أعطى للعين البصر ، فيما أعطى للقلب البصيرة ، إذًا البصيرة هي الحجة والفطنة ، وهي عقيدة القلب من الدين ، والاستبصار في الشيء هو الإحاطة به عن سابق معرفة (٧٢) ، ويُعَدُّ أبو الفضل العباس ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام هو أفضل من جسد البصيرة بحذافيرها يوم الطف الخالد حينما بذلَ عمره الشريف في الدفاع عن الإسلام ، وعن أبي الأحرار وسيد الشهداء الإمام أبي عبدالله الحسين عليه السلام ، لذلك نقول له في الزيارة (٧٣) : أشهدُ أنَّكَ لم تهنْ ، ولم تنكلْ ، وأنَّك مضيتَ على بصيرةٍ من أمركَ مقتدياً بالصالحين ومتبعاً للنبيين .

السابع والثلاثون : قال الإمام الحسن عليه السلام (٧٤) : لا يُعرف الرأي إلا عند الغضب .

الرأيُ هو عصارةُ خبرة الإنسان في موضع المناسبة ، والآراء والأفكار هُنَّ بنات العقل ، والعقل هو الجوهرة التي تقود الإنسان ، وكلما كان عقل الإنسان أكبر كان حظه في الآراء أكبر ، ومن الصفات المهمة التي تساعد العقل على انتاج رأيٍ مفيد هو الحلم ، لأنَّ الحلم هو صمام الأمان للرأي ، والحلم هو الذي يمتص الغضب ويهدئ من روع الإنسان ويجعله قادرًا على كبح جماح نفسه ، وقادرًا على اتخاذ القرار السليم بحكمة ودراية، فالحليم هو من يكتم غضبه في موقف الحدث ، ولا يتسرع في اصدار رأيه، لأنَّ في العجلة الندامة ، ولا ينفع بعدها عض الأنامل والأصابع .

الثامن والثلاثون : قال الإمام الحسن عليه السلام (٧٥) : الفُرصة سريعة الفوت بطيئة العَوْد .

الفرصة هي المناسبة التي تتاح لك ، فعلى الإنسان أن يستثمر فرص الخير في حياته ، ليطور نفسه في الاتجاهات كافة ، وعليه أن يسرع

لاغتنامها ويعمل بموجبها ، قال الإمام علي عليه السلام (٧٦) : (الفرصَة تمرُّ مرَّ السحاب ، فانتهزوا فرص الخير) ، وإذا ما ذهبت الفرصة ، قد لا تعود، وبذلك تكون قد فرطت بفرصة نجاحٍ تباطئت في اغتنامها .

التاسع والثلاثون : قال الإمام الحسن عليه السلام (٧٧) : الحزمُ أنْ تنتظرَ فرصتك ، وتعاجلَ ما أمكنَكَ .

الحزمُ : هو ضبط الإنسان أمره ، والأخذُ فيه بثقة ، والحازم هو الرجل العاقل المميز الحكيم (٧٨) ، والحازم هو من يراقب الأمور حتى إذا ما اتتهُ الفرصة المؤاتية اغتنمها بسرعة ، وقبض عليها ولم يدعها تفلت من يده .

الأربعون : قال الإمام الحسن عليه السلام (٧٩) : الوحشةُ من الناسِ على قدرِ الفطنةِ بهم .

الوحشة تعني عدم الارتياح من بعض الناس ، لأسباب مختلفة ، يعرفها الفطن فقط .

الحادي والأربعون : قال الإمام الحسن عليه السلام (٨٠) : السَّناءُ إتيان الجميل ، وترك القبيح .

السَّناءُ : هو الرفعة والمكانة العلية ، قال رسول الله صلى الله عليه واله(٨١) : (بشر أُمتي بالسناء) ، والسناء ارتفاع المنزلة والقدر عندالله ، السناء أو الرفعة هو المجيء بالحسن المرضي عند الله سبحانه وتعالى فضلًا عن تجاوز السيء المكروه ، والسناء هو من أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الثاني والأربعون : قال الإمام الحسن عليه السلام (٨٢) : الحرمان تركك حظك ، وقد عُرِضَ عليك .

أراد الإمام الحسن عليه السلام بالحظ الرزق ، والأرزاق هي بيد الله يرزق من يشاء بغير حساب ، الإمام الحسن يخاطب الناس ويقول لهم : ارضوا بما قسم الله لكم ، ولا تعترضوا ولا ترفضوا ما أعطاكم الله ، لأنَّهُ إذا سلبها منكم ستحرمون من عطائه والذي لا يعطيه الله هو المحروم ، فإذا

أعطاك الله كثيرًا أو قليلًا ، خذهُ وأنت شاكرًا لله على ما اعطاك ، فهو يقول: لأنْ شكرتم لأزيدنكم ، وبالشكر تدوم النعم التي هي أرزاق العباد .

الثالث والأربعون : قال الإمام الحسن عليه السلام (٨٣) : السَّفاهُ الأحمق في ماله ، المتهاون في عرضه .

السفاهُ هو السفيه ، والسفيه الرجل الجاهل القليل الحلم (٨٤) ، والحمقُ وجه من وجوه السفاهة ، لذلك يكون الأحمق ناقص العقل (٨٥) ، والأحمق الجاهل هو من لا يعرف كيف يتصرف بماله فيضيعُ منه نتيجة لتصرفاته السيئة الرعناء ، وفي الوقت يكون الأحمق السفيه ، قليل الغيرة على عرضه وشرفه .

الرابع والأربعون : قال الإمام الحسن عليه السلام (٨٦) : الخيرُ الذي لا شرَّ فيهِ ، الشكرُ مع النعمة ، والصبرُ على النازلة .

الخير الذي لا شرَّ فيه هو المال الذي حلت فيه البركة ، والنعمة والشكر صنوان متلازمان لا يفترقان ، لأنَّهُ لا نعمة بدون شكر ، ولا شكر قبل النعمة، النازلة هي المصيبة وعلى المسلم المؤمن أن يتقبلها بصدر رحب مستعينًا بالصبر عليها ، لأنَّهُ لا يستطيع أنْ يرد القضاء ، وما عليه إلا الصبر ليُثاب على ما أصابه ، وأما إذا جزع ولم يصبر على قضاء الله فإنَّهُ آثمٌ قلبه .

الخامس والأربعون : قال الإمام الحسن عليه السلام (٨٧) : العارُ أهونُ من النار .

العارُ هو السُبة السيئة التي تلحق بالإنسان فتحطُ من قدرهِ وشرفهِ ومكانتهِ ومنزلتهِ ، وتخدشُ حيائهُ ، والنار هنا هي نارُ الآخرة وليست نار الدنيا ، لذلك تكون السُبة السيئة أشرف من دخول النار ، قال الإمام الحُسين عليه السلام في يوم عاشوراء (٨٨) :

القتلُ أولى من ركوبِ العارِ والعارُ أولى من دخولِ النارِ

السادس والأربعون : قال الإمام الحسن عليه السلام (٨٩) : لا رأيَ لمكذوبٍ .

المكذوب هو الرجل الكاذب الكذّاب ، الذي لا أمانة فيما يقوله وينقله، فالإمام الحسن عليه السلام يحذر المسلمين والمجتمع بصورةٍ عامة منه ، لأنَّهُ قد يخدعك فيما يعطيك من الراي ، فالواجب عدم التعامل معه مع عدم اعتماد ما يصدر عنه من الراي ، فالكاذب غير مؤتمن على أقواله .

السابع والأربعون : قال الإمام الحسن عليه السلام (٩٠) : بينكم وبين الموعظة حجابُ العزَّة .

الموعظة : هي النصيحة مع الإرشاد ، وقد تأخذ الانسان العزّة بالإثم، والعزَّة بالإثم هي الحاجز المقصود بقول الإمام الحسن عليه السلام ، فصاحب العزَّة الآثمة حينما يستمعُ لموعظة من هو أدنى منه مرتبة وأصغر منه عمراً، يضطرب وتأخذه العزة بالإثم ، وهذه من صفات الجاهلية ، فالعلم والمعرفة لا يلتزمان بضوابط العمر أو المكانة التي يتبؤها الانسان في مجتمعهِ ، فعلى الإنسان الواعي والعاقل أن يأخذ الموعظة من مصدرها أيًا كانت مرتبة صاحبها وعمره .

الثامن والأربعون : قال الإمام الحسن عليه السلام (٩١) : صاحب الناس بمثل ما تحب أنْ يصاحبوك به ، تكن عدلاً .

مصاحبة الناس أمر مهم في مجتمعٍ تكاملي بعضه يتمم بعضًا ، فأنت بحاجة لأبناء مجتمعك ، وهم بحاجة لك ، لذا يجب انْ تكون المعاملة بالمثل، وكما يقول المثل احترم تحترم ، فإذا أردت محبة الناس فصاحبهم بالمعروف والاحترام وعدم الانتقاص منهم ، والتعالي عليهم ، بموجب هذه المصاحبة سيحبوك ويحترموك لأنَّك أحببتهم واحترمتهم وتفاعلت معهم بصفتك واحدًا منهم ، لذلك تكون المعادلة عادلة بين الطرفين .

التاسع والأربعون : قال الإمام الحسن عليه السلام (٩٢) : الوعدُ مرضٌ في الجود ، والإنجاز دواؤهُ .

الجود : هو الكرم والعطاء ، ومن مواصفات الكرم والجود أنْ يُعطى العطاء مباشرة ، لانَّ الذي ينتظر العطاء هو بحاجة اليه لحلِّ أموره ، ولا

يحتمل التأجيل والتسويف لذا عدَّ الإمام الحسن التأجيل والتسويف مرض ، فيما كان الإنجاز مرهمًا لعلاج العوز والحاجة الى العطاء .

الخمسون : قال الإمام الحسن عليه السلام (٩٣) : ما رأيتُ ظالمًا أشبه بمظلومٍ من حاسد .

الحاسد هو من يتمنى زوال نعمة الآخرين ، والحسد مرض نفسي يشعر صاحبه بالنقص ، فهو دائم النظر الى ما في يد غيره ، والحاسد بحسده ظلم الناس بعد أنْ أزال نعمتهم ، وبذلك هو ظالم ، ولأنَّهُ مريضٌ نفسياً فهو بمثابة المظلوم ، كما وصفه الإمام الحسن عليه السلام .

الحادي والخمسون : قال الإمام الحسن عليه السلام (٩٤) : لا تعالج الذنب بالعقوبة ، واجعل بينهما للاعتذار طريقًا .

لم يخلق الإنسان كاملًا خلوًا من النقص والعيوب ، والأخطاء هي من العيوب ، ولما أرد الله سبحانه وتعالى أن يصلح الإنسان ليكون مؤهلًا لإعمار الأرض ، أرسل إليه الرسل لتعليمه وتوجيهه ، إذا أخطا ، والخطأ نوعين متعمد وغير متعمد ، فغير المتعمد يمكن معه الصفح والسماح ، والمتعمد ينصح المخطئ أنْ كان خطأه لأول مرة ، ويكون الإعتذار منه مقبولًا، وإن كرر الخطأ فهناك عقوبة تسمى عقوبة أصلاحية ، لعله ينتفع منها .

الثاني والخمسون : قال الامام الحسن عليه السلام (٩٥) : فوت الحاجة خير من طلبها (من) غير أهلها .

لو كنت محتاجاً لحاجة ما عند شخص لا يملكُ من الصفات الإنسانية ومكارم الأخلاق شيئًا ، عليك تجاوز تلك الحاجة وإن كانت مهمة ، وأنت بحاجة ماسة لها ، لأنَّ رفض حاجتك أصعب عليك من تنفيذها من شخص لا يمتلك من مكارم الإخلاف شيئًا ، فانَّهُ بسوء خلقة سيخجلك ويذهب بماء وجهك ، وقالت العرب قديماً : لا تطلب الحاجات إلا من أهلها .

الثالث والخمسون : سُئِلَ الإمام الحسن عليه السلام عن الصمت فقال(٩٦): ستر العيّ ، وزين العرض ، وفاعله في راحة ، وجليس آمن .

العيّ : علة تصيب اللسان وتحبسه عن النطق ، وأراد الإمام عدم التكلم فيما لا يعنيك ، أما زين العرض فهو أن تعرض ما عندك بصدق وأمانة ، لكي يرتاح ضميرك ويطمئن إليك المقابل ، والجليس الآمن هو أن يأمن جليسك على نفسه من أن يُغْدر به أو يفتك .

الرابع والخمسون : قال الإمام الحسن عليه السلام (٩٧) : من طلب العبادة تزكى لها .

من أراد أن يتفرغ لعبادة الله سبحانه وتعالى عليه أن يزكي نفسه أي أنْ ينقيها من شوائب المنكر والموبقات وكلِّ ما حرم الله ، لتكون عبادته خالصة لله وحده لا نفاق فيها .

الخامس والخمسون : سأل رجلٌ من أهل الشام الإمام الحسن عليه السلام قائلاً (٩٨) : كم بين الحقّ والباطل ؟

فقال عليه السلام : أربع أصابع ، فما رأيته بعينك فهو الحقُّ ، وقد تسمع بأذنيك باطلًا كثيرًا ، أربع أصابع الإيمان ما سمعناه ، واليقين ما رأيناه.

قال : كم بين السماء والأرض ؟

فقال : دعوة المظلوم ومد البصر .

قال : كم بين المشرق والمغرب ؟

فقال : مسيرة الشمس .

السادس والخمسون : سأل معاوية بن أبي سفيان الإمام الحسن قائلًا يا أبا محمد (٩٩) : ثلاث خِصال ما وجدتُ من يخبرني عنهن ؟

قال عليه السلام ما هي ؟

قال المروءة والكرم والنجدة .

فقال عليه السلام : أما المروءة : فإصلاح الرجل أمر دينه ، وحُسنَ قيامه على ماله ، ولين الكف وإفشاء السلام ، والتحبب الى الناس .

والكرم : العطية قبل السؤال ، والتبرع بالمعروف ، والإطعام في المحل .

ثُمَّ النجدة : الذب عن الجار ، والمحاماة في الكريهة ، والصبر عند الشدائد .

هذه الكلمات الثلاث وعلى الرغم من وضوح معانيها إلا اعلنت عن جهل معاوية بها ، وهو المدعي بأنَّهُ الحاكم الشرعي ، وبذلك كشف عن نفسه من خلال اجابة الامام الحسن عليها بأنَّهُ لا يصلح لقيادة الأمة، وهو مغتصب جائر جلس في محل لا يستحقه ليس جديراً به، ولا أهلا له .

السابع والخمسون : كتب ملك الروم الى معاوية بن أبي سفيان يسألهُ عن ثلاث : عن مكان بمقدار وسط السماء ، وعن أول قطرة دمٍ على الأرض، وعن مكان طلعت فيه الشمس مرة ، فلم يعرف معاوية الجواب ، فاستغاث بالإمام الحسن بن علي عليهما السلام .

فأجاب الإمام الحسن عليه السلام (١٠٠) : ظهرُ الكعبة ، ودمُ حواء ، وأرضُ البحر حين ضربه موسى .

الثامن والخمسون : قال الإمام الحسن عليه السلام (١٠١) : غَلِم الناسّ علمكَ ، وتعلم علم غيرك ، تكون أتقنت علمك ، وعَلِمتَ ما لم تعلم.

لكل إنسان جانبُ من العلم وحظ ، فعلي الإنسان أن يتبادل العلم والمعرفة يعطي ويأخذ ، يعلم الناس ما عنده ويتعلم منهم ما ليس عنده ، وبذلك يزداد خزينه العلمي والمعرفي وفي الوقت نفسه يتقن علمه ويحفظه ويزداد علمه من خزين علم غيره .

التاسع والخمسون : قال الإمام الحسن عليه السلام (١٠٢) : إذا أضرت النوافل بالفريضة فأرفضوها .

الصلوات الخمس فرض واجب التطبيق ، والنوافل من المستحبات ، بإمكان المسلم أنْ لا يصلي النوافل ، ولكن الفروض الخمس واجب ، واذا تقاطعت الواجبات مع المستحبات يجب ترك النوافل وإقامة الواجبات.

الستون : قال الإمام الحسن عليه السلام (١٠٣) : أحْسَنُ الحُسْن ، الخُلُقُ الحَسَن .

احسن الامور هي الأخلاق الحسنة وهي ر أس مال الرجل العاقل ، لذلك لما بعث اللهُ النبيَ محمّدًا صلى الله عليه واله الى الناس كافة ، كان حديثه الأول هو (١٠٤) : إنَّما بعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق ، فالأخلاق تاج كلِّ شيء ، فالإمام الحسن عليه السلام يقول : خير الأخلاقِ الأخلاقُ الحسنة .

الحادي والستون : سُئِلَ الامام الحسن عليه السلام (١٠٥) : من أحسنُ الناسِ عيشاً؟ ، فقال عليه السلام : من أشركَ الناسَ في عيشه ، وسُئِلَ من أشر الناس عيشاً ؟ فقال : من لا يعيش في عيشه أحد .

أحسنُ الناسِ عيشاً ، هو الذي يُشْرِك الناسَ في طعامه ، وهو الجواد الكريم ، اما الأسوء فهو الذي يمنع الناس من مشاركته في طعامه وهو البخيل اللئيم .

الثاني والستون : رأى الإمام الحسن عليه السلام رجلاً أبلًا من علةٍ فقال له (١٠٦) : إنَّ الله ذكرك فاذكره ، وأقالك فاشكره .

رأى الامام الحسن رجلا انهكته العلة والمرض ، فأراد الإمام الحسن عليه السلام أنْ يخففَ عنه بعض آلامه ، فأخبره أنَّ المرض ابتلاءٌ واختبار للإنسان ، فإنْ صبر فله الأجر والثواب ، والله هو يختار من يمتحنهم ، اشكر الله لاختيارك ، وتقدم له بالشكر ، ليعجل لك بالشفاء والعافية والثواب والأجر.

الثالث والستون : سُئِلَ الإمام الحسن عليه السلام عن السياسة فأجاب(١٠٧) : هي أنْ ترعى حقوقَ الله ، وحقوقَ الأحياء ، وحقوقَ الأموات، فأما حقوق الله : فإداء ما طُلب ، والاجتناب عمّا نُهي ، وأما حقوق الأحياء:

فهي أنْ تقومَ بواجبك نحو إخوانك ، ولا تتأخر عن خدمة أمتك ، وأنْ تخلص لولي الأمر ما أخلص لأمته ، وأنْ ترفع عقيرتك في وجهه ، إذا ما حاد عن الطريق السوي ، وأما حقوق الأموات : فهي أنْ تذكر خيراتهم وتتغاضى عن مساوئهم ، فإنْ لهم ربًّا يحاسبهم .

أراد الإمام الحسن عليه السلام بحقوق الله أن تكون عبادتك خالصة لوجه الله ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتلتزم بالحلال ، وتبتعد عن الحرام والموبقات ، وأنْ تكون عضوًا صالحًا في المجتمع ، تتعاون مع الجميع وتقدم المساعدة التي تقدر عليها لمن يحتاجها ، وأنْ تكون مخلصًا لولي الأمر ، وهو السلطان أنْ كان عادلًا فسر تحت لوائه وإنْ كان ظالمًا ، ارفع صوتك بوجهه عاليًا ، واطلب منه أنْ يسوس البلاد والعباد بالحق والعدل ، إما حقوق الأموات فهي أنْ تذكر محاسنهم وخيراتهم وتتغاضى عن ذنوبهم وسيئاتهم ، لأنَّك لست مسؤولا عن أعمالهم ، فالله وحده هو من يحاسب الناس على ما قاموا من أفعال .

الرابع والستون : كان الإمام الحسن عليه السلام يطوفُ في بيت الله الحرام ، فسأله رجلٌ عن معنى الجواد ، فقال له (١٠٨) : إنَّ لكلامكَ وجهين: إذا كنتَ تسأل عن المخلوق ، فإنَّ الجوادَ الذي يؤدي ما افترضَ عليه ، والبخيل الذي يبخل بما افترض عليه ، وإنْ كنت تسأل عن الخالق : فهو الجواد إنْ أعطى ، وإنْ منع ، لأنَّهُ إنْ أعطى عبدًا أعطاه ما ليس له ، وإنْ منعْ منعَ ما ليس له .

الجود هو الكرم والعطاء ، والبون شاسع وبعيد بين جود الخالق وجود المخلوق ، فالإمام الحسن عليه السلام وضح لنا ما كان غامضًا علينا ، فجود البشر تتحكم فيه النفس البشرية وهي تخطيء وتصيب ، والجود الإلهي تملكه أرادة الله فهو يعطي من يشاء ويمنع عمن يشاء ولا اعتراض على حكمه .

الخامس والستون : قال الإمام الحسن عليه السلام (١٠٩) : منْ تذكرَ بُعدُ السفر أعتد .

أراد الإمام الحسن عليه السلام بالسفر الموت ولقاء الله ، ومن أراد أنْ يلقى الله بوجهٍ أبيض عليه أنْ يعد العدة لسفرٍ بعيد لا يعلم بمصيره إلا الله ، والعدة هنا تتمثل بالأعمال والأفعال التي يرتضيها الله ويقبلها من عباده ، قال تعالى (١١٠) : {تزودوا فإنَّ خير الزاد التقوى} .

السادس والستون : قال الإمام الحسن عليه السلام (١١١) : قَطْعُ العلمَ عذرُ المُتعلمين .

عندما يسودُ الجهلُ في المجتمعات ، فاعرف أنَّ العلةَ في أبناء المجتمع، وليس في العلم ، لأنَّ الناس هم من ابتعدوا عن العلم والتعلم بجهلهم وكسلهم، فهم يعتذرون بحججٍ واهيةٍ لا تصمدُ امام الحقيقة والمانع الحقيقي هو جهلهم وتخلفهم ، فقد حثَّ الله الناس على طلب العلم والمعرفة في قوله تعالى (١١٢): {فلولا نفرَ من كلِّ فرقةٍ منهم طائفةٌ ليتفقهوا في الدينِ ولينذروا قومَهم إذا رجعوا اليهم لعلَّهم يهتدون} ، أي يذهب بعضهم للتعلم وعنما يتعلموا ، يعودوا الى قومهم فيعلمونهم ما تعلموا ، وكذلك أكد النبيُ مُحمّد صلى الله عليه واله على طلب العلم للنهوض بمستوى المجتمع بما يليقُ به فقال (١١٣): (طلبُ العلمَ فريضةً على كلِّ مسلمٍ) ، أي طلب العلم والمعرفة واجب شرعي على كل مسلم ومسلمة .

السابع والستون : سألَ معاويةُ بن أبي سفيان الإمام الحسن عليه السلام(١١٤) : ما يجبُ لنا في سلطاننا ؟ فقال الإمام الحسن عليه السلام : ما قال سليمانُ بن داود ، قال : وما قال سليمان ؟ قال : إنَّهُ قال لبعضِ أصحابه: أتدري ما يجبُ على الملكِ في ملكه ، وما لا يضرُ إذا أدى الذي عليه منه : إذا خافَ الله في السرِ والعلانيةِ ، والعدلِ في الغضب ، والرضا وقصدٌ في الفقرِ والغنى ، ولم يأخذْ الأموالَ غصبًا، ولم يأكلها إسرافًا وتبذيرًا ، ولم يضره ما تمتعَ به من دنياه إذا كان من خلته .

الأمام الحسن عليه السلام يذكر لمعاوية مواصفات الحاكم العادل وما يجب عليه أنْ يعمل في حكمه ، وهو بصورة عامة تعريضٌ بمعاوية وسياسته الهوجاء مع الرعية وقيادتهم بظلم ، وسلب أموالهم ، وأكلها بالباطل ، وفي الوقت نفسه يظهر للمجتمع الإسلامي جهله وضحالة علمه ومعرفته .

الثامن والستون : سُئِلَ الإمام الحسن عليه السلام عن عشرةِ أشياءٍ بعضُها أشدُ من بعضٍ فأجاب (١١٥) : أشدُ شيءٍ خلقَ الله الحجر ، وأشدُ منه الحديد يُقطعُ به الحجر ، وأشدُ من الحديد النار ، تذيبُ الحديد ، وأشدُ من النار الماء، وأشدُ من الماء السحاب ، وأشدُ من السحاب الريح التي تحملُ السحاب ، وأشدُ من الريح الملك الذي يردها ، وأشدُ من الملك ملك الموت الذي يميتُ الملك ، وأشدُ من ملك الموت ، الموتُ الذي يميتُ ملك الموت ، وأشدُ من الموت أمرُ الله الذي يدفعُ الموت .

هذه أوضح من الشمس في كبد السماء ، فهي لا تحتاج الى شرح أو توضيح .

التاسع والستون : سألَ رجلٌ الإمام الحسن عليه السلام قائلاً (١١٦) : يا ابن رسولَ اللهِ صفْ لي ربَّك كأنَّي أنظرُ إليهِ ، فأطرقَ عليه السلام مليًا ثُمَّ رفعَ رأسه فقال : الحمدُ للهِ الذي لم يكنْ له أولٌ معلومٌ ، ولا آخر متناهٍ ، ولا قبلُ مدركٌ ، ولا بُعدٌ محدودٌ ، ولا أمدٌ بحتيٌ ، ولا شخصٌ فيتجزأ ، ولا اختلافُ صفةٍ فيتناهى ، فلا تدركُ العقولُ وأوهامها ، ولا الفكر وخطورتها، ولا الألباب ولأذهانها صفته فتقول : متى ولا بدئ مما ، ولا ظاهرٌ على ما، ولا باطنٌ فيما ، ولا تاركٌ فهلا ، خلقَ الخلقَ فكان بديئًا بديعًا ، ابتدأ ما ابتدع، وما ابتدأ وفعل ما أراد ، وأراد ما استزاد ، ذالكم اللهُ ربُّ العالمين .

لا اقول أكثر من : أنَّ الله لا تدركُهُ الأبصار والبصائر . ولا تحيطُ به العيون .

السبعون : قال الإمام الحسن عليه السلام (١١٧) : مكارمُ الأخلاقِ عشرٌ : صدقُ اللسانِ ، وصدقُ البأسِ ، وإعطاءُ السائلَ ، وحُسنُ الخُلقِ ، والمكافأة بالصنائع ، وصلةُ الرّحمِ ، والترحمُ على الجارِ ، ومعرفةُ الحقَّ للصاحب ، وقرى الضيف ، ورأسُهنَّ الحياء .

هذه هي مكارم الأخلاق التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه واله(١١٨) : (إنَّما بعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق) .

الحادي والسبعون : سأل ملك الروم معاوية بن أبي سفيان : عمّا لا قبلة له ، وعمّا لا قرابة له ؟ فعجز معاوية عن الجواب ، فأحال الأسئلة الى الإمام الحسن عليه السلام فأجاب (١١٩) : ما لا قبلة له فهي الكعبة ، ولا قرابة له فهو الربُّ تعالى .

القبلة هي اتجاه المسلمون إليها في الصلاة من كل جهاتها فلا قبلة لها، وأما من لا قرابة له ، فهو الله الواحد الأحد ، الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يتخذ صاحبةً ولا ولد .

الثاني والسبعون : سُئل الإمام الحسن عليه السلام عن تفسير قوله تعالى(١٢٠) : { ربنا آتنا في الدُّنيا حسنةً ، وفي الآخرة حسنةً وقنا عذابَ النار} ، فقال عليه السلام (١٢١) : هي العلمُ والعبادة في الدُّنيا ، والجنة في الآخرة .

الدُّنيا دار عملٍ وحساب ، عليك ان تعمل لنفسك من الالتزام بأوامر الله وعدم معصيته من خلال تطبيق الواجبات المفروضة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أما الآخرة فهي حسابٌ وثوابٌ وعقابٌ ، والميزان هو ما قدمت لنفسك من الحسنات ' فالدنيا دار عمل والآخرة دار حساب .

الثالث والسبعون : قال قطب الدين الراوندي : قال الإمام الحسن بن علي عليهما السلام (١٢٢) : من قرأ القرآن كانت له دعوة مجابة ، أما معجلة ، وأما مؤجلة .

القرآن الكريم كلُّهُ خير وبركة ، يثابُ المؤمن على قراءته وتلاوته ويجب قراءته في كل الأوقات ، ولا تهجروه لأنَّ هجر القرآن من الموبقات التي تذهب النعمة والبركة ، والمواظب على قراءة القران الكريم خصه الله تعالى بالإجابة في دعائه ، اجابة أما معجلة في الدنيا ، وأما مؤجلة الى وقتٍ لا يعلمه إلا الله .

الرابع والسبعون : خرج الإمام الحسن عليه السلام ذات مرة في حلةٍ فاخرة وبزة طاهرة ووجهه يشرق حسناً وبهاءَ ، ثُمَّ ركب بغلة فارهة ، وانطلق وحوله حاشيته ، فعرض له في طريقه من محتاجي اليهود في ملابس

رثة ، وقد انهكته العلة ، وارتكبته الذلة ، وهو يحمل جرة ماء على مطاه ، وحاله يعطف عليه القلوب القاسية في شكله ومرآه ، فاستوقف الأمام الحسن عليه السلام ، وقال يا ابن رسول الله أنصفني ، فقال عليه السلام في أي شيء؟

فقال : جدُّك يقول : الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، وأنت مؤمن وأنا كافر ، فما أرى الدنيا إلا جنة لك لتنعم بها ، وتستلذ فيها ، وما أراها إلا سجناً لي ، قد أهلكني ضرُّها واتلفني فقرها .

فلما سمع الإمام الحسن عليه السلام كلامه أشرق عليه نور التأييد ، واستخرج الجواب بفهمه من خزانة علمه وأوضح لليهودي خطأ ظنَّهُ وخطل زعمه وقال (١٢٣) : يا شيخ لو نظرت الى ما أعد الله لي وللمؤمنين في الدار الآخرة مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، لعلمت أني قبل انتقالي إليه في هذه الدنيا في سجنٍ ضنك ، ولو نظرت الى ما أعد الله لك ولكلِّ كافرٍ في الدار الأخرة من سعير نار الجحيم ، ونكالُ عذابِ المقيم ، لرأيت أنك قبل مصيرك إليه الآن في جنة واسعة ونعمةٍ جامعة .

هذه لا تحتاج الى توضيح فقد وضحت نفسها بنفسها من خلال الاسلوب الواضح في عرض الإمام الحسن عليه السلام للموازنة بلغة مبسطة يفهمها الجميع .

الخامس والسبعون : كانت في مسجد رسول الله صلى الله عليه واله تقام حلقات الدرس لتعليم المسلمين ، وكانت أبرز حلقات الدرس هي : للإمام الحسن عليه السلام ، وعبدالله بن عباس ، وعبدالله بن عمر ، فدخل رجلٌ المسجد (١٢٤) وسأل المتحدث في أول حلقة قائلاً : أخبرني عن شاهدٍ ومشهود؟

فقال نعم : أما الشاهدُ فيوم الجمعة ، وأما المشهود فيوم عرفة ، فتجاوزه الى آخر يحدث في المسجد فسأله عن شاهد ومشهود ، فقال : أما الشاهد فيوم الجمعة ، وأما المشهود فيوم النحر ، ثُمَّ تجاوزهما الى الثالث فسأله عن شاهدٍ ومشهود أيضاً فقال : الشاهد رسول الله صلى الله عليه واله، والمشهود يوم القيامة ، أما سمعته عزَّ وجلَّ يقول (١٢٥) : { يا أيها النبي إنا

أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً } ، وقال تعالى (١٢٦) : { ذلك يومٌ مجموع له الناس وذلك يوم مشهود } ، فسأل عن الأول فقالوا : ابن عباس، وسأل عن الثاني فقالوا : ابن عمر ، وسأل عن الثالث فقالوا : الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام .

لو نظرت الى أجابة ابن عباس ، واجابة ابن عمر ، ستجدها متسرعة تخلو من الدليل ، ويعوزها البرهان وهي لا تنهض بأقناع السائل ، وأما إجابة الإمام الحسن عليه السلام ، فكانت مقنعة لأنَّها كانت معززة بآياتٍ من القران الكريم أعطتها قوة القبول والإقناع عند السائل ، كيف لا يكون جواب الإمام الحسن عليه السلام جوابًا مقنعًا ، وهو القرآن الله الناطق .

السادس والسبعون : جرت محاورة رائعة بين الإمام علي عليه السلام وابنه الإمام الحسن عليه السلام ، فكانت المحاورة عبارة عن محاضرة تعليمية للمسلمين وتوضيح ما جهلوه من أمور كثيرة فأحببت أنْ اثبتها ليطلع القارئ الكريم عليها وهي عبارة عن سؤال وجواب وهي كما يأتي (١٢٧) :

يا بني ما السداد ؟

قال : يا أبتِ السداد دفع المنكر بالمعروف .

قال : فما الشرف ؟

قال : اصطناع العشيرة ، وحمل الجريرة .

قال : فما المروءة ؟

قال : العفاف وإصلاح المرء ماله .

قال : فما الدنيئة ؟

قال : النظر في اليسير ، ومنع الحقير .

قال : فما اللؤم ؟

قال : احتراز المرء نفسه ، وبذله عرسه .

قال : فما السماحة ؟

قال : البذل في العسر واليسر .

قال : فما الشُح ؟

قال : أنْ ترى ما في يدك سرفاً ، وما انفقته تلفاً .

قال : فما الإخاء ؟

قال : الوفاء في الشدة والرخاء

قال : فما الجُبن ؟

قال : الجرأة على الصديق ، والنكول عن العدو .

قال : فما الغنيمة ؟

قال : الرغبة في التقوى ، والزهادة في الدنيا .

قال : فما الحلم ؟

قال : كظم الغيظ ، وملك النفس .

قال : فما الغنى ؟

قال : رضى النفس بما قسم الله لها وإن قلَّ فإنَّما الغنى غنى النفس .

قال : فما الفقر ؟

قال : شره النفس في كلِّ شيء .

قال : فما المنعة ؟

قال : شدة البأس ، ومقارعة أشد الناس .

قال : فما الذّل ؟

قال : الفزع عند المصدوقة .

قال : فما الجرأة ؟

قال : موافقة الأقران .

قال : فما الكلفة ؟

قال : كلامك فيما لا يعنيك .

قال : فما المجد ؟

قال : أنْ تعطي في الغرم ، وأن تعفو عند الجرم .

قال : فما العقل ؟

قال : حفظ القلب كما استرعيته .

قال : فما الخرق ؟

قال : معاداتك إمامك ، ورفعك عليه كلامك .

قال : فما الثناء ؟

قال : إتيان الجميل وترك القبيح .

قال : فما الحزم ؟

قال : نول الأناة ، والرفق بالولاة ، والإحتراس من الناس بسوء الظن هو الحزم .

قال : فما الشرف ؟

قال : موافقة الإخوان ، وحفظ الجيران .

قال : فما السفه ؟

قال : إتباع الدناءة ، ومصاحبة الغواة .

قال : فما الغفلة ؟

قال : نركك المسجد ، وطاعتك المفسد .

قال : فما الحرمان ؟

قال : تركك حظك وقد عرض عليك .

الهوامش :

١- بحار الانوار : ١١٧/١ ؛ ينابيع المودة : ٨٢/٣

٢- سنن الترمذي : ٨٩٠ ؛ ينابيع المودة : ٢ / ١٧٠

٣- بحار الأنوار : ٧٨ / ١١٢

٤- تاريخ الطبري : ٥ / ١٦٥ ؛ ينابيع المودة : ٢ : ٤٢٣

٥- سورة الأحزاب ؛ الآية ٣٣

٦- جمهرة خطب العرب : ٢ / ١٥ ؛ كشف الغمة : ٢ / ١٦٥

٧- زيارة الإمام الحسين عليه السلام المعروفة بزيارة وارث .

٨- خطبة الإمام زين العابدين في الشام بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام .

٩- بحار الانوار : ٤٤ / ٤٣

١٠- غررتموني : خدعتموني ، وهي تعني إنَّما تضمر في قلبك ما يخالف ما ينطق به لسانك ، وهؤلاء هم المنافقون .

١١- درداء : وهي العجوز المتقدمة في السن ؛ وقد سقطت أسنانها كافة ؛ وأصبح لسانها عاجزاً عن نطق الحروف بصورة صحيحة .

١٢- الروض الأنف : ٧ / ٣٤

١٣- الهداية الكبرى : الباب الرابع : ١٩٠

١٤- تاريخ الطبري : ١٠/ ٥٨

١٥- وقعة صفين : ١ / ٢١٧ ــ ٢١٨

١٦- لسان العرب مادة : قعس

١٧- المصدر السابق والصفحة نفسها

١٨- جمهرة خطب العرب : ٢ / ١١ ؛ تاريخ الطبري : ٥ / ١٥٩

١٩- ذهل : الذهل هو ترك الشيء عن عمد والإنشغال عنه بغيره ؛ ينظر لسان العرب مادة : ذهل .

٢٠- الفتوح لابن أعثم : ٢ / ٤٦٠

٢١- بحار الأنوار : ٧٨ : ١١٣

٢٢- بحار الأنوار : ٤٤ / ٤٤

٢٣- سورة الأعراف الآية : ١٤١

٢٤- الترح نقيض الفرح

٢٥- شرح نهج البلاغة : ١٦ / ٢٢

٢٦- شرح نهج البلاغة : ٢ / ١٨٤ ؛ الخطبة ٢٠٥

٢٧- من لا يحضره الفقيه : ١/ ٥١١

٢٨- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ٩ / ٢٧٣

٢٩- العقد الفريد : ٣ / ٩٠

٣٠- لسان اعرب مادة : قنع

٣١- بحار الأنوار : ٧٨ / ١١٢

٣٢- العقد الفريد : ٤ / ١٥

٣٣- العقد الفريد : ٤ / ٢١ ، وُلد حبيب بن مَسلمة الفهري في مكة ؛ ورأى الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ وشهد اليرموك ودخل دمشق مع أبي عبيدة ، فعينه على انطاكيا ؛ وولاه معاوية على أرمينية وفيها مات سنة ٤٢هـ .

٣٤- سورة التوبة الآية : ٩

٣٥- بحار الأنوار : ٧٨ / ١٠٦

٣٦- سورة المطففون الآية : ٨٣ ؛ ران : غلب وغطى .

٣٧- بحار الانوار : ٨ / ١٩٨

٣٨- بحار الأنوار : ٧٨ / ١٠٩

٣٩- سورة الحاقة الآية : ١٢

٤٠- بحار الأنوار : ٧٨ / ١١٢

٤١- سورة البقرة الآية :٢٦٤

٤٢- الإمام الحسن المجتبى : بين الواقع السياسي والبناء العقائدي : ٥٦ ، وبحار الأنوار : ٧٨ : ١١١

٤٣- أصول الكافي : ١/ ٣٦ ــ ٣٧

٤٤- أصول الكافي : ٢ / ١٣٥

٤٥- بحار الأنوار : ٧٨ / ١١٤

٤٦- بحار الأنوار : ٧٨ / ١٠٣

٤٧- لسان العرب مادة : شَره

٤٨- بحار الأنوار : ٧٨ / ١٠٢

٤٩- بحار الأنوار : ٧٨ / ١٠٢

٥٠- بحار الأنوار : ٧٨ / ١٠٣

٥١- بحار الأنوار : ٧٨ / ١٠٦

٥٢- بحار الأنوار : ٧٨ / ١٠٥

٥٣- سورة آل عمران الآية : ١٥٩

٥٤- بحار الأنوار : ٧٨ / ١١١

٥٥- أصول الكافي : ١ / ٣٦ ــ ٣٧

٥٦- بحار الأنوار : ٧٨ / ١٠٩

٥٧- صحيح مسلم : ١٥٦
٥٨- بحار الأنوار : ٧٨ / ١١٣
٥٩- سورة الأنبياء الآية : ٨٤
٦٠- بحار الأنوار : ٤٤ / ٣٦٧
٦١- سورة إبراهيم الآية : ٢١
٦٢- بحار الأنوار : ٧٨ / ١١٣
٦٣- أصول الكافي : ٢ / ٣٤٤
٦٤- بحار الأنوار : ٧٨ / ١١٣
٦٥- بحار الأنوار : ٧٨ / ١١٣
٦٦- بحار الأنوار : ٧٨ / ١٠٤
٦٧- اللهوف في قتلى الطفوف : ٥٧ ــ ٥٨
٦٨- بحر لأنوار : ٧ى / ١١١
٦٩- بحار الأنوار : ٧٨ / ١٠٣
٧٠- سورة المائدة الآية : ٥٥
٧١- بحار الأنوار : ٧٨ / ١١٥
٧٢- لسان العرب مادة : بصر
٧٣- مفاتيح الجنان : ٤٦٩ ــ ٤٧٠
٧٤- بحار الأنوار : ٧٨ / ١١٣
٧٥- بحار لأنوار : ٧٨ / ١١٣
٧٦- ميزان الحكمة : ٣ / ٢٣٩٨
٧٧- بحار الأنوار : ٧٨ / ١٠١

٧٨- لسان العرب مادة : حزم
٧٩- بحار الأنوار : ٧٨ / ١٠٣
٨٠- بحار الأنوار : ٧٨ / ١٠٣
٨١- لسان العرب مادة : أسنى
٨٢- بحار الأنوار : ٧٨ / ١٠٤
٨٣ – بحار الأنوار : ٧٨ / ١٠٤
٨٤- لسان العرب مادة سفه
٨٥- لسان العرب مادة : حمق
٨٦- بحار الأنوار : ٧٨ / ١٠٦
٨٧- بحار الأنوار : ٧٨ / ١٠٦
٨٨- اللهوف في قتلى الطفوف : ٧٥
٨٩- بحار الأنوار : ٧٨ / ١٠٩
٩٠- بحار الأنوار : ٧٨ / ١٠٩
٩١- بحار الأنوار : ٧٨ / ١١٢
٩٢- بحار الأنوار : ٧٨ / ١١٣
٩٣- بحار الأنوار : ٧٨ / ١١١
٩٤- الإمام الحسن المجتبى : بين الواقع السياسي والبناء العقائدي : ٥٥
٩٥- الإمام الحسن المجتبى : بين الواقع السياسي والبناء العقائدي : ٥٦
٩٦- مطالب السؤول : ٦٩
٩٧- الإمام الحسن المجتبى : بين الواقع السياسي والبناء العقائدي : ٥٧
٩٨- المناقب : ٢ / ١٥٢

٩٩- تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٢١٥

١٠٠- المناقب : ٢ / ١٥٢

١٠١- الإمام الحسن المجتبى : بين الواقع السياسي والبناء العقائدي : ٥٦

١٠٢- الإمام الحسن المجتبى : بين الواقع السياسي والبناء العقائدي : ٥٦

١٠٣- الإمام الحسن المجتبى : بين الواقع السياسي والبناء العقائدي : ٥٧

١٠٤- صحيح البخاري ، الأدب : ١٠٤ ، المستدرك على الصحيحين : ٦٧٠

١٠٥- الامام الحسن بن علي لعبد القادر أحمد : ٦٢٠

١٠٦- الإمام الحسن المجتبى : بين الواقع السياسي والبناء العقائدي : ٥٦ ، آبل : عليل ومريض .

١٠٧- حياة الامام الحسن بن علي للقرشي : ١ / ١٤٣

١٠٨- حياة الامام الحسن بن علي للقرشي : ١ / ١٤٤

١٠٩- الإمام الحسن المجتبى : بين الواقع السياسي والبناء العقائدي : ٥٦

١١٠- سورة البقرة الآية : ١٩٧

١١١- الإمام الحسن المجتبى : بين الواقع السياسي والبناء العقائدي : ٥٧

١١٢- سورة التوبة الآية : ١٢٢

١١٣- الجامع الصغير : رقم الحديث : ٥٢٤٦

١١٤- تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٢٠٢

١١٥- بحار الأنوار : ١٠ / ٩٠

١١٦- أئمتنا : ١٣٤

١١٧- الإمام الحسن المجتبى : بين الواقع السياسي والبناء العقائدي : ٥٦

١١٨- صحيح البخاري ، الأدب : ١٠٤ ، المستدرك على الصحيحين : ٦٧٠

١١٩- المناقب : ٢ / ١٥٢
١٢٠- سورة البقرة الآية : ٢٠١
١٢١- الاثنا عشرية في المواعظ العددية : ٥٣
١٢٢- الإمام الحسن المجتبى : بين الواقع السياسي والبناء العقائدي : ٦٩
١٢٣- كشف الغمة : ١٦٣
١٢٤- أئمتنا : ١٣٣
١٢٥- سورة الأحزاب الآية : ٤٥
١٢٦- سورة هود الآية : ١٠٣
١٢٧- البداية والنهاية : ٨ / ١٠

القسم الثاني : المناظرات

١)- مع معاوية وعمرو بن العاص ومروان بن الحكم وزياد بن أبيه

٢)- مع معاوية بن أبي سفيان وعبدالله بن الزبير

٣)- مع معاوية بن أبي سفيان

٤)- مع معاوية بن أبي سفيان

٥)- مع مروان بن الحكم

٦)- مع عمرو بن العاص في مكة في الطواف

٧)- مع عمرو بن العاص

٨)- مع مروان بن الحكم

المناظرة في اللغة العربية تعني المواجهة مع الخصم وجهًا لوجه ، وكُلِّ طرفٍ يُدلي بما عنده من أقوالٍ ، ويستعرض مآثرهُ ، وهي تشبه الى حدٍّ كبير المنافرة في الجاهلية التي أسقطها الإسلام ، فالأول يتكلم ، ويقول ما عنده أمام الحضور ، والثاني بعد ذلك يردُ عليه مفندًا ما قاله ، وبعد ذلك يعدد مآثره التي يتمتعُ بها ، وهذه المناظرات حدثت للإمام الحَسن المجتبى عليه السلام بعد الصُلح مع معاوية في عاصمة الأمويين دمشق ، كان من يفتعلها معاوية بن أبي سفيان ويسوسها في محاولة بائسة تثير الشفقة عليه ، وعلى أدواته ، والهدف الأموي من هذه المناظرات هو الانتقاص من مكانة الإمام الحَسن عليه السلام ومحاولة النيل منه إلا أنَّ الامام الحَسن ردَّ كيدَهم الى نحورهم وأدماها ، وأصابها بمقتل ، وكان ردَّهُ عليهم أكثرُ أيلامًا من ضرب السيوف ، وطعن الرماح ، وكان الفشل دومًا حليفهُم في كلِّ المناظرات ، ولا يفارقهم ، ليخرجوا من المناظرات ناكسي رؤوسهم من فشلهم وخيبة أملهم ، لأنَّهم على باطلٍ والحَسنُ عليه السلام على صراطٍ مستقيمٍ ، وعلى الحقّ ، والمناظرات هي كما يأتي :

أولًا : مع عمرو بن العاص ومروان بن الحكم وزياد بن أبيه.

زارَ الإمام الحَسن المجتبى عليه السلام دمشق وافدًا على معاوية بن أبي سفيان ، وقد سبقه بالوصول إليها ابن عمه عبدالله بن عباس ؛ وكان معاوية بن أبي سفيان يعقدُ مجلساً للسمر يتحاورُ فيه بقديم بني أمية ومجدها في الجاهلية والاسلام مع رهطٍ من رؤوس بني أمية من أمثال : عمرو بن العاص ؛ ومروان بن الحكم ؛ وزياد المدعى الى أبي سفيان ، وبحضور رؤساء قبائل الشام ، ووجوه أهل الشام ، فيكثرون القال والقيل، وفي ذات مرة ، قال لهم معاوية (١) : (قد أكثرتم من الفخر ، ولو حضركم الحَسن بن علي ، وعبدالله بن عباس ، لقصروا من أعنتِكُم (٢) ، فقال زياد : وكيف ذاك يا أمير المؤمنين ، وما يقومان لمروان بن الحكم في غربِ منطقهِ (٣) ، ولا في بواذخِنا ، فابعثْ اليهما ، حتى نسمع كلامهما ، فقال معاوية لعمرو : ما تقول في هذا الليل ، فابعثُ لهما في غدٍ ، فبعث معاوية ابنه يزيد اليهما ؛ فأتيا فدخلا عليه ، وبدأ معاوية فقال: إنّي أجلُّكُما ، وأرفعُ من قدركما على كلِّ المسامرِ بالليل ، ولاسيما أنتَ أبا مُحمّد ، فإنَّك ابن رسول الله (صلى الله

عليه وآله وسلم) وسيد شباب أهل الجنة ، فشكر له ، ثم استويا في مجلسهما، عَلِمَ عمرو إنَّ الحدةَ ستقع به فقال : والله لابدَّ أنْ أتكلم ، فإنْ قُهِرتْ فسبيل ذلك ، وإن قَهرتُ أكون قد ابتدأتُ ؛ فقال : يا حَسن إنا قد تقارضنا (٤) ، فقلنا رجالُ بني أمية أصبرُ على اللقاء ، وأمضى في الوغاء ، وأوفى عهداً، وأكرمُ ضيماً ، وأمنعُ لما وراء ظهورِهم من بني عبدالمطلب ، ثم تكلم مروان بن الحكم فقال : كيفَ لا يكون ذلك ، وقد قارعناهم فغلبناهم (٥) ، وحاربناهم فملكناهم ، فإنْ شئنا عفوْنا ، وإنْ شئنا بطشنا ، ثم تكلم زياد فقال: ما ينبغي لهم أنْ ينكروا الفضل لأهله ، ويجحدوا الخير في مظانه (٦) ، نحنُ الحملةُ في الحرب(٧)، ولنا الفضل على سائر الناس قديمًا وحديثًا ؛ فتكلم الحَسن ابن علي عليه السلام ، فقال : ليسَ من الحزمِ أنْ يصمتَ الرجل عن ايراد الحجة ، ولكنْ من الأفك (٨) أنْ ينطق الرجلُ بالخنا (٩) ، ويصور الكذبَ في صورة الحقّ ، يا عمرو افتخارًا بالكذب ، وجرأة على الأفك ، مازلتُ أعرفُ مثالبك الخبيثة ، أبديها مرة بعد مرة ، أتنكرُ مصابيحَ الدُّجى، وأعلام الهدى ، وفرسان الطراد ، وحتوف الأقران ، وأبناء الطعان ، وربيع الضيفان ، ومعدن العلم ، ومهبط النبوة ، وزعمتم أنَّكم أحمى لما وراء ظهورِكم ، وقد تبين ذلك يوم بدرٍ حين نكصتْ الأبطال ، وتساورت الأقران، واقتحمت الليوث ، واعتركت المنية ، وقامت رحاها على قطبها، وفرت عن نابها ، وطار شرار الحرب ، فقتلنا رجالكم ، ومنَّ النبيُ على ذراريكم ، وكنتم لعمري في هذا اليوم غير مانعين ما وراء ظهوركم من بني عبدالمطلب ، ثم قال : وأما انت يا مروان ، فما أنت والإكثار في قريش ، وأنت طليقٌ بن طريدٍ (١٠) تتقلب في خزايةٍ الى سَوْءَةٍ ، وقد أُتيَ بك الى أمير المؤمنين يومَ الجمل ، فلما رأيتَ الضرغام قد دميتْ براثنه ، واشتبكت أنيابه ، كنت كما قال الأول :

بصبصنَ ثم رمينَ بالأبعارِ(١١)

فلما منَّ عليك بالعفو ، وأرخى خناقك ، بعد ما ضاقَ عليك ، وغصصتَ بريقك ، ألا تقعد منا مقعدَ الشكر ، ولكن تساوينا وتجارينا ، ونحنُ لا يدركنا عارٌ ، ولا يلحقنا خزاية ، ثم التفت الى زياد وقال : وما أنت يا زياد وقريش، ما أعرف لك فيها أديمًا صحيحًا (١٢) ، ولا فرعًا نابتًا ، ولا قديمًا ثابتًا ، ولا

منبتًا كريمًا ، كانت أمك بغيًا (١٣) يتداولها رجالات قريش ، وفجار العرب، فلما وُلدتَ لم تعرف لك العرب والدًا ، فادعاك هذا (أشار الى معاوية) ، فما لك والافتخار !! تكفيك سُمية (١٤) ، ويكفينا رسول الله ، وأبي سيد المؤمنين الذي لم يرتد على عقبيه ، وعمايَ حمزة سيد الشهداء ، وجعفر الطيار في الجنة ، وأنا وأخي سيدا شباب أهل الجنة ، ثم التفت الى ابن عباس فقال : إنَّما هي بُغاثُ الطيرِ انقضَ عليها البازي) ، (١٥) .

فأراد ابن عباس أنْ يتكلم ؛ فأقسم عليه معاوية أنْ يكفَّ فكفَّ .

عندما نقف على ما قاله عمرو بن العاص ، سنجده مجرد كذبٍ وافتراءٍ، لا أساس له من الصحة ، ولا يصمد أمام الحقيقة والواقع ، وكان عمرو يقول في قرارة نفسه : إنْ قهرني الحَسن فهو من هو ، وإنْ قهرته ، أكون قد صنعت موضع قدم قوي لمن يتكلم بعدي ، ولكنَّ ما هكذا تورد الإبل يا عمرو (سعد) ؛ فالأمور لا تؤخذُ بالأماني وما تحب النفوس الضعيفة والمريضة ، لأنَّ الحقَّ قويٌ أبلجٌ أنورٌ ، فقال : (رجالُ بني أمية أصبرُ على اللقاء ، وأمضى في الوغاء) ، فغزوةُ بدرٍ الكبرى تشهد أنَّ هذا القول كذبٌ وافتراءٌ ، ففي هذا اليوم قُتِلَ أبطال بني أمية الذين كان المُعولُ عليهم في حرب رسول الله ، فقد قُتِل جدهُ عُتبة لأمه هند زوج أبي سفيان ، وأم معاوية، وأخيه شيبة عم أمه ، فضلًا عن مقتل خاله الوليد بن عُتبة شقيق هند آكلة الكبود ، فقال الحَسن عليه السلام لعمرو بن العاص مذكرًا بهذا (أتنكر مصابيح الدُّجى ، وأعلام الهدى ، وفرسان الطراد ، وحتوف الأقران، وأبناء الطعان ، وربيع الضيفان ، ومعدن العلم ، ومهبط النبوة) ، مصابيح الدُّجى : هم الإمام علي بن أبي طالب ، وعمه الحمزة بن عبدالمطلب ، وابن عمه عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب ، وهم فرسان بدر ، وقاتلي الأقران من بني أمية ، وهم أهل الكرم والجود وجدهم هاشم بن عبد مناف الذي هشم الثريد وسمي بهاشم ؛ فضلًا عن هذا وذاك ، بيوتنا مهبطًا للوحي ، وفيها نزل القرآن الكريم ، لأنَّ النبيَ هاشمي وليس أموي ، وقال لعمرو وقد (زعمتم أنَّكم أحمى لما وراء ظهوركم ، وقد تبين ذلك يوم بدر حين نكصت الأبطال ، وتساورت الأقران ، واقتحمت الليوث ، واعتركت المنية ، وقامت رحاها على قطبها ، وفرت عن نابها ، وطار شرار الحرب ، فقتلنا رجالكم،

ومنَ النبيُ على ذراريكم، وكنتم لعمري في هذا اليوم غير مانعين ما وراء ظهوركم من بني عبدالمطلب) أينَ كانت رجالكم في بدرٍ بعد مقتل أبطالكم، وبقاء نساءكم بلا محامٍ يدفع عنهن الذلَّ والأسر ، فقد تنصل ما بقي من رجالكم عن القيام بالمهمة وهربوا تاركين نساءَهم عرضة للسبي ، وذلك بعد أنْ رفرف الموت فوق رؤوسهم ، ولو شئنا أخذنا نسائكم وابنائكم أسارى، ولكنَّ النبي عليه الصلاة والسلام برحمةٍ من الله منَّ عليكم ومنع المقاتلين من أخذ نسائكم وأبنائكم أسارى ؟

ثم التفت الى مروان بن الحكم وقال له : أراك تكلمتَ اكثر بكثيرٍ من أفعالك ، وأكبر من حجمك ، فما أنت ألا أسيرٌ أسرناك يوم فتح مكة ، فمنَّ رسول الله عليك وعلى بني أمية كافة بلا فداء ، وأمر باطلاق سراحكم ، وسماكم الناس بالطلقاء ، فاين كانت شجاعتك ، هل خانتك فوقعت في قبضة الضرغام أسيرًا ، وأما أبوك فهو مثال السوء للرجال فقد طرده رسول من مكة والمدينة ، لأنَّهُ مفترٍ كذاب مُحرفٍ للقرآن الكريم ، فكان جزاءه النفي من المدينتين خمسة فراسخ ، وماضيك يقول أنَّك في كلِّ حياتك الحقيرة كنت تتقلب فيها من خزيٍ وعارٍ الى خزيٍ وعارٍ ، وشاركت في الجمل مُبغضًا لمن منَّ عليك واطلق سراحك ، ولكنَّك لم تتعظ ، ووقعت مرة ثانية أسيرًا بيد الضرغام علي عليه السلام ، ولما نظرتَ الى سيفه يقطرُ دماً من دماءِ الناكثين ، كنت مثل تلك الشاة لما رأتْ سكين الذبح أبعرتْ على نفسها ، ومع ذلك منَّ عليك أمير المؤمنين ، وأطلق سراحك ، واليوم وبعد كلِّ هذا الخزي والعار الذي جللك وأحاط بك، وبدلًا من أنْ تشكر يدًا بيضاء منحتك الحياة مرة أخرى ، تأتي لتتطاول علينا ، وتحاول الظهور علينا بمظهر البطل ، وأنت تعرف ، بل المجلس كله يعرف من نحنُ ، في السمو وعلو المقام ، ولا يقاس بنا أحد .

ثم التفت الى زياد اللقيط وقال له (ما أنت يا زياد وقريش ، ما أعرف لك فيها أديمًا صحيحًا ، ولا فرعًا نابتًا ، ولا قديمًا ثابتًا ، ولا منبتًا كريمًا)، لماذا تدسُ أنفك في قريش يا زياد وأنت لست منها ، فإنَّك عبارة عن هيكلٍ من الخزي والعار والسوء ، أصلك مجهول ، ونسبك مغموز ، لا مفاخر عندك ، فضلًا عن منبتك السيء لأنَّك ابن عاهرة ، ولم تعرف لك قريش

والدًا ، فأنت تنسبُ لعددٍ من الرجالِ ، ممن واقعوا أمك على فراش العهر تحت الراية الحمراء ، الى أنْ ادعاك هذا (وأشار الى معاوية) لحاجةً في نفسه ، لاحظ أنَّ الإمام الحسن عليه السلام لم يقل : ادعاك معاوية ، بل قال هذا ، وذلك للتقليل من شأن معاوية في المجلس ، وبحضور قومه ووجوه أهل لشام ورؤساء قبائلها ، ثمَ أنت يا زياد يكفيك أنَّ أمك (سُمية ، ويكفينا رسول الله ، وأبي صالح المؤمنين الذي لم يرتد على عقبيه ، وعماي حمزة سيد الشهداء ، وجعفر الطيار في الجنة ، وأنا وأخي سيدا شباب أهل الجنة)، سُمية من نساء البغي والعهر ، وهي أشهر من علمٍ في رأسه نار ، إذ كانت من صاحبات الرايات الحمراء يتعاورُها الفجار والفاسقون من قريش والعرب ، وهي أُمُكَ التي أنجبتك ، وأما أنا ولا فخر، جدي رسول الله ، وأبي أمير المؤمنين ، وعماي حمزة بن عبدالمطلب سيد الشهداء ، وجعفر الطيار في الجنة فضلاً عن كوني أنا وأخي الحُسين سيدا شباب أهل الجنة ، فمن تكون أنت يا زياد الى جانبي ؟

بعد هذه المساجلة القوية التي عصفتْ برجال بني أمية ، وجعلتهم كالهشيمِ تذروه الرياح في يوم عاصف ، هنا الفتَ الإمام الحَسن الى عبدالله ابن عباس ، وكان يغلي كالمرجل ، بعد أنْ امتلأ قلبه غيظًا ، لِما سمع من كلام بني أمية ، فقال له وقد أشفى غليله ، ما كان هؤلاء ، إلا مثل بغامِ الطيرِ ، أي من ضعاف الطيُور ، وقد حلَّ بها بازٍ ، ومع ذلك أراد ابن عباس أنْ يتكلم ، فأقسم عليه معاوية أنْ لا يتكلم ، مكتفياً بما قاله الإمام الحَسن عليه السلام ، فقام عبدالله بن عباس الى الامام الحَسن عليه السلام(١٦) ، وقبل ما بين عينه وقال : أفديكَ يا ابن عمي ، والله ما زال بحرُك يزخر ، وأنتَ تصولُ حتى شفيتني من أولاد البغايا) .

وبعد ذلك قال معاوية لعمرو بن العاص (١٧) : (أجادَ عمرو الكلام أولًا، لولا أنَّ حجته دُحضَتْ ، وتكلم مروان لولا أنَّهُ نكصَ ، ثم التفت الى زياد فقال : ما دعاكَ لمحاورته ، ما كنتَ إلا كالحجلِ في كفِّ العِقاب)(١٨).

فقال عمرو بن العاص معاتبًا معاوية (١٩) : (ألا رميتَ من وراءنا ؟ قال معاوية : إذًا كنت شريككم في الجهل ، أ فأفاخر رجلًا رسول الله جده، سيد من مضى ومن بقي ، وأمه فاطمة سيدة نساء العالمين) .

كلام معاوية لا تعليق عليه فهو واضح بيين ، الرائع في كلمته أنَّهُ وصف زياد بالحِجل وهو فحل الدراج ، وقد نبتت في جسمه مخالبَ العقاب ، وعندما عاتب عمرو بن العاص معاوية ، وقال له لمْ تنصرْنا في المساجلة، فكان ردَّ معاوية على عمرو أبلغ من أنْ يُشرح ، وكان معاوية يقول في قرارةِ نفسه الوقوف على التلِّ أسلم من المشاركة في مساجلةٍ خاسرةٍ مقدمًا، وإنْ كتب للمساجلة نجاحُ الطرف الأموي فهو نصرٌ لي ، لأنَّهم رجالَ بلاطِهِ وأعوانِهِ ، وإنْ غُلِبُوا ، وهو ما حصل فهو بمنأى عن المساجلة ، فرد عمرو بن العاص على معاوية قائلاً (٢٠) : (لقد أبقى عليك، ولكنَّهُ طحنَ مروان وزياد طحنَ الرحى بثفالِها ، ووطئهما وطيءَ البازل القُراد بمنسمه (٢١) .)، وكذلك قال زياد لمعاوية (٢٢) : (والله لقد فعل ، ولكنَّك يا معاوية تريدُ الإغراء بيننا وبينهم لا جرم والله لا شهدتُ مجلسًا يكونان فيه إلا كنت معهما على من فاخرهما) ، لاحظ أنَّ عمرو بن العاص يعترف بالهزيمة المُذلّة والمخزية ، وهو يقول لمعاوية (أبقى عليك) والقراءة من بين السطور تقول : إنَّهُ لم يقلْ فيك شيئًا استصغارًا لقدرك ، لأنَّهُ يعرف أنَّ من دعا لهذه المساجلة هو أنت ، ولكن المُخزي في الأمر ، أنَّهُ طحنَ مروان وزياد كما تطحنُ الرَّحى الحبوبَ ، فتجعلها دقيقاً ، ومثلما تحطم خفُّ الجمل البازل القوي الحصى الذي تتطايرُ شظاياها من بين أخفافِهِ ، أما زيادٌ فقد ألقى اللومَ في هذه الهزيمة المُذلّة والمُخزية على معاوية الذي أغراهم بالمساجلة مع من لا يُمكن مساجلته ، وقال لمعاوية : أنت دوماً تقفُ معهما على من يفاخرهما ، وأقسم زيادٌ بعد أنْ خرج من المسجلة مذمومًا مدحورًا مُكلّلًا بالخزي والعار والذُلّ ؛ أنْ لا يحضر مجلسًا فيه الحَسن وعبدالله بن عباس خوفاً من تكرار المشهد المهين .

ثانيًا : مع عبدالله بن الزُبير

يُعدُ عبدالله بن الزُبير من دهاة العرب المشهورين ، والمعروفين بالمراوغة والانتهازية والتلون ، وعبدالله بن الزُبير يصفهُ معاوية بن أبي سفيان ، بأنَّهُ يراوغُ كما تراوغُ الثعالبُ ، ولا يقف عبدالله على رأي مُعين، فهو يميلُ حيثُ يميلُ الهوى ، والمنفعة الشخصية ، حلَّ ذاتَ مرةٍ ضيفًا ثقيلًا على معاوية بن أبي سفيان في دمشق عاصمة الأمويين ، وتزامنَ وجوده

فيها مع وجود الإمام الحَسن (عليه السلام) ، فأراد معاوية أنْ يحطَ من قدرِ عبدالله بن الزُبير وشأنه في المجلس أمام وجوه بني أمية وأهل الشام ؛ فقال معاوية لعبدالله بن الزُبير ، لو افتخرتَ على الحَسن ، فأنتَ ابنُ حواريُ رسول الله ، وابن عمته ، ولأبيكَ في الإسلام نصيبٌ وافرٌ ، فقال عبدالله بن الزُبير : أنا لهُ ، وظلَّ ليلته تلك يطلبُ الحجج ليقوي موقفه في مواجهة الإمام الحَسن ، فلما أصبح الصباح ، دخل على معاوية ، ومن بعده جاء الإمام الحَسن عليه السلام ، فحياهُ معاوية ، وسأله عن مبيتهِ ، فقال : خير مبيتٍ ، وأكرم مستضافٍ ، فلما استوى في مجلسه ، قال له عبدالله بن الزُبير (٢٣) : (لولا أنَّكَ خَوارٌ في الحروبِ ، غير مقدامٍ ، ما سلمتَ لمعاوية الأمر ، وكنت لا تحتاج الى اختراق السهول ، وقطع المراحل والمفاوز ، تطلب معروفه ، وتقوم ببابه ، وكنت حريًا أنْ لا تفعل ذلك ، وانت ابن عليٍ في بأسهِ ونجدته ، فما أدري ما الذي حملكَ على ذلك ؟ أ ضعفُ حالٍ أم وحيُ نخيزة (٢٤) ، ما أظنُ لك مخرجاً من هذين الحالين ، أما والله لو استجمع لي ما استجمع لك ، لعلمت أنّني ابن الزُبير ، وأنّني لا أنكصُ عن الأبطال ، وكيف لا أكون كذلك وجدتي صفية بنت عبدالمطلب ، وأبي الزُبير حواريُ رسول الله ، وأشد الناس بأساً ، وأكرمهم حسبًا في الجاهلية ، وأطوعهم لرسول الله ؟) .

ثم التفت اليه الإمام الحسن (عليه السلام) قائلًا (٢٥) : (أما والله لولا أنَّ بني أمية تنسبُني الى العجز عن المقال ، لكففتُ عنك تهاوناً بك ، ولكن سأبينُ ذلك لتعلمَ أنّي لستُ بالكليل (٢٦) أ إياي تُعَيرُ ، وعليَّ تفتخر ، ولم تكُ لجدكَ في الجاهلية مكرمةً ، (٢٧) [إلا بعد أن] تزوج عمتي صفية بنت عبدالمطلب ، فبذخَ بها على جميع العرب ، وشَرُفَ بمكانِها ، فكيف تفاخر من في القلادة واسطتِها ، وفي الأشراف سادتها ، نحنُ أكرمُ أهل الأرض زندًا ، لنا المشرق الثاقب ، والكرم الغالب ، ثم تزعم أنّي سلمت الأمر لمعاوية ، فكيف يكون ، ويحك كذلك ! وأنا ابن أشجع العرب ، ولدتني فاطمة سيدة النساء ، وخيرة الأمهات ، لم أفعل جُبناً ولا فَرْقاً ، ولكنَّهُ بايعني مثلك ، وهو يطلب إثرة ، ويداجيني المودة ، فلم أثق بنصرتِهِ ، لأنَّكم بيتُ غدرٍ ، وأهلُ إحنٍ ووترٍ ، فكيف لا تكون كما أقول ؟ وقد بايعَ أمير المؤمنين أبوك ، ثم نكثَ بيعته ، ونكصَ على عقبيهِ ، واختدع حشية من حشايا رسول

الله ، ليضلَّ بها الناس ، فلما دلف نحو الأعنة ، ورأى بريق الأسنة ، قُتِلَ بمضعيةٍ لا ناصرَ له ، وأُتيَ بكَ أسيرًا ، وقد وطأتكَ الكماةُ ، بأضلافِها ، والخيلُ بسنابكها ، واعتلاكَ الأشتر بباتره ، فغصصت بريقك ، وأقعيتَ على عقبيك كالكلب ، إذا احتوشته الليوث ، فنحنُ ويحكَ نور البلاد وأملاكها ، وبنا تفتخر الأمة ، والينا تُلقى مقاليد الأزمة ، نصولُ وانت تختدعُ النساء ، ثم تفتخر على بني الأنبياء ، لم تزل الأقاويلُ منا مقبولة ، وعليك وعلى أبيك مردودة ، دخل الناس في دين جدي طائعين وكارهين ، ثم بايعوا أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، فسار الى أبيك وطلحة ، حيث نكثا البيعة ، وخدعا عرس رسول الله ، فقتلا عند نكثهما بيعته ، وأُتيَ بك أسيرًا تبصبصُ بذنبك ، فأنشدته الرحم ، أنْ لا يقتلك ، فعفا عنك فأنتَ عتاقة أبي ، وأنا سيدُك ، وأبي سيدُ أبيك ، فذقْ وبالَ أمرك) .

فأقرَّ عبدالله بن الزُبير بالهزيمة معترفًا ومعتذرًا قائلًا (٢٨) : (أعذرنا يا أبا مُحمد ، فإنَّما حملني على محاورتك هذا (وأشار الى معاوية) واشتهى الاغراء بيننا ، فهلا إذْ جهلتُ أمسكتَ عني ، فإنَّكُم أهلَ بيتٍ سجيتكُم الحلم، قال الحَسن يا معاوية : انظر أأكعُ عن محاورة أحدٍ ويحكَ؟ أتدري من أيِّ شجرة أنا ، والى مَنْ أنتمي ؟ انتهِ عني قبل أنْ أسِمَكَ بسمةٍ(٢٩) ، يتحدثُ بها الركبان في آفاق البلدان ، قال ابن الزبير : هو لذلك أهلٌ ، فقال معاوية: أما أنَّهُ شفا بلابلَ صدري منكَ ، ورمى فقتلك ، فبقيتَ في يده كالحِجل في كفِّ البازي ، يتلاعبُ بكَ كيف شاء ، فلا أراك تفتخر على أحدٍ بعد هذا) .

معروف لدى جميع المسلمين أنَّ عبدالله بن الزُبير ، هو ابن أسماء بنت أبي بكر ، وهو ابن متعة ، ولما كانت السيدة عائشة زوج النبي لا تلدُ، قامتْ فتبنت عبدالله بن أسماء وأشرفت على رعايته وتربيته ، فنشأ منذ نعومة أظافره في أحضانها ، وكان مُبغضاً لأهل البيت حاقدًا عليهم ، حاسدًا لهم ، فقد قال الإمام علي عليه السلام عن الزُبير وابنه عبدالله (٣٠): (مازال الزُبيرُ رجلًا من أهل البيت حتى نشأ ابنه المشؤوم عبدالله) ، وكان عبدالله مُهمشاً في ظلِّ وجود الإمامين الحَسن والحُسين عليهما السلام في الحجاز ، وعندما غادر الإمام الحسين الحجاز متوجهًا الى العراق ، فرحَ عبدالله بن الزُبير

بذلك ، فضرب عبدالله بن العباس على عضده ؛ وقال له (٣١) : أصبحت والله كما قال الشاعر :

يا لكِ من قُبّرةٍ بمعمـــــــــرٍ خلا لكِ الجوّ فبيضي واصفري

قد رُفعَ الفخُّ ؛ فماذا تحذري؟ ونقري ما شئتِ أنْ تُنقـــــري

قد ذهب الصياد عنك فابشري لابد يوما أن تصادي فاصبـري

اتهم عبدالله بن الزُبير الإمام الحسن عليه السلام بالضعف والخور والجُبن ، وإنَّهُ لا يجيدُ فن القتال ، ولا دراية له بالحروب ، ولهذه الأسباب سلم الخلافة لمعاوية ، وأصبح تابعًا له ، يطلب نواله بعد أنْ يقطع الصحاري والمفاوز للوصول اليه ، وكان جديرًا بك (أي الحَسن) أنْ لا تسلمه الخلافة ، وأنت ابن علي بن أبي طالب ، اشجع العرب نجدةً وبأساً، ولعلَّ سبب ذلك يعود الى ضعفك مع طبعك الخشن ، وأنت بين هذين السببين ولا ثالث لهما ، ولو توافر لي مثلما توافر لك ، لعلمت من أنا ، أنا ابن الزُبير حواريُ رسول الله ، واشجع العرب ، وأكرمهم حسبًا في الجاهلية ، وجدتي صفية بنت عبدالمطلب .

هنا التفت اليه الإمام الحسن عليه السلام ؛ وقال له : من أنتَ حتى أردَ عليك ؟ ولولا أنَّ بني أمية تنسبني الى العجز ، لكففت عنك استصغارًا لقدرك، وتحقيرًا لمكانتك ، فانت لا تستحق أنْ يُرَدَ عليك ، لأنَّك غارقٌ في بحرِ الذُّلِ والرذيلة والخزي والمهانة ، ولكنَّ الموقف يتطلبُ مني أنْ أرد عليك ، وأفندَ ما قلته كذبًا وافتراءً ؛ وأضعك على المحك ، لتعرف حجمك وقيمتك ، فضلًا عن أنْ يعرف الناس من أنت ، أ تعيرني وتفتخر عليَ ، وأنت وأبوك وجدك ما طالكم الشرفُ إلا بعد تزويج جدك العوام من صفية بنت عبدالمطلب ، وهي جدتي بها شرفتُم ، وعرفتكُم العرب ، وقبل ذلك لم يكنْ لكم شأنٌ يذكر ، وأنت تعرف أنّي واسطة القلادة في بني هاشم ، ومن سادتِها الأشراف ، نحنُ أكرم خلق الله ، لأنّنا أهلُ بيت النبي، وهو أكرم بيوتاتِ أهل الأرض طُرًا ، وتزعمُ أنّي سلمت الخلافة لمعاوية ، كيف يصح هذا ، وأنا ابن أمير المؤمنين أشجع العرب ، وأمي فاطمة الزهراء بنت مُحمّدٍ سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين ، وهي خير الأمهات ، لم

أسلمْ الحُكم ضعفًا وجبنًا ، ولكن بايعني المنافقون والمنحرفون أمثالك ، بايعوني ليحصلوا على المكاسب والمناصب ، فهم يعلنون الولاء والطاعة ، وفي الوقت نفسه تتطلع عيونهم الى المال والمكاسب ، نفوسهم مريضة ، وضمائرهم ميتة ، يميلون مع أهوائهم حيث تميل المنافع والمكاسب ، فهم إذا لا امان من غدرهم وخيانتهم ، وهم أهلُ ظغينةٍ وحقدٍ ، هذا في المجمل العام ، أما في التفاصيل ، يا ابن الزُبير: فإنَّ أباك بايع أبي أمير المؤمنين بالخلافة ، ثم نكص منقلباً على عقبيه ، مسرعاً للخروج بعرس رسول الله ، لإثارة الفتنة والغوغاء ، وتضليل الناس عن الإسلام المحمدي الصحيح ، ولما رأى أبوك السيوفَ تلمعُ ، والأسنةُ تبرقُ ، تداخله الخوف والرعب ، وترك المعركة هارباً ، قتله ابن جرموز في وادي السباع بمضعيةٍ من أمره، لا هو مع القتلى في الحرب ، ولا هو من الناجين منها ، وأما أنت يا ابن الزُبير فكنتَ في حالٍ أسوءُ من حالِ أبيك ، تم أسرُك وجيءَ بك ، والقيد في مُعصمِ يديك ، بعد أنْ علتكَ الفرسان ببواترها ، وسحقتك الخيل بسنابكها ، وقد اعتلاك مالك بن الاشتر بسيفه ، ولو شاء لقتلك ، ولكنَّهُ أراد أنْ يمعن في ذلالك فأتى بك أسيرًا ، وحصل له ما أراد ، وأنت تنادي في المعركة : اقتلوني واقتلوا مالكاً معي ، فكنت كالكلب الذي أقعى (٣٢) ، إعرف حجمك ومكانتك ، نحنُ أهل البيت نور البلاد وأسيادها لا يقاس بنا أحد ، تفتخر بنا الأمة الإسلامية ، وتلقي مقاليد الأزمة ألينا ، نصولُ في الحروب ونجول ، وانت قد اتخذت مكانك مع النساء ، قولنا هو المقبول والمعولُ عليه ، وأما قولك فهو مردودٌ لا قيمة له ، ويحك كيف تفتخر على أبناء الأنبياء ، وقد دخلتم بدين جدي الذي أخرجكم من الظلمات الى النور ، وكان دخولكم في الإسلام بين طائعٍ وكارهٍ ، (أراد بالكاره معاوية) ، بايع المسلمون أبي بالخلافة ومنهم طَلحة والزبير ، فنكثا البيعة وفرا من الحجاز الى البصرة بعد أنْ خدعوا عائشة زوج رسول الله وأخرجوها معهم ، فقتلا عقابًا لهما على نكثهما البيعة ، وانت جِيءَ بك أسيرًا ، وفي يديك القيود والأغلال ، تتلفت يمينًا وشمالًا تعوي مثل الكلب متوسلًا ، ولما علمت أنّكَ مقتول لا محالة ، توسلتَ بأبي ، وناشدته الرحم أن يبقيَ عليك ، ولا يأمر بقتلك ، ففعل وعفا عنك ، فأبي عليٌ سيدُ أبوك الزبير ، وأنا الحَسن سيدك يا ابن الزبير ، فأبوك عتاقة أبي ، وأنت عتاقتي ، ذلك لأنّ الامام الحَسن عليه

السلام هو من طلبَ من أمير المؤمنين علي أنْ يعفوَ عن عبدالله بن الزبير بعد أنْ أسره مالك بن الأشتر في يوم الجمل ، فاستجاب الإمام علي لطلب ابنه الحَسن ، وعفا عن عبدالله بن الزبير .

ثالثًا : مع معاوية بن أبي سفيان (١)

دخل الإمام الحَسن المجتبى (عليه السلام) ، الى مجلس معاوية ابن أبي سفيان وهو يردد (٣٣) :

(فيمَ الكلامُ وقد سبقتَ مُبرزاً سبق الجوادِ من المدى المقوسِ

فقال معاوية للحَسن إياي تعني ؟ والله لآتينَّكَ بما يعرفه قلبك ، ولا ينكرهُ جلساؤك ، أنا ابن بطحاء مكة ، أنا ابن أجودها ، وأكرمها أبوةً وجدودًا؛ وأوفاها عهودًا ؛ ابنُ سادةِ قُريشٍ ناشئًا .

فقال الإمام الحَسن عليه السلام : أجل إياكَ أعني ، أ فعليَ تفتخر يا معاوية ، وأنا ابن ماء السماء ، وعروق الثُريا ، وابن من سادَ أهل الدُنيا ، بالحسب الثاقب ، والشرف الفائق ، والقديم السابق ، وابن من رضاهُ رضى الرحمن ، وسخطهُ سخط الرحمن ، فهل لك أبٌ كأبي ، وقديمٌ كقديمي ، فإن تقل ((لا)) تُغلبْ ، وإن قلتَ ((نعم)) تكذب .

فقال : لا ، تصديقاً لقولك .

فقال الحسن عليه السلام :

الحقُّ أبلجٌ لا تزيغُ سبيلهُ والحقُّ يعرفهُ ذوو الألبابِ) .

البيت الشعري الأول الذي قاله الإمام الحسن السلام بعد أنْ رأى معاوية قد اخلَّ بشروط معاهدة الصلح ، وأخذ يتصرف بما يناقضُها ، فقوله فيم الكلام وقد سبقت مبرزًا ، يشير الى الخدعة والأكذوبة بالوعود والمواثيق التي أعطاها معاوية في عقد الصلح ، ولم يلتزم بها ، فالكلام بعد الذي حدث وجرى لا يقدم شيئًا ، فبالكذب والخديعة سبق من لا يستحق السبق ، وقد أثار هذا البيت حفيظة معاوية ، وأراد أنْ يرد على الامام الحَسن وبحضور جلسائه من وجوه أهل الشام فقال للحَسن ، أ أنا المقصود بهذا الشعر ؟ فقال

له : نعم أنت المقصود ، فاستشاط معاوية غضباً ، وقال سأعرفك من أنا ، وأنشأ الذي قال ، وهو مجردُ تبجحٍ أمام الحضور ، لا صحة له في الواقع بوجود بني هاشم ، وزعيمهم رسولُ الله مُحمَّد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وظنَّ أنَّ الامام الحَسن سوف لن يرد عليه ، لأنَّهُ ملك العرب والمسلمين ، ولكن ليسَ مثل الإمام الحَسن عليه السلام يسكت إزاء هذا الغرور والتعالي والتبجح بالباطل ، وهو ابن رسول الله ، وسيد شباب أهل الجنة ، وقبل أنْ ندخل فيما قال الإمام الحَسن عليه السلام ، علينا أنْ نفند ما قاله معاوية من كذبٍ وافتراءِ ، نعم صحيح هو ابن بطحاء مكة ، فكل أهل مكة سيدهم ومولاهم وعبدهم هو من أبناء بطحاء مكة ، لأنَّ مكة مدينة يسكنُها البرُّ والفاجر ، ولكنَّ أ ليس لمكة وبطحائها سيدٌ وزعيمٌ ، فمن هو سيدُها وزعيمُها ؟ الجواب : سيدها وزعيمها أبو طالب بن عبدالمطلب ، المشهور بسيد البطحاء ؛ وهو جد الإمام الحَسن ، وليس جد معاوية (٣٤) ، أما قوله ((أنا ابن أجودها)) فمردودٌ البته ، فجميع قريش تشهد أنَّ أبا سفيان كان بخيلًا ممقوتًا حتى أنَّ زوجَه هندًا بنت عتبة بعد الفتح شكت بخله وتقصيره في حقها الى رسول الله (٣٥) ، أما قول معاوية ((أكرمها أبوة)) فهذا الكلام مرفوضٌ جملةً وتفصيلًا ، فذلك ليس له ؛ بل هو للحَسن والحُسين عليهما السلام ؛ جدهما رسول الله مُحمّد : وأبوهما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب؛ وأمهما السيدة فاطمة الزهراء بنت مُحمّد سيدة نساء أهل الجنة ، أما قوله ((أوفاها عهوداً)) فنقضه لمعاهدة الصلح مع الحَسن تكفيه خزيًا وعارًا، وأما قوله ((انا ابن من ساد قريشًا ناشئًا)) فقد كذبَ وأثم ، فمن ساد قريشًا هو هاشم بن عبد مناف جد النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو جد الحسن عليه السلام .

والآن نقف عند ما قاله الإمام الحَسن عليه السلام في رده على معاوية، فقول الإمام الحَسن ((أنا ابن ماء السماء ؛ وعروق الثُريا)) ؛ إشارة رائعة جدًا من الإمام الحسن الى رحلة النبي عليه الصلاة والسلام في ليلة الإسراء والمعراج ، وأكله التفاحة التي تولدت من مائها نطفة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ، وهي أم الحسن وهي ماء السماء ، وأما عروق الثُريا ، فالثُريا عدة كويكبات صغيرة متجمعة على شكل مستعمرة ، وهي معلقة في كبد السماء علوًا وشموخًا ؛ وهذه إشارة الى سمو مكانة النبي

الأعظم بين كل ما خلق الله ، ويحيط به رجال بني هاشم، وقول الامام الحَسن ((وابن من ساد أهل الدنيا بالحسب الثاقب ، والشرف الفائق والقديم السابق)) فهذا حسبي ونسبي ممتد ومتصل برسول الله فهل هناك حسبٌ ونسبٌ أش رف من حسب ونسب رسول الله ، بالتأكيد لا ، أما القديمُ السابق هو جدي هاشم ، وهو من هشم الثريد لإطعام الناس ، وجدي عبدالمطلب زعيم قريش، وهو من تصدى لأبرهة الحبشي حينما غزا مكة ، والآخرون هربوا الى الجبل وعلى رأسهم بني أمية أجدادك وأولهم أبوك أبو سفيان ، وقوله ((وابن من رضاه رضا الرحمن ؛ وسخطه سخط الرحمن)) يكفي الحَسن أنه ابن رسول الله سيد الأنبياء والمرسلين وكفى ، وأما قوله ((فهل لك أبٌ كأبي وقديم كقديمي))؛ المقارنة مرفوضة جملة وتفصيلا بين أبي الحسن علي بن أبي طالب الهاشمي ، وبين أبي معاوية صخر بن حرب المشهور بأبي سفيان الأموي، أقول : أين الثرى وأين الثُريا ؛ الثرى ترابٌ في الأرض، وهو أبو معاوية ؛ والثُريا نجمٌ في كبد السماء يسمو عاليًا ، وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه الصلاة السلام .

ثم ختم الإمام الحَسن عليه السلام كلامه بشاهد شعري آخر هو :

الحقُّ أبلجٌ لا تزيغُ سبيلهُ والحقُّ يعرفه ذوو الألبابِ

أراد الإمام الحَسن بهذا الشاهد أنَّ الحقَّ واضحٌ مثل الشمس ، التي لا يمكن حجبها بغربال .

رابعًا : مع معاوية بن أبي سفيان (٢)

استأذن الإمام الحَسن عليه السلام للدخول على معاوية بن أبي سفيان، وقد سبقه بالدخول الى المجلس عبدالله بن جعفر الطيار ، وعمرو بن العاص مع طائفة من وجوه أهل الشام ، فأذن له بالدخول ، ولما دخل الإمام الحسن عليه السلام ، ورآه عمرو بن العاص مقبلًا قال (٣٦) : (قد جاءَكم الفهه العيي (٣٧) الذي كان بين لحييه عقله) فرد عليه عبدالله بن جعفر الطيار قائلًا : (مه (٣٨) ، والله لقد رمتَ صخرةً ململمةً (٧١) تنحطُ عنها السيولُ ، وتقصر دونها الوعولُ (٣٩) ، لا تبلغها السهام (٤٠) ، فإياك والحسن إياك ، فإنَّك ما تزال راتعاً في لحمِ قريش (٤١) ، ولقد رميت فما برُحَ سهمك ،

وقدحت فما أورى زندك) ، فسمع الإمام الحسن عليه السلام المحاورة التي جرت بين ابن عمه عبدالله بن جعفر الطيار وعمرو بن العاص ، فلما أخذ مجلسه قال : (يا معاوية لا يزال عندك عبدٌ (٤٢) يرتعُ في لحوم الناس ، أما والله لئن شئت ليكونن بيننا ما تتفاقم فيه الأمور، وتخرج منه الصدور ، ثم أنشأ يقول :

أتأمرُ يا مُعاويَ عبدَ ســـــهمٍ بشتمي والملأُ منا شـــهودُ
إذا أخذتْ مجالسَها قُـــريشٌ فقد علمتُ قُريشٌ ما تـريدُ
أ أنتَ تظلُّ تشتمني سفاهـــاً لضغنٍ ما يزولُ ولا يبيـدُ
فهلْ لكَ من أبٍ كأبي تُسامي بهِ من قد تُسامي أو تكيـدُ
ولا جدٌ كجدي يا بنَ حَـــربٍ رسولَ اللهِ إنْ ذُكرَ الجُدودُ
ولا أمٌّ كأمي من قُـــــــريشٍ إذا ما حُصِّلَ الحَسبُ التَّليدُ
فما مثلي تهكمُ يا بنَ حَـــربٍ ولا مثلي ينهنهُ الوعيـــدُ
فمهلاً لا تهجْ منا أمـــــوراً يشيبُ لهولِها الطِفلُ الوليـدُ

أراد عمرو بن العاص أنْ ينتقص من الإمام الحسن عليه السلام فوصفه بالفهاوة والعجز عن الخطاب والكلام ، ولسوءِ حظه كان عبدالله ابن جعفر الطيار حاضرًا في المجلس ، فزجرهُ بعنفٍ وشدةٍ قائلًا : أكفف عمّا تقول ، فالحَسنُ مثل الصخرة الكبيرة في الجبل لا تحركها السيول ، ولا تسطيع الوعول تسلقها ، ولا يبلغُ مداها السهم لارتفاعها الشاهق ، وأني أحذرك من أنْ تتعرض للحَسن فستجد ما لا يحمد عقباه ، ولما تناهى القول الى سمع الامام الحَسن عليه السلام ، التفت الى معاوية بن أبي سفيان وقال له : ما زال في مجلسك عبدٌ هجين ، مغموز النسب ، يأكلُ في لحوم قريش ، وقول الحَسن عليه السلام (عبد) نفى عنه الانتساب الى قريش لأنَّهُ ابن فراش وابن عهر ، ولا يعرف أبوه الحقيقي ، لأنَّ امّهُ من العاهرات صاحبات الرايات الحمراء اللواتي يمارسن البغاء ، ويقسم الحَسن لو أردت أنْ أرد عليه بما يليق به ، لتفاقمت الأمور لتصل الى حد حمل السيوف ، وسفك الدماء ، ثم

أنشد شعرًا افتخر بنفسه وآباءه وجدودهِ؛ وفي الوقت نفسه ، انتقص فيه من معاوية وعمرو بن العاص .

خامسًا : مع مروان بن الحكم

في إحدى وفادات الإمام الحَسن عليه السلام الى الشام ، دخل على معاوية بن أبي سفيان ، وكان حاضراً في مجلسه عمرو بن العاص ، ومروان بن الحكم ، والمغيرة بن شعبة ، وصناديد قومه ، ووجوه بني أمية، ووجوه أهل اليمن ، وأهل الشام ، ورؤساء عشائر الشام ؛ فلما نظر إليه معاوية ، أقعدهُ على سريره ، وأقبل عليه بوجهه ، يريه السرور به وبقدومه، فحسدهُ مروان بن الحكم ، وكان معاوية قد قال لهم من قبل : لا تحاوروا هذين الرجلين ، فقد قلداكما العار عند أهل الشام ، (الحَسن بن علي وعبدالله بن عباس) ، فقال مروان (٤٣) : (يا حَسن لولا حلمُ أمير المؤمنين ، وما قد بناهُ له آباؤهُ الكرام من المجدِ والعُلى ، ما أقعدكَ هذا المقعد ، ولقتلكَ وأنتَ لهذا مستحقٌ ، بقودك الجماهير الينا ، فلما قاومتنا وعلمتَ ألا طاقةَ لك بفرسانِ أهل الشام وصناديد بني امية ، أذعنتَ بالطاعة ، واحتجزتَ بالبيعة ، وبعثتَ تطلبُ الأمان ، أما والله لولا ذلك لأراقَ دمك ، ولعلمتَ إنا نُعطي السيوفَ حقَّها عند الوغى ، فاحمد الله إذْ ابتلاك بمعاوية ، وعفا عنك بحلمهِ ، ثم صنعَ بك ما ترى).

فنظر الامام الحسن عليه السلام الى مروان وقال له : (ويلكَ يا مروان ، لقد تقلدت مقاليدَ العار في الحروب عند مشاهدتها ، والمخاذلة عند مخالطتها ، هبلتكَ أمُكَ ، لنا الحجج البالغات ، ولنا عليكم إنْ شكرتم ، النعمَ السوابغ ، ندعوكُم للنجاة ، وتدعوننا للنار ، فشتانَ ما بين المنزلتين ، تفتخرُ ببني أمية ، وتزعمُ أنَّهم أصبرُ في الحرب ، أُسْدٌ عند اللقاء ، ثكلتك الثواكل، أولئك البهاليلُ السادةُ ، والحماةُ الذادةُ ، والكرامُ القادة بنو عبدالمطلب ، أما والله لقد رايتهم أنتَ ، وجميعُ من في المجلس ما هالتهم الأهوال ، ولا حادوا عن الأبطال ، كالليوث الضارية الباسلة الحنقة ، فعندما وليتَ هاربًا ، وأُخِذْتَ أسيرًا ، فقلدت قومك العار ، لأنَّكَ في الحروب خوارٌ، أتهرقُ دمي؟ فهلا أهرقتَ دمَ من وثبَ على عثمان يوم الدار ، فذبحهُ كما يُذبحُ الحَمَل ، وأنتَ تثغو ثغاءَ النعجة ، وتنادي بالويل والثبور، كالمرأة اللكعاء (٤٤) ، ما

دافعت عنه بسهمٍ ، ولا منعت دونه بحربٍ ، قد ارتعدتْ فرائصك ، وغشيَ بصرك ، واستغثت كما يستغيث العبد بربه ، فأنجيتُكَ من القتل ، ثم جعلت تبحث عن دمي ، وتحضُ على قتلي ، ولو رام ذلك معاوية معك ، لذُبِحَ كما ذُبِحَ ابن عفان ، وأنتَ معه أقصرُ يدًا وأضيقُ باعًا ، وأجبنُ قلبًا من أنْ تجسر على ذلك ، ثم تزعم أنّي ابتليت بحلم معاوية ؟ أما والله لهُوَ أعرفُ بشأنهِ ، وأشكر لنا مذ ولِيناهُ الأمر ، فمتى بدا له ، فلا يغضين جفنه على القذى معك، فوالله لأعنفنَّ أهل لشام ، بجيش يضيقُ فضاؤهُ ويستاصلُ فرسانه ، ثم لا ينفعك عند ذلك الروغان والهرب ، ولا تنتفع بتدريجك الكلام، فنحنُ من لا يُجْهَلْ آباؤُنا الكرام القدماء الأكابر ، وفروعنا السادة الأخيار الأفاضل انطق إنْ كنت صادقًا) .

فقال عمرو بن العاص : ينطقُ بالخنا (٤٥) ، وتنطقُ بالصدق ثم أنشأ يقول :

قد يضرطُ العِيرُ والمكواةُ تأخذهُ لا يضرطُ العِيرُ والمكواةُ في النارِ

ذقْ وبالَ أمركَ يا مروان .

ثم أقبل معاوية على مروان فقال له : قد نهيتُكَ عن هذا الرجل ، وأنت تأبى إلا انهماكًا فيما لا يعنيك ، أربِعْ على نفسك ، فليس أبوهُ كأبيك، ولا هو مثلك ، أنت ابن الطريد الشريد ، وهو ابن رسول الله الكريم ، ولكن رُبَّ باحثٍ عن حتفهِ بظلفهِ .

فقال مروان : ارمِ دون بيضتك ؛ وقمْ بحجة عشيرتك ؛ ثم قال لعمرو: لقد طعنك أبوه فوقيت نفسك بخصيتيك ؛ ومنها ثنيت أعنتك ؛ وقام مغضباً.

فقال معاوية : لا تجارِ البحارَ فتغمرُكَ ؛ ولا الجبالَ فتقهرك ؛ واسترحْ من الاعتذار.

بعد عدد من المناظرات التي جرت بين الإمام الحَسن عليه السلام مع معاوية ابن أبي سفيان واتباعه ، وخروجهم من المناظرات مغلوبٌ على أمرهم مكللين بالخزي والعار ، قال معاوية لأذنابه : توقفوا عن محاورة الحَسن بن علي وعبدالله ابن عباس فقد غلبوكم في كلِّ مرة وقلدوكم مقاليد

الخزي وألبسوكم ثوب العار ، ولكنَّهم لم يسمعوا كلام معاوية ولم يفهموا مغزاه ، فاستمروا بغيهم واستهتارهم لأنَّهم لا كرامة لهم ولا شرف ولا غيرة، فلما دخل الإمام الحَسن الى مجلس معاوية استقبله معاوية بحفاوة مرغمًا ؛ لأنَّ الحضور يعرفون من هو الحَسن ، وما هي مكانته في الإسلام، إلا أنَّ هذا الاستقبال أثار حفيظة مروان بن الحكم فحسده ، فأراد أنْ يستفز الإمام الحَسن لينغص عليه المجلس فقال ما قال ، وما قوله إلا الزور والبهتان والكذب والافتراء ، ما هو مجد بني امية الذي يتحدث عنه مروان ؟ ما هو إلا عبادة الأوثان والأصنام ، فضلاً عن أنَّ بيوتهم ، هي بيوت الرايات الحمراء ، وموطن البغاء والدعارة ، وأما المقعد الذي أشار اليه مروان فصاحبه الشرعي هو الحسن ، وما معاوية إلا مغتصبٌ لهُ ، وأما أن يقتل معاوية الحَسن ، فهذا من عجب العجاب ، فالذي طلب الصلح وانهاء الحرب هو معاوية ، ولو كان معاوية قادرٌ على أنْ يقتل الحسن في الحرب لقتله ، ولكنه لم يقدر على قتله ، فيده أقصر من ذلك ، أما قوله : (فلما قاومتنا وعلمتَ ألا طاقةَ لك بفرسان أهل الشام ، وصناديد بني امية ، أذعنتَ بالطاعة، واحتجزت بالبيعة ، وبعثت تطلبُ الأمان) ، من الذي كان يقاوم؟ ومن الذي كان يهاجم ؟ أ ليس الذي كان يهاجم هو جيش الإمام علي ، والذي يدافع هو جيش معاوية ، ومروان بن الحكم من قادة جيش معاوية ، ولما رأوا أنَّ الموت يرفرفُ فوق رؤوسهم، ولا طاقة لهم بالوقوف أمام جيش الإمام علي عليه السلام ، رفعوا المصاحف على الرماح ، لخدعة الناس بأنَّهم مسلمون ، ويطلبون أنْ يكون القرآن الكريم حكمًا بين الطرفين ، ولم تكن هذه الخدعة لتنطلي على علي أمير المؤمنين ، إلا أنَّهُ كان مجبرًا على قبول التحكيم الذي أنقذكم من القتل وذلّ الأسر ، فمن طلب الأمان إذاً ؟ هل الذي طلب استمرار القتال أم الذي شعر بالهزيمة وخاف القتل والأسر ، ورفع المصاحف لوقف القتال ، ثم لما كان فرسان أهل الشام ، وصناديد بني أمية بهذا البأس والقوة ، لماذا رفعوا المصاحف على الرماح ، وطلبوا إيقاف الحرب والصلح ؟ السؤال هل المهزوم يهرق دم المنتصر ؟ أم المنتصر هو من يهرق دم المهزوم ، والمهزوم معاوية وأتباعه ومنهم مروان، أما قول مروان (إنا نُعطي السيوفَ حقَّها عند الوغى) ؛ لو كان كلام مروان صحيحًا ولعلمتَ لما طلبوا ايقاف الحرب واللجوء الى الصلح،

فلم لم تعطي سيوفهم حقها في وغى صفين ، إذاً كانت سيوفهم بيد ناس لا تستحق حمل السيف ، والسؤال هنا من عفا عن من ؟ هل المغلوب على أمره هو من يعفو عن المنتصر ؟ أم المنتصر هو من يعفو .

أما رد الأمام الحَسن عليه السلام على مروان فهو يمثل شريطًا سينمائيًا استعرض فيه حياة الخزي والعار التي عاشها مروان بن الحكم من ولادته الى يومه هذا ، فابتدأ الإمام الحَسن كلامه بـ ((ويلك)) وهي كلمة تهديد وتحذير تقال لمن لا يعرف قدر نفسه ، فقال الحَسن لمروان : لك الهلاك والعذاب على ما وقعت فيه من هلكة تستحقها لأنك لا تعرف مع من تتكلم ، لقد تقلدت الخزي ، ولبست ثوب الذل والعار في حروبك كافة التي شاركت فيها ، وكنت متخاذلاً في أول اللقاء والتقاء الطرفين ، أما قول الإمام الحَسن عليه السلام ((هبلتك أُمك)) أي فقدتك أمك يا مروان ، نحنُ أصحاب الحجج الدامغة ، ولنا عليكم يدٌ بيضاء ، كان عليكم أنْ تشكروها ولا تجحدوها، لقد جاء رسول الله بالإسلام والقرآن الكريم ليخرجكم من الظلمات الى النور ، فدعوناكم الى النجاة ، وتدعوننا الى النار، وهذا المقصود به قوله تعالى (٤٦) : { ويا قومِ ماليَ أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار} ؛ فالفرق كبير بيننا وبينكم ، كالفرق بين الثرى وهو التراب في الأرض والثريا وهي مجموعة نجيمات تسمو في كبد السماء ، يا مروان : تفتخر ببني أمية، ولا فخر لهم ، وتقول أنَّهم ((صُبَّرٌ في الحرب ، أُسْدٌ عند اللقاء)) فاينَ هُم في موقعة بدر ؟ وأينَ هُم في فتح مكة ، ألستُم أنتُم الطلقاء في يوم الفتح ؟ وقوله ((ثكلتك الثواكل)) ؛ الثكل الفقد والثواكل اللواتي فقدن عزيزاً ، كأنْ يكون : ابنًا أو زوجًا أو أخًا ، إنَّ فرسان الوغى وأصحاب الصولات هم رجال بني هاشم ، وليسوا رجال بني أمية ، فرجال بني هاشم وجوههم تشعُ نورًا ، وهم السادة البهاليل والقادة الشجعان وغيرهم تبعًا لهم ، وهم الحماة الذائدون عمّن معهم وخلفهم ، وهم أجوادُ العرب وقريش ، فجدهم هاشم وهو من هشم الثريد ، لإطعام الناس ، وأنت يا مروان قد رأيتهم بنفسك كما رأهم كلّ من في المجلس ، لا يهابون الوغى ، ولا يخافون الموت ، ولم ينكصوا في مواجهة الأبطال ، فهم أهل الحرب ورجالها ، ولما رأيتَ في يوم الجمل ، ومعارك صفّين بأسنا ، وليتَ على وجهكَ هاربًا ، ثم جاءوا بك أسيرًا في يوم الجمل يعلوكَ اكليلٌ من الخزي والعار ، لأنَّك جبانٌ ضعيفٌ

رعديدٌ لا تقوى على مواجهة الأبطال ، فعفا عنك أمير المؤمنين علي عليه السلام ، أ تهرق دمي يا مروان ؟ كان عليك أنْ تهرق دم من قتل عثمان ، ومثل به في يوم الدار ، وأنت تنظر إليه ، لا حول لك ولا قوة ، فذُبح أمامك كما يذبح الحَمَل ، وأنت ((تثغو ثغاء النعجة) الثغاء صوت الحيوان الضعيف عندما يتعرض للإفتراس ، هكذا كان حالك ، وأنت تنادي بالويل الوثبور ، مثل المرأة اللكعاء ، والمرأة اللكعاء هي المرأة اللئيمة الحقيرة ، لم تدافع عن عثمان ولم ترمِ عنه بسهمٍ ، ولم تشهرْ سيفًا للدفاع عنه ، وانت منزويًا ترتعدُ فرائصك جُبنًا وخوفًا تستغيثُ ، كما يستغيث العبدُ بسيده ، وأصبحت من الخوف لا ترى إلا الموت الذي يرفرف فوق رأسك ، فأجبتك مسرعًا لأخلصك منهم قبل أنْ يقتلوك ، وأنقذك من الموت المحقق (٤٧) ، { هل جزاء الإحسان إلا الاحسان } ، وقد صدق من قال (٤٨) : (اتقِ شرَّ من أحسنتَ إليه) ، وبعد أنْ أنقذتك من براثن السيوف ، اليوم تحرضُ على قتلي ، فانك جاحدٌ وناكرٌ للجميل ، ولو طاوعك معاوية على ما تريد لذُبِحَ وذبحتَ معه كما ذُبِحَ من قبل عثمان بن عفان ؛ ولكنَّ يدك قصيرة لا تصل الى ما تتمنى وتريد ، لأنَّك جبانٌ رعديدٌ ، وأما زعمك بأنّي ابتليتُ بمثل معاوية ، فمعاوية أعرف بنفسه وهو شاكر لنا لأنّنا من وليناهُ ، ومتى بدا له أن يحارب فنحن لها ، فوالله لنأتينَكم بجيشٍ لا قبل لكم به ، ولا طاقة لكم على صده ورده ، ولنجعلن فرسان الشام وصناديد بني أمية أثرًا بعد عين، فأعلم يا مروان : نحن من لا يُجهل آباؤنا الكرام القدماء الأكابر ، وفروعنا السادة الأخيار الأفاضل ، رُدَّ عليَ يا مروان إنْ كنت تقدر على الرد .

هنا تدخل عمرو بن العاص متشفيًا بغريمه مروان بن الحكم ، وقال عن مروان : لا ينطق إلا ((الخنا)) والخنا تعني الفحش في الكلام ، وخصمه أي الامام الحَسن لا يقول الا الحق والصدق ، وأنشد شعرًا يصف به مروان ، وهو مغلوب على أمره :

قد يضرطُ العِيرُ والمكواةُ تأخذهُ لا يضرطُ العِيرُ والمكواةُ في النارِ

العير هي الإبل المعدة لأغراض التجارة ؛ والمكواة هي الميسم التي يسم بها الإبل لتكون دالة على مالكها ، سميت بالمكواة لأنها تحمى بالنار وتكوى بها الإبل ؛ فالعير تأكل راتعة ، ولا تدري ماذا سيُفعل بها ، فهي في

حالة أمن فلا تضرط ، ولكن عندما يُؤتى بالمكواة لوضع العلامة عليها، وبمجرد أنْ تشعر بحرارة المكواة تضرط ، وهذا البيت ينطبق تماماً على مروان بن الحكم ، فهو أسد باسل في المجالس لا يجاريه أحدٌ ، ولكنَّهُ في وغى المعارك جبانٌ خوارٌ ينهزمُ في أول المواجهة ، وفي كلِّ حروبه يقع في الأسر ، بل قل هو من يستأسر ليضمن البقاء على الحياة بعد المنّ عليه بالعفو ، فقد أسر مروان يوم فتح مكة ، فمنَّ عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالعفو ، وأطلقه مع طلقاء بني أمية ، ثم أسر في معركة الجمل، فمنَّ عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالعفو فأطلق سراحه، وحوصر يوم الدار في إحدى زوايا بيت عثمان ابن عفان ، ورفع عقيرته يطلب النجدة ، ولم يتجرأ أحد على إنقاذه إلا الإمام الحَسن عليه السلام ، هنا رد مروان بن الحكم ، ولكن على عمرو ابن العاص ، وليس على الحَسن ؛ فقال لعمرو بن العاص : (لقد طعنك أبوهُ فوقيتَ نفسك بخصيتيك) ، أي أنَّ الإمام علي أبا الحَسن في صفين طعن عمرو بن العاص ورفع سيفه ليقتله ، ولكن عمرو بن العاص بدهائه ومكره ، كشف عن عورته ، لكي لا ينظر اليه الامام علي ، فيختفي تحت جنح العجاج هاربًا من سيفه ، وختم عمرو بن العاص تشفيه بمروان بن الحكم قائلًا : ذق وبال أمرك يا مروان ، أي بمعنى ، على نفسها جنتْ براقش ، وهذا مثلٌ مشهور.

هنا نهض معاوية من مكانه متوجهًا الى مروان بن الحكم ليوبخه على هذا الموقف المخزي ، وقال له : ألمْ أنهكَ عن التعرض لهذا الرجل ، فقد أربعتَ على نفسك بالذلِّ والخزي والعار ، لأنَّكَ لستَ كفؤًا له ، ليسَ أبوك مثل أبيه ، ولا هو مثلك ، أنت الطليقُ بن الطريد الشريد ، وهو ابن رسول الله الكريم ، وكنت كمن يبحث عن حتفه بظلفه ، ثم قال له : لا تجارِ البحار فتهلك وتغرق ، ولا تتطاول على الجبال الشُمُّ العوالي فتدق عنقك ، اجلس صامتًا لا تتكلم ، واسترح من الاعتذار .

سادسًا : مع عمرو بن العاص في الطواف (١)

ذهب الإمام الحَسن عليه السلام الى بيت الله الحرام في مكة المكرمة للحج ، وتزامن أنْ حج في ذلك الموسم عمرو بن العاص ، وشاءَتْ الأقدارُ أنْ يلتقيا في الطوافِ حولَ الكعبة المشرفة ؛ فقال عمرو ابن العاص (٤٩) :

(يا حَسن ، أزعمتَ أنَّ الدينَ لا يقومُ إلا بكَ وبأبيكَ ؟ فقد رأيت الله أقامهُ بمعاوية ، فجعله ثابتاً بعد ميله ، وبيناً بعد خفائه ، أ فيرضى الله قتل عثمان، أم من الحقِّ أنْ تدور بالبيت كما يدور الجمل بالطحين ؟ عليك ثياب كغرقى البيض (٥٠) ، وأنت قاتل عثمان ، والله أنَّهُ لألمُ للسَمت (٥١) ، وأسهل للوعث(٥٢) ، أنْ يوردك معاوية حياض أبيك ، فقال الحَسن عليه السلام : إنَّ لأهلَ النارِ علاماتٌ يُعْرَفُونَ بها ، وهي الالحادُ في دين الله ، والموالاة لأعداء الله ، والانحراف عن دين الله ، والله إنّك لتعلم أنَّ عليًا لم يتريث في الأمر ، ولم يشك في دين الله طرفة عين ، وايمَ الله لتنتهين يا ابن العاص ، أو لأفرعن قصتك (يقصد جبينه) بقراعٍ وكلامٍ ، وإياكَ والجرأة عليَ ، فإنّي من عرفت ، لست بضعيفِ المغمزِ ، ولا بهشِ المشاشة (٥٣) ، ولا بمريءِ المأكلة ، وأنّي لمن قريش ، كأوسط القلادة ، مُعَرقٌ حسبي (٥٤) ، لا أُدْعَى لغيرِ أبي ، وقد تحاكمت (٥٥) فيك رجالُ قريشٍ ، فغصبَ عليك ألأمها حسباً(٥٦) ، وأعظمها لعنة ، فإياك عني ! فإنَّما أنتَ نَجِسٌ ، ونحنُ أهل بيتِ الطهارة ، أذهب الله عنا الرجسَ وطهرنا تطهيراً) .

فلزم عمرو بن العاص الصمت بعد أنْ القمَهُ الإمام الحَسن عليه السلام حجرًا في فيه ، واندسَ مسرعًا في صفوف الطائفين هاربًا خوفاً من أنْ يسمع المزيد من قوارص الكلام .

حجَّ الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) أكثر من عشرين مرة ماشياً والنجائبُ تقادُ الى جانبهِ ، وأخرى راكباً ، وفي إحدى مرات حجّه ، وفي أثناء تأديته لمناسك الطواف حول البيت الحرام ، لقيَهُ عمرو بن العاص الذي حجَّ هو الآخر في ذلك الموسم ، وبدلًا من أنْ يسلم على الإمام الحَسن ومعاديته بمناسبة عيد الأضحى المبارك ، انبرى يرميهِ بسهامِ القولِ الكاذبِ، والمعروف في السنة النبوية ، والشريعة الإسلامية ، وما يؤكده القران الكريم، هو أنْ يسود موسم الحجّ المحبة والصلح بين المتخاصمين ، ويتبادلون الهدايا ، وكلّ شيءٍ يساعدُ على تقوية أواصر المحبة والأخوة بين المسلمين ، ومحرمٌ عمل غير هذا ، ولكنَّ الإسلام الأموي يخالف هذا التشريع الموثق بالقرآن الكريم في قوله تعالى (٥٧) : { فلا رفثَ ولا فسوقَ ولا جدالَ في الحجِّ } ، وهنا نجد عمرو بن العاص وهو في بيت الله الحرام

يطوف حول الكعبة ، يخترقُ هذا التشريع ، ليهاجم الإمام الحَسن ويسمعه الفاظًا نابية ، تؤكد أخلاقه اللئيمة التي نشأ عليها وتربى ، فقد أرادَ عمرو بن العاص أنْ يلفت نظر الحجيج الى أنَّ الإسلام الأموي هو الصحيح ، والإسلام العلوي الذي هو الإسلام المحمدي نفسه غير صحيح من خلال قوله ((أ زعمتَ أنَّ الدينَ لا يقومُ إلا بكَ وبأبيكَ ؟ فقد رأيت اللهَ أقامهُ بمعاوية، فجعله ثابتًا بعد ميلِهِ ، وبينًا بعد خفائه)) ، الزعمُ هو الادعاء ، والحَسن عليه السلام لم يدعِ ذلك ، بل هو تشريعٌ إلهي جاء به القرآن الكريم، وما قام به معاوية ، ومن سبقه في مراسيم الحج هو بدعة ؛ وما إلغاء عمرة التمتع التي جاء بها النبي محمّد من عند الله إلا انحرافٌ صريحٌ عن الإسلام الحقّ ؛ والذي أعاد فقرة عمرة التمتع ، هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بعد أنْ رفعها عمر بن الخطاب من شعائر الحج وأكد رفعها عثمان بن عفان ، ونهى عن ادائها ، وعاقب من يؤديها (٥٨) ، ولم يقمْ الحجّ على أصوله إلا بوجود الإمام المعين بوصية من رسول الله ، وهو الإمام الحَسن عليه السلام ؛ واستقام الحجَ بوجود الحَسن وليس بوجود معاوية ، فمعاوية ما هو إلا ملكٌ ، والحَسن هو الإمام الشرعي للمسلمين المنصب من الله ورسوله ، وقد أكد هذه الحقيقة رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام في قوله (٥٩) : (الحَسن والحُسين إمامان إنْ قاما أو قعدا) ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم يعني سواء كان الحَسن والحُسين على رأس السلطة الدنيوية فهما الإمامان الشرعيان المفترضا الطاعة ، أو أزيحا عن مرتبتهما الدنيوية، تبقى لهما المرتبة الدينية ، ثم يواصل بن العاص ارسال سهامه الى الحَسن عليه السلام متهمًا إياهُ بقتلِ عثمان بن عفان وهو بريءٌ ، وما قُتِلَ عثمان بن عفان إلا من سوء عملهِ ، وسوء تدبيره وإدارته ، وما جنتْ عليه يداه من تقريب الأمويين ، وابعاد الصحابة وابنائهم عن إدارة الولايات وقيادة الجيوش ، وأما أنْ الإمام الحَسن يحجُّ بملابس بيضاء رقيقة ناصعة ؛ فما هذه ملابس إلا ملابس الإحرام التي لا تكون إلا بيضاء ، ولا يجوز ارتداء غير الأبيض من الملابس ، ثم يقسم بالله أنَّ أسوء الهداية وألينها أرضاً ، هو أنْ يتجاوز عنك معاوية ويعفو عنك ، وكان عليه أنْ يقتلك ويحلقك بأبيك.

بما أنَّ الإمام الحَسن عليه السلام كان في بيت الله الحرام يطوف حول الكعبة ، وأنَّ الجدال مُحرَمٌ أثناء تأدية مراسم الحجّ ، لذلك لجأُ الى النصح

والوعظ ، فقال لعمرو بن العاص : أنَّ لأهل النار من الكفارِ والمنافقين والمنحرفين علاماتٌ معينة ، أولها هو الإلحاد في دين الله ، وثانيهما هو مولاة أعداء الله ، وثالثهما هو الانحراف عن دين الله ، وكلها فيك يا ابن العاص ، وأما أبي علي بن ابي طالب عليه السلام ، فهو لم يكفرْ بالله طرفةَ عينٍ ، وعليك إنْ لمْ تلتزم الصمتَ ، وتغلق فمكَ ، وإلا أسمعتك ما لا يحمدُ عقباه ، وأضربك على وجهك بالعصا ، وأقرعك بالقول ، وإياك أن تتجاوز عليَ ، فأنت قبل غيرك تعرف من أنا ؛ فانا مطهرٌ خالٍ من العيوب والأرجاس والأدناس والحمد لله ، وأنا من بني هاشم من قريش ، وأنا واسطة العقد من القلادة فيهم ، أصيلٌ نسبي كبيرٌ عن كبيرٍ ، ولا أنتمي ولا أنسبُ إلا الى أبي ، وأنتَ يا ابن العاص مغموزُ النسب ، ولدت في حجرِ عاهرٍ ، وتنازع فيك أربعةُ رجالٍ ، كلٌّ يدعي أنَّكَ نطفته ، وفاز بك ألأمهم حسباً ونسباً ، وهو ديوثُ أمك ، أما أنا فمن البيت الذي طهره الله سبحانه وتعالى وقال فيه (٦٠) : { إنَّما يريدُ الله ليذهب عنكم الرجسَ أهلَ البيتِ ويطهركم تطهيراً } ، وأنت يا ابن العاص من أحد بيوتات البغاء والدعارة ، وهي بيوت العهرِ والراياتِ الحمراءِ ، وكفاكَ بهذا خزيًا وعارًا .

سابعًا : مع عمرو بن العاص (٢)

في مجلسٍ من مجالس قريش كَثُرَ فيها التفاخر والتباهي بالأحساب والأنساب ، وكان الإمام الحَسن بن علي صلوات الله عليهما حاضرٌ في ذلك المجلس فقال (٦١) : (قد علمت قريشٌ بأسرِها أنّي في عزِّ أرومِها (٦٢) ، لم أطبعْ على ضعفٍ ، ولم أعكس على خسفٍ (٦٣) ، أعرفُ نسبي ، وأدْعى لأبي) ؛ فغاظ ذلك القول عمرو بن العاص الذي كان حاضرًا في ذلك المجلس أيضًا ، لأنَّهُ لا يملك من مكارم الأخلاق والمفاخر شيئًا ، فانبرى منفعلًا يردُ على الإمام الحَسن عليه السلام قائلًا : (وقد علمتْ قريشٌ أنَّك ابن أقلها عقلًا ؛ وأكثرها جهلًا ؛ وإنَّ فيكَ خصالًا لو لم يكن فيك إلا واحدة منها ، لشملك خزيها ، كما شمل البياضُ الحائك (٦٤) ، وأيم الله لئن لم تنتهِ عما أراك تصنع ؛ لأكبسن (٦٥) لك حافةً كجلد العائط (٦٦)، إذا اعتاطت رحمها (٦٧) ، ممّا تحمل ، أرميكَ من خلالها بأحرِ من وقع الأثافي (٦٨) ، أعرك منها أديمك عَرْكَ السلمة (٦٩) ، فانَّك طالما ركبت المنحدر (٧٠) ؛

ونزلت في أعراض الوعر (٧١) ، التماساً للفرقة ، وإرصادًا للفتنة ، ولنْ يزيدك الله فيها إلا فظاعة) ، هنا التفت إليه الإمام الحَسن عليه السلام ورماهُ بسهمٍ أصابَ مقتله ؛ وقال له : (أما والله ، لو كنت تسمو بحسبك ، وتعمل برأيك ، ما سلكت فجَ قصدٍ ، ولا حللت راية مجدٍ ، أما والله لو أطاعنا معاوية ، لجعلك بمنزلةِ العدو الكاشح ، وأنَّهُ طالما تأخر شأوك ، واستسر داؤك ، وطمح بك الرجاء الى الغاية القصوى التي لا يورق بها غصنك ، ولا يخضر منها رعيك ، أما والله لتوشكن يا ابن العاص أن تقع بين لحيي ضرغام ، ولا ينجيك منه الروغان إذا التقت حلقتا البطان (١٠٥) .

في هذا المجلس الذي حضره كبار الصحابة وابناءهم والتابعين ، تفاخر أبناءُ قريش بأحسابهم وأنسابهم ، والحَسن بن علي عليه السلام كان ممن حضر هذا المجلس ، فآثر عدم السكوت لئلا يتهم بالعي والقصور ، فتكلم مفتخرًا بنسبه الكريم ، وحسبه الرفيع ، فغاظ ذلك عمرو بن العاص الذي لا يملك من مكارم الأخلاق شيئًا ، فهو لقيطٌ لا حسب له ولا نسب ، فقام برمي الإمام الحَسن بما يحلو له من سهام الحقد والحسد ، معبرًا عمَّا يضمره للحَسن من حقدٍ وبغضٍ وكراهية ، فسدد سهام حقده وحسده عليه ، هذه السهام لا تصلح للرمي إلا على من هو بمواصفات عمرو بن العاص ، ومن كان على شاكلته من اللقطاء ، فمن جملة ما قال (وقد علمت قريش أنَّك ابن أقلها عقلًا ؛ وأكثرها جهلًا) ، وهل يخفى القمر ؛ وتحجب الشمس بغربال ، وعلي بن أبي طالب وما أدراك ما عليٌ ، فهل عرفت الإنسانية منذ بدء الخليقة الى اليوم هذا رجلًا أكبر عقلًا منه بعد النبي محمد صلوات الله عليهما ، أما الجهل فيا عمرو بن العاص ألم تسمع رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ؛ يقول (٧٢) : (أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد العلم فيأته من بابه) ، وقول علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام عن نفسه (٧٣) : (علمني رسول الله ألف باب من العلم ؛ ينفتح لي من كل بابٍ الف باب) ؛ فمن رصيده هذا فهو أعلم العلماء ، وأما قول ابن العاص (وإنَّ فيك خصالًا لو لم يكن فيك إلا واحدة منها ، لشملك خزيها ، كما شمل البياض الحائك) ، هذا الكلام مرفوض البته ، فهو ينطبق على عمرو نفسه ، ولا ينطبق على الإمام الحَسن عليه السلام ، فالحَسن سيد شباب أهل الجنة ، ومن البيت الذي طهره الله ، وأبعد عنه الرجس ، وفي

المقابل عمرو بن العاص ، هو من أبناء العواهر البغايا صاحبات الرايات الحمراء ، وهو دعيٌ لا يُعرفُ أباه الحقيقي ، ولكنَّ الديوث العاص ادعاه لنفسه ، فابن العاص مثل الثوب الأبيض الذي كثرت فيه البقع السود ، فمن كان هذا ثوبه ، وهذا ماضيه المخزي ، لا يحق له مفاخرة أولاد الأنبياء ، بل لو طُلِبَ من للعار والخزي أنْ يتمثلا في رجلٍ ، فلن يقبلا إلا أنْ يكونا عمرو بن العاص ، والحائك هنا ليس المقصود نساج الخيوط ، بل المراد من يحمل في قلبه إحنًا وحسدًا وحقدًا ، فنفسُ عمرو بن العاص المريضة ، تصورُ له أنَّ الإمام الحَسن عليه السلام يترصد أخطاءَهُ وعيوبه وسقطاته ، ويُعرضُ به في المجالس من خلال التفاخر بنسبه الشريف وحسبه الرفيع ، وعمرو بن العاص يعرف قبل غيره أنَّ الإمام الحَسن أرفعُ وأسمى ممن يتتبع سقطات الآخرين وعيوبهم ، ولكنه مرضٌ نفسي ألمَ بعمرو ، ثم يهدد الامام الحسن متوعدًا إنْ لم يكفْ عن ملاحقته ، وتتبع عيوبه ، قائلًا : (لأكبسن لك حافةً كجلد العائط ، إذا اعتاطت رحمها ممَّا تحمل) ، أي أنَّ عمرو بن العاص سيقوم بالضغط بشدةٍ وقوةٍ على الإمام الحسن عليه السلام حتى يجعله صغيرًا في عيون أهل المجلس ، ويجعله يصرخ كما تصرخ الحامل الباكية من ألم الطَلْق ممّا في بطنها من حمل ، ثم تابع تهديده قائلًا : (أرميك من خلالها بأحر من وقع الأثافي ، أعرك منها أديمك عرك السلمة)؛ وفضلًا عمّا تقدم سأرميك بالأثافي وهي حجارة توضع تحت القدر ، تكون سوداء اللون لكثرة ما تتعرض للنار والدخان ، ولم يكتف ابن العاص بهذا بل قال للإمام الحَسن : سأحطم عظامك وأجعلها مثل الطحين ، ثم يواصل تهديده بكل جرأة ووقاحة قائلًا : (انَّك طالما ركبت المنحدر، ونزلت في أعراض الوعر ، التماسًا للفرقة ، وإرصاداً للفتنة ، ولنْ يزيدك الله فيها إلا فظاعة) ، فانَّك سلكت الطريق الصعب ، وسرت في السبيل الخشن ، باحثًا عن الفتنة بين المسلمين ، وتفريق صفوف وحدتهم ، ولكنَّك لن تحصد غير الخيبة والخذلان ، عجيبٌ حلم الإمام الحَسن وصبره على هؤلاء المنحطين والمنحرفين ، من أولاد الزنا والبغايا ، ومع كل ذلك لم يصمت الإمام الحسن عليه السلام بل رد عليه بشدة وعنف ، كاشفًا ماضيه المخزي أمام الحاضرين في المجلس على الرغم من أنَّ أهل المجلس كافة يعرفون من هو عمرو ابن العاص ، إلا إنَّ الإمام الحَسن جهرَ به في المجلس بحضور

ابن العاص الذي ولى هارباً من المجلس مذمومًا مدحورًا بعد أنْ استعرض الإمام الحَسن عيبوبه ، وفصل فيها القول فقال له يا ابن العاص: (أما والله، لو كنت تسمو بحسبك ، وتعمل برأيك ، ما سلكت فجَ قصدٍ ، ولا حللت راية مجدٍ) ، فالإمام الحَسن عليه السلام يقسم بالله العلي العظيم، ويقول لعمرو بن العاص : لو كان لك حسبٌ تفتخر به ، لسمع منك الناس ، ولكنَّك لقيطٌ مغموز النسب ، أمك بغيٌ ، وأبوك مجهولٌ لا يُعرف ، فأنت دعيٌ ، ولصيقٌ في بني أمية ، لست منهم ، فضلاً عن كونك طليقاً ، أطلقناك يوم فتح مكة، ولكنَّ الذي ادعى أنَّهُ أباك أموي ، وأنتَ عبدٌ لئيمٌ لا رأي لك، تعمل بما تُؤمر، فأنت بوق خزيٍ وعارٍ ، ومن كان فيه مثل ما فيك ، عليه أنْ ينزوي ويلزم الصمت ، ولا ينبسُ ببنت شفة ، لأنَّ ماضيك أسودٌ ، ملؤهُ الخزي والعار ، ولا مجد لك فتفخر به ، وأضاف الإمام الحَسن قائلًا لعمرو بن العاص : (لو أطاعنا معاوية ، لجعلك بمنزلة العدو الكاشح) ، أي بمعنى لو أنَّ معاوية ابن أبي سفيان سمع نصيحتنا له فيك ، وطردك من بطانته ، لكان خيرًا له وللمجتمع ، ولكنَّ معاوية يعرف ذلك ، فاتخذك كماشةَ نارٍ يهاجمُ بك من يريد ، ويجعلك وجهاً للوقاحة والقباحة وهو بمنأى عنها ، وقال الحَسن أيضاً : (وأنَّهُ طالما تأخر شأوك ، واستسر داؤك ، وطمح بك الرجاء الى الغاية القصوى التي لا يورق بها غصنك ، ولا يخضر منها رعيك) ، ويقول له الإمام الحَسن عليه السلام يا ابن العاص : إنَّكَ دائمًا دون مستوى الأقران ، تجري خلفهم لأنَّ شوطك قصير ، تخفي حقدك وحسدك ، كما يخفي المحاق في الليلة الأخيرة القمر ، وهي ليلةٌ ظلماءُ لا ضياءَ فيها ، ولك طموح تجري وراءه بسرعة قصوى ، ولكنَّ طموحك ؛ لن يُورق ؛ ولا يُزهر غصنه ؛ لأنّك تجري وراء سراب ، ومرعاكَ مرٌّ وبيلٌ ، أعشابه ذابلةٌ ويابسةٌ ، وختم الامام الحَسن خطابه لعمرو بن العاص بقوله (لتوشكن يا ابن العاص أن تقع بين لحيي ضرغام ، ولا ينجيك منه الروغان إذا التقت حلقتا البطان) ، وأخيرًا يا ابن العاص ستقع بين فكي الأسد الباسل ، ولن تنجيك ألاعيبك وروغانك عندما تطبق عليك كماشتا الحزام .

ثامنًا : مع مروان بن الحكم

بينما معاوية بن أبي سفيان جالسٌ في أصحابه إذ قيل له : الحسن بالباب، فقال معاوية (٧٤) : إنْ دخل أفسد علينا ما نحن فيه ، فقال له مروان بن الحكم : أتأذن لي ، فأنّي أساله ما ليس عنه فيه جواب ، قال معاوية : لا تفعل فإنَّهم قومٌ قد الهموا الكلام ، وأذن له ، فلما دخل الحسن وجلس ، قال له مروان : أسرع الشيبُ الى شاربك يا حسن ؟ ويقال إنَّ ذلك من الخُرق(٧٥)، فقال الحسن ليس كما بلغك – ولكنا معشر يني هاشم – أفواهنا عذبة شفاهها، فنساؤنا يُقبلن علينا بأنفاسهن ونقبلهن ، وأنتم معشر بني أمية فيكم بُخر شديد(٧٦) فنساؤكم يصرفن افواههن وانفاسهن عنكم الى اصداغكم ، فإنَّما يشيبُ منكم موضع العذار من أجل ذلك ، قال مروان : إنَّ فيكم يا بني هاشم خصلة سوء ، قال : وما هي ؟ قال الغُلمة (٧٧) ، قال : أجل ، نُزعت الغُلمة من نسائنا ووضعت في رجالنا ؛ ونزعت الغُلمة من رجالكم ووضعت في نسائكم ، فما قام لأموية إلا هاشمي ؛ فغضب معاوية وقال : قد كنت أخبرتكم فأبيتم حتى سمعتم ما أظلم عليكم بيتكم ، وأفسد عليكم مجلسكم ، فخرج الإمام الحسن وهو يقول :

ومارستُ هذا الدّهرَ خمسينَ حجةَ

وخمسًا أزجي قائلًا بعد قائـــــلِ

فلا أنا في الدّنيا بلغتُ جسيمهـــــا

ولا في الذي أهوى كدحتُ بطائلِ

وقد شرعتُ دوني المنايا أكفهـــــا

وأيقنتُ أنّي رهنُ موتٍ مُعاجـلِ

الهوامش :

١- المحاسن والأضداد : ٧٩ – ٨٠
٢- العنان : هو ما يلجم به الجواد والفرس
٣- غرب المنطق : قوة المنطق

٤- تقارضنا : تبادلنا الحديث
٥- المقارعة : لا تكون إلا في الحرب وبالسيوف
٦- المضان : الأصل
٧- الحَمَلَةُ : هم أصحاب الحملات المشهودة في الحروب
٨- الأفك : هي الذنوب التي يبغضها الله سبحانه وتعالى
٩- الخنا : الكلام الفاحش
١٠- طليق بن طريد : أسير بن منبوذ ومُبعد
١١- الشاة عندما ترى سكين الذبح تبعر على نفسها
١٢- الأديم : جلد الإنسان ؛ وجلد زياد ممزقاً من كثرة العيوب والمخازي.
١٣- البغي : المرأة العاهرة
١٤- سُمية : هي أم زياد ؛ وهي من أشهر صاحبات الرايات الحمراء في الجاهلية وكانت دولة بين الفجار والفاسقين
١٥- بغاث الطير : ضِعاف الطير
١٦- المحاسن والأضداد : ٨٠
١٧- المحاسن والأضداد : ٨٠
١٨- الحجل : هو ذكر الدراج ؛ والعقاب من الجوارح ؛ وهو سباع الجو ؛ وهو أكبر حجماً من الصقر .
١٩- المحاسن والأضداد : ٨٠
٢٠- المحاسن والأضداد : ٨٠
٢١- البازل : الجمل الفتي القوي الذي لا يتجاوز التاسعة من عمره
٢٢- المحاسن والأضداد : ٨٠
٢٣- المحاسن والأضداد : ٨١
٢٤- النخيزة : طبيعة الإنسان ؛ والمراد بها الطبيعة الخشنة
٢٥- المحاسن والأضداد : ٨١
٢٦- الكليل : الضعيف الذي لا قوة له
٢٧- ما بين عضادتين تعديل يقتضيه السياق وفي الأصل (أن لا) .
٢٨- المحاسن والأضداد : ٨١
٢٩- السمة : هي علامة توضع على الإبل بصورة لتميز بعضها عن بعض
٣٠- شرح نهج البلاغة : ٣ / ٣٦٠
٣١- المحاسن والأضداد : ٨٦ ؛ والشعر لطرفة بن العبد في ديوانه : ٤٩

٣٢- أقعى : هو جلوس الكلب على ذنبه ورجليه
٣٣- المحاسن والاضداد : ٨٢
٣٤- تاريخ الطبري : ٥ / ١٤٩ ؛ شرح نهج البلاغة : ١ /٢٩ ؛ ١٥ / ٢١٩
٣٥- معجم ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام : ١٧٤
٣٦- المحاسن والأضداد : ٨٢ – ٨٣
٣٧- الفهه العيي : الفاهي من الفهاوة ؛ العاجز عن الخطاب
٣٨- مه : أكفف ولكن تقال بزجر وبقوة
٣٩- الصخرة الململمة : الصخرة الكبيرة في الجبل
٤٠- الوعول : هي نوع من الغزلان تعيش في الجبال ولها قدرة عجيبة على التسلق .
٤١- لا تبلغها السهام : لا تصل السهام الى قمتها لارتفاعها الشاهق
٤٢- راتعاً في لحم قريش : منافقاً تتحدث في القال والقيل ؛ والغيبة والنميمة
٤٣- عبد : أي انك لست من قريش ؛ لأنك ابن فراش لا يعرف من هو أباك الحقيقي ؛لأنَّ أُمك عاهر من صاحبات الراية الحمراء .
٤٤- المحاسن والأضداد : ٨٤
٤٥- المرأة اللكعاء : المرأة اللئيمة الحقيرة
٤٦- الخنا : الفحش في الكلام
٤٧- سورة غافر ؛ الآية : ٤١
٤٨- سورة الرحمن ؛ الآية : ٦٠
٤٩- قول شعبي مأثور شاع بين الناس وكثر تداوله بينهم .
٥٠- المحاسن والأضداد : ٨٥
٥١- غرقي البيض : القشرة الرقيقة التي تحيط بياض البيض
٥٢- السمت : الهداية
٥٣- الوعث : اللين السهل
٥٤- هش المشاشة : رخو العظام
٥٥- معرق : أصيل
٥٦- تحاكمت فيك الرجال : تنازعت فيك الرجال لأنك بن عاهر ؛ وكل يقول : إنَّكَ نطفته
٥٧- فغضب عليك : فاز بك وادعاك لنفسه

٥٨- سورة البقرة ؛ الآية : ١٩٧
٥٩- الحسن والانشقاق الأموي : ٨٠ ؛ وحج التمتع نهى عنه عمر وعاقب عليه .
٦٠- صحيح مسلم ؛ الإتحاف بحب الأشراف : ١٢٩
٦١-سورة الأحزاب الآية : ٣٣
٦٢- المحاسن والأضداد : ٨٥
٦٣- الأرومة : الجذر والأصل١٠٤
٦٤- الخسف : العتمة والظلمة بعد ذهاب الضوء .
٦٥- الحائك : ليس المقصود به النساج بل المقصود صاحب القلب الأسود الذي يضمر في قلبه شيئاً تجاه المقابل .
٦٦- لأكبسنَّ : أضغطُ عليك حتى أصغر حجمك .
٦٧- تعاطت : صاحت من الألم
٦٨- الأثافي : الأحجار الثلاثة التي توضع تحت القدر .
٦٩- أعرك السلمة : السلمة الحجارة ، ولكنه هنا أراد طحن العظام .
٧٠- المنحدر : المسلك الصعب
٧١- الوعر : الطريق الخشن
٧٢- البطان : حزام تشدُ به البطن
٧٣- المستدرك على الصحيحين : ٣ / ١٢٦
٧٤- بحار الأنوار : ٢٦ / ٢٩
٧٥- العقد الفريد : ٤ / ٢٠
٧٦- الخَرْق : الحُمق
٧٧- البُخر : ريحة نتنة في الفم

القسم الثالث

خطب الإمام الحسن عليه السلام

الخطبة الأولى

استنفار الناس لوقعة الجمل(١)

المغيرة بن شعبة يذم حرب الجمل وينعى على طلحة والزبير والسيدة العائشة شعرًا فقال (٢) :

أظنُّ الحربَ ساحبةً عليهـــم ذيولَ القومِ : عادٍ أو ثمـودِ

فقد ركبوا الخطأ متعمديـــهِ مكابرةً كأفعالِ اليهـــودِ

ألا لله درُّكما أجيبا لـــــــر...أي الحقِّ والفعلِ الســـديدِ

أ حقٌّ أنَّ أمكما ينادى بهـا الحادي والمشيحُ على قعودِ؟

ونسوتكمْ على خفضٍ ينادي بها الرجل المسلم من بعـــيدِ؟

ولما رات ذلك أُم الفضل زوج العباس بن عبدالمطلب بعثت إنسانًا من جهينة يقال له ظفَرٌ له عقلٌ ولسانٌ وقالت أقتل في كلَّ مرحلة جملاً وعليَّ ثمنه ، وخذ هذه المائة دينار ، وهذه الكسوة ، وابلغ هذا الكتاب إلى الإمام علي عليه السلام ، وكتبت الى علي عليه السلام : أما بعد فإنَّ طلحة والزبير وعائشة خرجوا من مكة يريدون البصرة وقد استنفروا الناس فلم ينفر معهم احد يثقل عليك ، وقد رأوا من ذلك ما كرهوا ، ومن خلفت بعدُ على ما تجب وسل ظفرًا عما بدا لك .

فانتهى ظفرُ الى الناس وهو على ظهر جمله وقد رجموا الأخبار فقالوا: أيها الراكب ما عندك فقام خطيباً وقال بأعلى صوته (٣) :

ألا أيها الناسُ عنديَ الخبرْ بأنَّ الزبيرَ أخاكمْ غـــدرْ

وطلحةَ قدْماً حذا نعلـــــهُ ويعلى بن مُنبه فيمنْ نفرْ

أُمّكمْ اليومَ في عســـــكرٍ يقودُ بها قائدٌ من هجـــرْ

علامَ وفيمَ وقد بايعـــــا عليًا ، يحلانِ عقدَ المـــررْ؟

وبعد أنْ تمتْ بيعةُ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، أميرًا للمؤمنين وخليفةً لرسول الله مُحمّد (صلى الله عليه واله وسلم) في المدينة المنورة ، وقَبَلَ بها الإمام علي عليه السلام مُكرهًا غير راغبٍ فيها ، لأنَّهُ كان زاهدًا فيها ، وبعد أنْ بايعه طلحة بن عبيدالله ، والزُبير بن العوام بالخلافة، نكثا بيعتهما وفرا الى البصرة وقد أخرجوا معهم السيدة عائشة زوج رسول الله مُحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ومن هنا كان لابدَّ من التذكير أنَّ رسول الله قد أمر الامام علي بحرب هذه الفئات الخارجة عن الإسلام فقد (٤) : (أمر رسول الله علي بن أبي طالب بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين) ، الناكثين هما طلحة والزبير ، وقد أمرهُ رسول الله بقتالهما ومن يخرج معهما ، فقد جاء طلحة والزُبير الى الإمام علي عليه السلام وقالا له(٥): (هل تدري على ما بايعناكَ يا امير المؤمنين ؟ قال علي : نعم على السمع والطاعة ، وعلى ما بايعتم عليه أبا بكرٍ وعمرٍ وعثمانٍ ، قالا : لا ، ولكنّا بايعناك على أنا شريكاكَ في الأمرِ ، قال علي : لا ، ولكنَّكما شريكان في القول والاستقامة والعون على العجز والأولاد) ، وكان طلحة والزُبير يمنيان النفسَ بالولايةِ على البصرة والكوفة ، وكان الإمام علي عليه السلام، قد سأل عبدالله بن عباس عمّا يريدان ، فأشار عليه أنْ يولي الزُبير على البصرة، وطلحة على الكوفة ، وهذا ما رفضه الإمام علي رفضًا قاطعًا ، وقال له : لو كنتُ مستعملًا أحدًا لضرّهِ ونفعهِ لأبقيتُ معاوية على الشام (٦)، لذلك تركا المدينة بحجة الذهاب لأداء العمرة ، ولكنَّ الواقع خرجا للتمرد على الإمام علي ، ونكث بيعته ، فتحرك الإمام علي استعدادًا للقضاء على الفتنة التي أحدثاها ، وذلك من خلال التعبئة العسكرية والمعنوية لمحاربتهما، فأرسل ابنه الإمام الحَسن عليه السلام ، ليستنفر المسلمين للمشاركة في قتال ناكثي البيعة ، ونقضهما عهدًا أعطياه من خلال بيعتهما ، وكان الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قد قال (٧) : (أمرتُ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين)، فخرج الإمام الحَسن داعية لأبيه ، ومستنفرًا المسلمين بالتهيؤ لقتالهما ، وقتال من يقف راءهما ، فارتقى المنبر مخاطبًا المسلمين في خطبة قصيرة ومقتضبة قال فيها (٨) : (أيّها الناس أنَّهُ قد كان من أمير المؤمنين علي ما تكفيكم جملته ، وقد أتيناكم مستنفرين لكم ، لأنَّكم جبهة الأمصار ، ورؤساء العرب ، وقد كان من نقضِ طلحة والزُبير لبيعتهما ، وخروجهما

بعائشة ما قد بلغكم ، وهو ضعف النساء ، وضعف رأيهن ، وقد قال الله تعالى (٩) : { الرجال قوامون على النساء } ، وأيم الله لو لم ينصرْهُ أحد لرجوتُ أنْ يكون له فيمن أقبل معه من المهاجرين والأنصار ، ومن يبعث الله من نجباء (١٠) الناس كفاية ، (١١) فانصروا الله ينصركم) .

تحليل الخطبة :

أراد الإمام الحَسن (عليه السلام) أنْ يقول لهم : إنَّ أمير المؤمنين علمٌ مُعرَّفٌ يعرفه المسلمون كافة ، ويعرفون موقعه من رسول الله ، ومكانته عنده ، ذلك لأنَّ المُعرَّف لا يُعرف ، وعلي بن أبي طالب بعثني لأستنهض هممكم لحرب الناكثين وحربهم ، وهو عهدٌ عهدهُ رسول الله لأبي ، بأنَّك ستحارب الناكثين من بعدي ، وها هو الزُبير وطلحة ينكثان البيعة ، وبذلك استحقا مقاتلهما ، ومن ضعف حجتهما وموقفهما استعانا بعائشة لتقوية موقفهم الضعيف ، وإضفاء الشرعية المضللة عليه في القتال والحرب ، والرأي جعله الله للرجال من دون النساء ، ذلك لأنَّ الله سبحانه وتعالى خلق المرأة عنصرًا ضعيفًا تحتمي بالرجال ؛ فقال : {الرجال قوامون على النساء}، والآية الكريمة لا تنتقص من قيمة المرأة ، ذلك لأنَّ القتال والحرب كتبه الله على الرجال من دون النساء ، وأقسم الإمام الحَسن عليه السلام أنَّ الإمام علي يستطيع الانتصار ، وقتل طلحة والزُبير بمن أتى معه في جيشه من الأنصار والمهاجرين والشرفاء الأصلاء الثابتين على الإسلام ، ولكنَّنا جئنا لاستنفاركم للمشاركة في قتالهم ، ذلك لأنَّ الله سبحانه وتعالى يحبُ من ينصره ، ويكتبُ له النصر المبين ، وذلك في قوله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا إنْ تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم } .

الهوامش :

١- سميت هذه الوقعة بحرب الجمل ، ذلك لأنَّ السيدة عائشة كان هودجها الذي تركب عليه كان على ظهر جمل .
٢- أخبار الجمل : ٤٤
٣- أخبار الجمل : ٤١ - ٤٢
٤- المستدرك للحاكم النيسابوري : ٣ / ١٣٩ ؛ رقم الحديث : ٤٧٢٩

٥- الإمامة والسياسة : ٤٧
٦- ينظر الإمامة والسياسة : ٤٧ - ٤٨
٧- أنساب الأشراف : ١٨٨
٨- الجمل وصفّين والنهروان : ١٣٢ – ١٣٣ ؛ بحار الأنوار : ٣٢ /٦٨
٩- سورة النساء ؛ الآية : ٣٤
١٠- النجباء : الكرماء الأصفياء
١١- إشارة الى قوله تعالى { يا أيها الذين آمنوا إنْ تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم } ، سورة محمّد ؛ الآية : ٧

الخطبة الثانية
خطبة ثانية في استنفار الناس لحرب الجمل

واصل الإمام الحَسن عليه السلام استنفار المسلمين لقتال ناكثي البيعة طلحة والزُبير ، الخارجين على شرعية خلافة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وعلى من يقف معهما ووراءهما من الأمويين والانتهازيين أصحاب المصالح الضيقة ، فصعد المنبر وخطب فيهم : (بعد أنْ حمد الله وأثنى عليه فقال (١) : (أيها الناسُ ، إنا جئناكم ، ندعوكم الى اللهِ ، والى كتابهِ وسنة رسولهِ ، والى أفقه من تفقه من المسلمين ، وأعدل من تَعْلمون، وأفضل من تفضلون ، وأوفى من تبايعون ، من لم يعيبه القرآن ، ومن لم تجهله السنة ، ولم تقعد به سابقة ، الى من قرّبهُ الله تعالى ورسوله قرابتين، قرابة الدين وقرابة الرحم الى من سبق الناس الى كل مأثرة ، الى من كفى الله به رسوله ، والناس متخاذلون ، فقرُبَ منه ، وهم متباعدون ، وصلى معه ، وهم مشركون ، وقاتل معه ، وهم منهزمون ، وبارز معه وهم محجمون ، وصدَّقهُ وهم يكذبون ، الى من لم تُرَدُ له رواية ، ولا تكافأ له سابقة ، وهو يسألكم النصر ويدعوكم الى الحقّ ، ويأمركم بالمسير اليه لتؤازروه وتنصروه على قومٍ نكثوا بيعته ، وقتلوا أهل الصلاح من أصحابه، ومثلوا بعماله ، وانتهبوا بيت ماله ، فأشخصوا اليه يرحمكم الله ، فأمروا بالمعروف ، وانهوا عن المنكر ، واحضروا بما يحضر به الصالحون) .

تحليل الخطبة :

قال الإمام الحَسن عليه السلام ، للناس المجتمعة لسماع خطبته ، إنّنا لم نأتِ لكم من أجل الدنيا ، بل جئناكم ندعوكم الى الله ، وكتابه القرآن الكريم، وسنة رسول الله وشريعته السمحاء التي أرسله الله تعالى بها ، والى أعلم الصحابة وأفقهم بالدين ، فقد علمه رسول الله ألف باب من العلم ، ينفتحُ له من كلّ بابٍ ألف باب (٢) ، والى أعدل الناس حكمًا وأفضلهم ، وفيٌ لمن بايعه ، لم يقدح عليه القرآن الكريم بشيء ، لم تجهله السنة النبوية ، وهو أعلم بمكنونها وما فيها ، وهو سابقُ أمة محمّد ؛ والسبّقُ ثلاثة : السابق الى موسى يوشع بن نون ، والسابقُ الى عيسى صاحب آل ياسين ، والسابقُ الى

مُحمّدٍ عليُ بن أبي طالب (٣) ، بنص القرآن الكريم (٤) : { السابقون السابقون ۞ أولئك المقربون } ؛ فقد قربه الله ورسوله فقال عنه (٥) : (هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم ، فاسمعوا له واطيعوا) ، فقرابة الدين هي أَنَّهُ وصيُ رسول الله ، والمؤدي عنه ، وقرابة الرحم هو ابن عمه وختنه على ابنته فاطمة الزهراء ، سيدة نساء العالمين ، وسيدة نساء أهل الجنة ، فاز بالمآثر طُرًا على الصحابة كافة ، ولم يسبقه أحد من الصحابة الى مأثرة ، وأما قول الإمام الحَسن عليه السلام (الى من كفى الله به رسوله) ، فيوم الخندق بعد أنْ ضاقت الأرض بما رحبت على المسلمين ، حينما عبر عمرو بن ود العامري الخندق ، وأصبح وجهاً لوجه مع المسلمين ، وطلب النبي من الصحابة كافة ، أنْ يبرز له رجل منهم ليقاتله ، فأحجموا جميعهم خوفًا من سيف عمرو بن ود العامري ، فنهض الإمام علي عليه السلام ، وقال يا رسول الله أنا له ، والنبي يقول له : إنَّهُ ابن ود ، ولكنَّ الإمام علي كان مصرًا على منازلته وقتاله ، وبرز له متدرعًا بأيمانه ، متوكلًا على الله ، فقال النبي حين برز الإمام علي بن أبي طالب الى عمرو بن ود العامري(٦): (لقد برز الإيمانُ كلّهُ الى الشرك كلّهِ) ، فدعا له النبي بالنصر ، فقتل علي بن أبي طالب عمرو بن ود العامري ، وكسر شوكة المشركين ، وبعد أنْ قتل عليٌ عمرَو ، نزل قوله تعالى (٧) : { وكفى الله المؤمنين القتال } ، قال رسول الله بعلي بن أبي طالب ، وقد أجمعَ المفسرون أنَّ المقصود بهذه الآية الكريمة ، هو الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وأما قوله : (والناس متخاذلون ، فقرب منه ، وهم متباعدون) إشارة الى معركة حنين حين تخاذل الناس عن النبي ، وفروا من قراعِ السيوف ، فثبت الإمام علي وحده في الميدان ، وقاتل قريبًا من النبي يحميه ويقيه بنفسه ، وقاتلهم جميعاً حتى هزمهم ، والآخرون هربوا بعيدًا عن أرض العركة ينظرون ما ستؤول اليه نتيجتها ، وأما قوله : (وصلى معه ، وهم مشركون) الإمام علي هو أول من صلى مع رسول الله وخلفه ، الى أنْ رآهما أبو طالب (عليه السلام) ، وكان معه ابنه الآخر جعفر الطيار فقال له (٨) : (صِلْ جناحَ ابن عمك ؛ فجاء جعفرٌ فصلى مع النبي ، فلما قضى صلاته قال له : يا جعفر وصلت جناح ابن عمك ، إنَّ الله يعوضك عن ذلك جناحين في الجنة وأنشأ يقول :

١-إنَّ عليَا وجعفــرًا ثقتـــــــــي عند احتدام الأمور والكـــــرب

٢- لا تخذلا وانصرا ابن عمكما أخي وابن أمي من بينهم وأبـــي
٣- والله لا أخـذل النبـــــي ولا يخذله من بني ذو حســـــــب
٤- نحن وهذا النبي أســـــرته نضرب عنه الأعداء كالشـــهب
٥- إن نلتموه بكل جمعكـــــــم فنحن والله في الناس ألأمُ العرب

وكان جعفر الطيار هو ثاني من صلى وراء النبي ، وقريش كلّها كافرةٌ بما أرسل به النبي مُحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ؛ وأما قوله : (وقاتل معه ، وهم منهزمون ، وبارز معه وهم محجمون) ، هذه فيها إشارات الى عدة مواضع منها معركة أحد ، ومعركة خيبر ، ومعركة حنين، وهنا نشير الى معركة أحد حين خذل الرماة النبي ونزلوا من الجبل ، وكشفوا ظهر المسلمين ، وما حدث من التفاف المشركين على المسلمين وجرح رسول الله ، وفرار أصحابه ، وتركوه جريحًا والعدو محيطٌ به ، ولم يكن معه غير الإمام علي الذي شدَّ بسيفه عليهم جميعًا ، وهزمهم وحمى رسول الله من شرّهم ، والصحابة محجمون ينظرون ما يفعل علي من الأعاجيب بسيفه ، وعند ذاك هتف جبريل عليه السلام قائلًا (٩) : (لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فتى إلا علي) ، وقوله : (وصدَّقهُ وهم يكذبون) ، وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) ، هو أول من صدق رسول الله حينما نزل عليه الوحي، ولم يكذبه طوال حياته قط ، وأما قوله : (من لم تُرَدُ له رواية ، ولا تكافأ له سابقة) ، هو الصحابي الوحيد فضلًا عن كونه من أهل البيت الذي لا ترد له رواية ولم يُشكُ في قولٍ نقله عن رسول الله ، ولم يسبقه أحدٌ في الإسلام بسابقةٍ ، ويكفيه فخرًا أنَّ القرآن الكريم ، هو من سجل مآثره الكريمة، وقد بعثني إليكم رسولًا وهو (يسألكم النصر ويدعوكم الى الحقّ، ويأمركم بالمسير اليه لتؤازروه وتنصروه على قومٍ نكثوا بيعته ، وقتلوا أهل الصلاح من أصحابه ، ومثلوا بعماله ، وانتهبوا بيت ماله ، فأشخصوا اليه يرحمكم الله) في الخطبة السابقة قال الإمام الحسن عليه السلام : إنَّ في الأنصار والمهاجرين والنجاء فيهم الكفاية لوأدِ فتنة هؤلاء الناكثين ، وهنا يطلب من المجتمعين نصرته على الناكثين ، طلب الإمام لم يكن خوفًا منهم، ولا عجزًا عن قتالهم ، بل أرادهم أنْ يطلعوا بأنفسهم على مواقفِ هؤلاء الناكثين للبيعة ، الطالبين للدنيا بدلًا من الآخرة ، فلو كانت غضبتهم لله ما قتلوا عامل الإمام علي بن أبي طالب على البصرة عثمان بن حُنيف ؛ ونهبوا

بيت مال المسلمين فيها ، فقد قال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ما نصه(١٠):
(طلحة والزبير ومروان بن الحكم ؛ أتوا في نصف الليل في جماعة معهم، في ليلةٍ مظلمةٍ ، سوداءٍ مطيرةٍ ، وعثمانُ نائمٌ ، فقتلوا أربعين رجلًا من الحرس ، فخرج عثمان بن حُنيف ، فشدَّ عليه مروان ابن الحكم فأسره ، وقتل أصحابه ، فأخذه مروان ونتف لحيته وراسه وحاجبيه ، فنظر عثمان بن حُنيف الى مروان فقال : أما أنتَ إنْ فتني بها في الدنيا ، لم تفتني في الآخرة) ، لو قرأتم ما ذكره ابن قتيبة أتساءل معكم هل هذه الأفعال والتصرفات تليقُ بمن يطلب أنْ يكون خليفة لرسول الله في دين الإسلام ، هجومٌ مروعٌ في ليلٍ أظلمٍ مطيرٍ على مسلمين آمنين في بيوتهم ، ومن ثم سفكِ دمائهم ، والتمثيل بهم ، ونهب أموالهم ، لبئس المسلمين هم إذًا ، وتباً لهم وما يطلبون ، ويختم الإمام الحَسن عليه لسلام خطبته بالقول : (فأشخصوا اليه يرحمكم الله ، فأمروا بالمعروف ، وانهوا عن المنكر ، واحضروا بما يحضر به الصالحون) ، فالإمام يطلب حضوركم لتكونوا شهود عيان على أفعال هذه الشرذمة الناكثة للبيعة ، ويطلب منكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثلما أراد الله وسوله ، ويكون حضوركم ومشاركة إخوانكم في حرب الناكثين ، لتكونوا في صف الصالحين الذين رضي الله عنهم .

الهوامش :

١- الجمل وصفين والنهروان : ١٣٥
٢- الإرشاد : ١ / ١٨٥ ؛ بحار الأنوار : ٢٢ : ٤٦٩
٣- مجمع الزوائد للهيثمي : ٩ / ١٠٢
٤- سورة الواقعة ؛ الآيتان : ١٠ ــ ١١
٥- التفسير الميسر ــ نت
٦- شرح نهج البلاغة : ١٩ / ٦١ ؛ ينابيع المودة : ٢ / ١٠٨
٧- سورة الأحزاب ؛ الآية : ٢٥
٨- ديوان الإمام علي برواية علي بن حمزة البصري : ٦٣
٩- السيرة النبوية : ٣ / ٦١٥
١٠- الإمامة والسياسة : ٦٢

الخطبة الثالثة

تهيئة الناس استعدادًا لوقعة الجمل

هذه هي الخطبة هي الثالثة من خطب الإمام الحَسن عليه السلام في تهيئة الناس وتحشيدهم لحرب الناكثين بعد أنْ تمادوا بغيهم وبغييهم وعاثوا في البصرة فسادًا ، فقتلوا عاملها ، ونهبوا بيتَ مالِها ، وأرهبوا أهلها وأرعبوهم وروّعوهم تهديدًا بالتنكيل والقتل ، وأما مشاركتهم في حرب الإمام علي عليه السلام ، فقد قتلوا عثمان بن حُنيف ومثلوا به ، ورسول الله ينهى عن المثلة ويكرهها ، فقد وصى الإمام علي بن أبي طالب ولده الحسن عليهما لسلام ، حينما يريد أنْ يقتص من عبدالرحمن بن ملجم أنْ لا يمثل بجثته قائلًا(١) : (إياك والمثلة ، فإنَّ رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ، كرهها ولو بالكلب العقور) ، وقد قتلوا عثمان بن حُنيف ، ومثلوا به حيًا وميتًا ، فقد مثلوا به حيًا حين نتفوا شعرَ رأسه ولحيته وشاربه وحواجبه ، ومثلوا به ميتًا؛ فقطعوه بالسيوف أربًا أربًا بعد القتل ، وهذا ما استدعى الإمام علي للتحرك السريع ، للقضاء على تمردهم وفتنتهم ، وإنقاذ أهل البصرة من شرهم ، ومن أجل ذلك ارتقى المنبر الإمام الحَسن عليه السلام ، وخطب في الناس بعد أنْ حمد الله واثنى عليه وقال (٢) : (أيها الناس أجيبوا دعوة أميركم ، فانفروا الى إخوانكم ، والله لئن يليَ هذا الامر أولو النهى (٣) ، فانَّهُ مثلٌ في العاجل والآجل ، وخيرٌ لكم في العاقبة ، فأجيبوا دعوتنا على ما ابتلينا به وابتليتم ، فإنَّ امير المؤمنين يقول : قد خرجت مخرجي هذا ظالمًا أو مظلومًا ، وأنّي أذكر الله تعالى رجلًا رعى حقَّ الله بفرقانٍ ، إنْ كنتُ مظلومًا أعانني ، وإنْ كنتُ ظالمًا ، أخذ مني ، والله إنَّ طلحة والزبير أول من بايعني ، وأول من خرج عليَ ، فهل استأثرتُ بمالٍ ، أو بدلتُ حُكمًا ، فانفروا فأمروا بالمعروفِ، وانهوا عن المنكرِ) .

تحليل الخطبة :

الإمام الحَسن (عليه السلام) طلب من الحضور النفور ؛ والالتحاق بجيش الإمام علي عليه السلام ، ومساعدة إخوانهم في القضاء على هذه الشرذمة التي بغت وطغت وتمردت على إمامها وأميرها طلبًا للدنيا ، وأنَّ الناكثين قد عاثوا في البصرة فسادًا ، ينهبون ويسرقون ويقتلون بلا وازع من

دين ، ولا خوف من ضمير ، ونصركم لإخوانكم في الحق عاقبته عند الله خيرٌ ، وإذا صار أمر المسلمين الى (أُلي النُهى) أصحاب العقول الراجحة والواعية ، التي تنهى أصحابها عن مخالفة ما يؤمنون به ، أو أنْ يخالف أقوالهم أفعالهم ، لأنَّ هذا ليس من شيم المسلم المؤمن الحق ، وهذه المواصفات لا تنطبق إلا على طلحة والزبير ، بعد أن تلطخت أيديهم بدماء المسلمين من أهل البصرة ، وعندما يتولى الأمر أصحاب العقول الواعية ، يشيع الأمن والسلام ، والعدالة الاجتماعية تأخذ طريقها في التطبيق ، وتكون الأمة بخيرٍ ويعيش الناس بأمانٍ وسلامٍ ، وهذا ما ينطبق على حكومة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وخاطبهم الإمام الحسن (عليه السلام) : لبوا نداءنا لأنَّنا مكلفون شرعًا أمام الله بهذا الأمر ، والابتلاء الذي قصده الإمام الحَسن عليه السلام ، هو اختبارٌ من الله لكي يعرف الصالح من الطالح ، تطبيقًا لقوله تعالى (٤) : { أ يحسبُ الإنسان أن يترك سُدى } ، أي أنَّ المسلم المؤمن يجب أن يخضع للاختبار لمعرفة موقفه ، وهذا ما لا يخفى على الله، ولكنْ ليعرفه الناس ، وقديمًا قالوا : إذا يخفى عليك المرءُ ينبؤك فعله ، وهذا يعني إذا أردت أنْ تعرف شيئًا عن أيّ شخصٍ ، أنظر الى أفعاله ، فهي هويته التعريفية ، إنْ كانت حسنة مقبولة في المجتمع فهو على خير ، وان كانت منافية للدين والعادات والتقاليد ، فذلك من السيئين ، وأفعال طلحة والزبير أشرت على الرجلين ، وينقل الإمام الحَسن عن أبيه (عليهما السلام) قوله : إنَّ طلحة والزبير هما أول من بايعه بالخلافة ، وفي اليوم الثاني نكثا بيعتهما طمعاً في أمور الدنيا ، إذ طلبا من الإمام علي أنْ يجعل أحدهما أميرًا على البصرة ، والآخر أميرًا على الكوفة ، علمًا أنَّ طلحة هو أول من صعد المنبر، ومدَّ يده وبايع الإمام علي من المسلمين ثم تبعه الآخرون ، ولما مدَّ طلحة يده للبيعة : كانت يده شلاء (٥) ، فتطيرَ منها الإمام علي (عليه السلام) ، فقال(٦) : (ما أخلقها أنْ تنكثْ) ، ومن بعد طلحة بايعه الزبير ، ثم عامة الناس ، وقد صدق حدس الإمام علي عليه السلام ، إذْ سرعان ما نكث بيعته متحالفًا مع الزبير ضد الخليفة الشرعي ، وختم الإمام الحَسن (عليه السلام) خطبته بقول أمير المؤمنين علي (فهل استأثرتُ بمالٍ ، أو بدلتُ حُكمًا ، فانفروا فأمروا بالمعروفِ ، وانهوا عن المنكرِ) يقول الإمام علي أنا للتو استلمتُ الحكومة ، لم أمر بعد ولم انه ، ولم أعين عاملًا ولم أعزل عاملًا ،

ولم أستلم مالًا فأجعله لنفسي ، هلموا وأعلنوا الجهاد على الناكثين ، لإنقاذ اخوانكم المسلمين من أهل البصرة من بطشهم ، وأمروا بالمعروف ، وأنهوا عن المنكر يرحمكم الله .

أبو موسى الأشعري يخذل المسلمين عن نصرة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

لما دنا الإمام علي عليه السلام من ذي قار ، بعث عمَّار بن ياسر ، ومحمد بن أبي بكر الى أبي موسى الأشعري والي الكوفة لعثمان ، يستعينه ويستنصره .

فلما وصلا الكوفة حثا الناس على النهوض لنصرة الإمام علي في حرب الناكثين ، ولكنَّ رجالاً من أهل الكوفة ممن يدعون أنَّهم من أهل الدين، ذهبوا مساءً الى أبي موسى الأشعري وطلبوا رأيه في الأمر ، أ يخرجون مع علي ؟ فقال لهم أبو موسى الأشعري : أما سبيل الآخرة ، ففي أنْ تلزموا بيوتكم ، وأما سبيل الدُّنيا وسبيل النار فالمضي مع من أتاكم ، فاختاروا لأنفسكم ، فأطاعوه وبذلك بطأ أبو موسى الأشعري الناسَ عن نصرة الإمام علي .

فلما بلغ ما قاله أبو موسى الاشعري لرجال الكوفة الى عمّار بن ياسر وحمد بن أبي بكر (رضي الله عنهما) ؛ اتيا أبا موسى الأشعري وعنفاه وأغلظا له القول ، فقال لهما : إنَّ بيعة عثمان لفي عنقي وعنق صاحبكما الذي أرسلكما اليَ ، فإنْ أردنا قتالًا ، ما لنا أنْ نقاتل حتى نفرغَ من قتلةِ عثمان .

فلما اصبح الصباح صعد أبو موسى المنبر وقال : أنا صاحبُ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأصحابه الذين صحبوه في المواطن ، أعلم برسول الله ممن لم يصحبه ، وإنَّ لكم عليَّ حقاً أنا مؤديه إليكم ، إنَّ هذه فتنةٌ النائمُ ، فيها خير من اليقظان ، واليقظانُ فيها خيرٌ من الجالس ، والجالسُ فيها خيرٌ من القائم ، والقائمُ فيها خيرٌ من الساعي ، والساعي فيها خيرٌ من الراكب ، فكونوا جرثومة من جراثيم العرب ، اغمدوا سيوفكم وأقطعوا

أوتاركم ، وآووا اليكم المظلوم والمضطهد ، حتى يلتئم هذا الأمر ، وتنجلي هذه الفتنة .

إني سمعتُ رسول الله يقول : بين يدي الساعة الهرج ، قيل يا رسول الله ما الهرج ؟ قال : القتل القتل ! قال أصحابه يا رسول الله : أنقتل في السنة الواحدة كذا وكذا من المشركين ؟ قال : ليس قتلكم المشركين ولكن قتل بعضكم بعضًا ؛ قالوا : وفينا كتاب الله يومئذ ؟ قال : وفيكم كتاب الله ، قالوا ومعنا عقولنا ؟ قال : ومعكم عقولكم ، قال : يتاحُ الملك الزمان أناسٌ يحسبون أنَّهم على شيءٍ ، وليسوا على شيء ، قيل لأبي موسى : ما النجاة من ذلك الزمان ؟ قال : النجاة لي ولكم فيما عهد الله الينا الخروج منها كما دخلنا فيها.

فلما قضى أبو موسى خطبته ، قام إليه عمّار بن ياسر ، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس ، قد سمعتما مقالة صاحبكم ، وما نهاكم عنه ، من الشخوص الى هذين الجمعين ، ولعمري ما صدق فيما قال، وما يرضى الله من عباده مثل ما قال وما ذكر ، ولقد أنزل إلينا وعلينا القرآن، فبين فيه طاعته ومعصيته ، وحكم أحكامه ، فلم يدع ملة من الملل إلا وقد حكم فيها حكما ، أمر بجهادهم حتى تفيءَ الى أمر الله .... وقال في ملة أهل القبلة : { وإنْ طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ، فاصلحوا بينهما ، فإنْ بغت إحداهما على الآخرى ، فقاتلوا التي تبغي حتى تفيءَ الى أمر الله ، فإن فاءت، فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ، إنَّ الله يحب المقسطين ، إنَّما المؤمنون إخوةٌ ، فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون } ، فلم يرض من عباده وأهل طاعته أنْ يجلسوا في بيوتهم ويخلوا الناس يسفك بعضهم دم بعض ، فسيروا معنا الى هذين الجمعين ، فاسمعوا من حجتهم ، ثم انظروا من أولى بالعدل والنصر كما افترض الله عليكم فاتبعوه ، فإنْ أصلح الله بينهم رجعتم مأجورين ، وقد قضيتم حقَّ الله عليكم ، وإنْ بغي بعضهم على بعض، نظرتم الى الفئة الباغية ، فقاتلتموهم كما أمر الله وافترض عليك .

فقال بعض الناس صدق ، وقال بعضهم كذب ، قد قال أبو موسى خيراً مما قال .

ثم أنَّ عبد الخير الهمداني أحد بني خيوان قام الى أبو موسى الأشعري فقال : يا أبا موسى : هل بايع الناس علياً عليه السلام بعد قتل عثمان ؟ قال: نعم ؛ قال : فهل كان طلحة والزبير فيمن بايعه ؟ قال : نعم ، قال : هل جاء علي عليه السلام بحدثٍ يخلُ به نقض بيعته ؟ قال : لا أدري ، قال : إنا تاركوك مما لا تدري ، قال : فهل تعلم أنَّ احدًا خارج من هذه الفتنة التي تقصُها ؟ والناس أربع فرق : علي وشيعته ، وطلحة والزبير وشيعتهما ، ومعاوية وشيعته ، وفرقة بالحجاز لا نقاتل بها عدوًا ، فما تقول ؟ قال : هي فتنة ، قال : قد غلب عليك غُشك ، فقال ابن شداد البجلي في ذلك :

أبا موسى جُزيتَ جزاءَ مثـلٍ فأنتَ اليوم كالشاء الرَّبيضِ

فلا حقًّا تبعتَ ولا ضـــــلالًا

فأنتَ اليومَ تهوي في الحضيضِ

أبا موسى نظرتَ برأي سوءٍ تبوءَ به الى قلبٍ مريـــضِ

فتِهتَ فلستَ تفرُقُ بين خمسٍ ولا ستٍ ولا سودٍ ولا بيضِ

وتذكرُ فتنةً شملتَ وفيـــــها

سقطتَ فأنتَ ترجفُ كالجريضِ

هذه المعلومات مصدرها كتاب أخبار الجمل لأبي مخنف لوط بن يحيى الغامدي الأزدي الصفحات : ٦٨ – ٧٣

ملاحظات مهمة

١- أبو موسى الأشعري من المنافقين الذين أرادوا اغتيال النبي (صلى الله عليه وسلم) في العقبة .
٢- أبو موسى الأشعري من شيعة أبي سفيان يظهر الإيمان ويضمر الكفر،
٣- أبو موسى الأشعري هو من الطلقاء اذين اسلموا ظاهرًا بعد فتح مكة المكرمة .

٤- أبو موسى الأشعري هو من خان الأمانة وخلع الإمام علي من الخلافة ليمهد الأمر لمعاوية بن أبي سفيان وبني أمية للتسلط على رقاب المسلمين.

الهوامش :

١- جامع أحاديث الشيعة : ٨ / ٦٤٨ في الوسائل : ١٩/ ٩٦ ، المستدرك على الصحيحين : ١٨ / ٢٨٦ رقم الحديث ٦٥٠

٢- تاريخ الطبري : ٣ / ٢٧ ؛ الكامل في التاريخ : ٣ / ١٢١ ؛ الفتوح : ٢/ ٤٦٠ ، جمهرة خطب العرب : ١ / ٢٩٩

٣- أُولو النُهى : أصحاب العقول الراجحة والواعية

٤- سورة القيامة ، الآية : ٧٥

٥- شلاء : بها شلل

٦- الإمامة والسياسة : ٤٣

الخطبة الرابعة
التهيؤ لحرب الجمل

استنفار أهل الكوفة للمشاركة في حرب الجمل لما وصل الامام علي بن أبي طالب عليه السلام الى القادسية ، أرسل الى أهل الكوفة وفدًا من أصحابه يرأسهم ابنه الامام الحَسن بن علي (عليه السلام) ؛ والرسل هم : عمار بن ياسر ، وعبدالله بن عباس ، وقيس بن سعد بن عبادة ليستنفروا أهل الكوفة ويحثونهم على المشاركة في حرب الناكثين ، وأرسل معهم رسالة جاء فيها (١) : (أما بعد : فإني أخبركم عن عثمان خبرًا يكون كعيانه (٢) ، إنَّ الناس طعنوا عليه ، فكنت رجلًا من المهاجرين يرى كِبْرَ أشياخه ، وهذان – طلحة والزبير- أهونُ سيرهما الوحيف وكانت فيه من عائشة فلتة فانتدب له قوم فقتلوه .

فبايعني الناس غير مستكرهين ، فهما أول من بايعني على ما بُويع عليه من كان قبلي ، ثم أنَّهما استئذناني للعمرة ، ولا يريدانها (٣) ، فنقضا العهد ، وأذِنا بالحرب ، وأخرجا عائشة من بيتها وخدعاها ، وسارا بها الى البصرة الآن ، وسرتُ اليكم لتجيبوا ، ولعمري ما إياي تجيبون ، بل الله ورسوله ، ولم أقاتلهم وفي نفسي حاجة منهم .

وقد بعثتُ اليكم الحَسن بن علي ، وعبدالله بن عباس ، وعمّار بن ياسر، وقيس بن سعد بن عبادة مختبرين مستنفرين ، فكونوا عند ظني فيكم والسلام).

ارتقى الإمام الحَسن عليه السلام المنبر وخطب في جموع أهل الكوفة بعد أن قرأ عليهم رسالة أبيه أمير المؤمنين فقال (٤) : (أيها الناس ، إنَّهُ قد كان من أمير المؤمنين ومسيره ما يكفيكم جملة ، وقد أتيناكم مستنفرين لأنَّكم جُنةُ الأنصار ، ورؤوس العرب ، وقد كان من نقض طلحة والزبير لبيعتهما وخروجهما بعائشة ما قد بلغكم ، من وهن النساء ، وضعف رأيهنّ ، ثم جعل الله الرجال قوامين على النساء ، وأيم الله لو لم ينصره منكم رجلٌ لرجوت

أن يكون قد كفاه بمن أقبل معه من المهاجرين والأنصار ، ومن بعث الله له، ومن يحب اكتنافه ، فانصروا أالله ينصركم) .

تحليل الخطبة :

قرأ الإمام الحَسن (عليه السلام) رسالة أمير المؤمنين على المجتمعين من أهل الكوفة في مسجدها والتي يعرضُ فيها حال طلحة والزبير ونكثهما البيعة وإخراجهم للسيدة عائشة معهم ، مؤكدًا أنَّ الله سبحانه وتعالى كتب الحرب والقتال على الرجال ، وحجبه عن النساء ، ومع ذلك خرجت عائشة والتحقت بطلحة والزبير معلنة الحرب على خليفة المسلمين الشرعي الذي اختاره المسلمون لأنفسهم إمامًا وخليفة مع كراهة الإمام علي لهذا الأمر إلا أنَّهُ أجبر على القبول حفاظًا على وحدة الدين والمسلمين ، وأشار الامام الحَسن في خطبته الى أنَّ أمير المؤمنين معه من الجيش ما يكفيه للقضاء على تمردهم ، ولكنَّهُ أحب مشاركتهم معه لأنّكم رؤوس الأنصار ، والمقدمين منهم ، وانتم اعلام العرب ، وأنَّ طلحة والزبير بايعا عليًا ، ثم نكثا بيعتهما طمعًا في الدنيا متناسين الآخرة ، وأخرجوا معهم عائشة لتكون غطاءً لفتنتهم مع علمهم المسبق أنَّ النساء لا يصلحن لهذه المهمات ، بسبب وهنهن وضعف رأيهن ، وأن الله سبحانه وتعالى قد جعل كلمة الفصل في هذه خطوب بيد الرجال دون النساء ، وكان الزبيرُ يطمعُ أنْ يكون أميرًا على العراق ، فيما كان طلحة يطمعُ أنْ يكون أميرًا على اليمن (٤) ؛ ثم يقسم الإمام الحَسن (عليه السلام) بالله العظيم لو لم تنصره فإنَّ الله سينصره بمن أتى معه فيفوتكم شرف حرب الناكثين ، لأنَّكم إذا نصرتم أمير المؤمنين فإنَّ الله سينصركم ويرضى عنكم ، لأنكم غضبتم لله ودينه ، و ذلك هو الحق .

بعد خطبة الإمام الحسن عليه السلام بعدة أيام ، اشتبك الفريقان بمعركة سميت معركة الجمل ، وقد نُصِبَ هودجٌ للعائشة على الجمل واشتركت معهم في المعركة ، وكان القتال يدور حولها ، وزمام الجمل بيد مقاتلي قبيلة الضبَّة، وقد قُطِعّتْ تسعون يدًا حول الجمل ، وقتل أربعة آلاف مقاتل من الأزد وضبَّة من مجموع عشرة ألاف مقاتل ، وهم تعداد جيش طلحة والزبير، فيما قتل من عسكر الامام علي ثلاثة آلاف مقاتل (٥) ، ولما رأى الامام علي عليه السلام كثرة القتلى حول الجمل ، أمرهم أنْ يعقروه ، وفي من عقره اختلاف فقالوا : عبد الرحمن بن طرد (٦) ، ولكنَّهم في حقيقة الأمر

وجدوا في الجمل أربعة رماح قد اخترقته ، وهي رماحُ : الامام الحَسن بن علي (عليه السلام) ، وعمّار بن ياسر ، ومالك الأشتر ، وعدي بن حاتم الطائي (٧) ، ولكن الصواب وكما يقول محقق الكتاب إنَّ الذي عقر الجمل هو الإمام علي وولديه الامامين الحَسن والحُسين (عليهم السلام) (٨) ؛ وبعد سقوط الجمل ، أمر الامام علي (عليه السلام) محمد بن أبي بكر بنقل اخته عائشة الى دار عبدالله بن خلف الخزاعي (٩) .

السيدة عائشة تعرف الحقَّ ولكنَّها انحرفت عنه

بعد أنْ تمَّ عقر الجمل ، وكان جلده مثل القنفذ من كثرة النبال والسهام فضلاً عن أربعة رماح قد اخترقته ، وهي رمح الحسن بن علي (عليه السلام)، ورمح عمَّار بن ياسر ، ورمح مالك الأشتر ، ورمح عدي بن حاتم الطائي (رضي الله عنهم) (١٠) .

بعد عقر الجمل مدَّ محمد بن أبي بكر رأسه في الهودج ، ليرى هل أصيبت عائشة بسوءٍ ، فقالت : من مسَّ بدناً مسه رسول الله ، أحرقه الله بالنار ، فقال محمد بنار الدنيا يا عائشة ، لا بأس عليك ، أنا اخوك ، إنَّما نظرتُ هل أصابك من سلاح القوم شيء (١١) ، فقالت : يا محمد لا مرحبًا بك ، أ تشايع على قتلي ؟ فقال ما أخذت هذا إلا عنك ، أذكرك الله ، أ لستِ اخبرتني في زمان عمر بن الخطاب ، أنَّكِ سمعت رسول الله يقول : إنَّ علي بن أبي طالب يدور مع الحق حيث دار ؟ قالت : اللهم نعم ، ثم قالت : من معك ؟ قال عمَّار بن ياسر ، فسلم عليها ثم قال : إنَّ الله أمرنا بالجهاد في سبيله ، وأمرك بالقعود في بيتك ، ففعلنا ما أمرنا ، وفعلت ما نهاك عنه ، فأقبل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حتى قرع الهودج بالرمح ، قال: يا حميراء : أ رسول الله أمرك بهذا ؟ قالت : يا أبا الحسن : ملكت فاسجح(١٢).

الهوامش :

١- أخبار الجمل : ٧٥ ــ ٧٦

٢- كعيانه : كأنَّكم تشاهدون الحدث بشكل مباشر

٣- أي أنَّهما كاذبان

٤- اخبار الجمل : ٢١

٥- أخبار الجمل في هامش المخطوطة ل : ١٥٥

٦- الفتوح : ١ / ٤٨٩
٧- أخبار الجمل : ١٥٦
٨- أخبار الجمل الهامش (٧) الصفحة : ١٥٤
٩- أخبار الجمل : ١٥٧
١٠- أخبار الجمل : ١٥٦
١١- أخبار الجمل ١٥٥
١٢- أخبار الجمل : ١٥٦

الخطبة الخامسة

الرد على عبدالله بن الزُّبير بطلب من أبيه

خلال مرحلة التحضير والتهيؤ لوقعة الجمل ، صعد المنبر عبدالله ابن الزبير وخطب في أهل البصرة فقال للناس (١) : (إنَّ هذا الراغب الواعب(٢)، قتل عثمان في المدينة ثم جاءكم ليستبزكم أمركم بالبصرة ، وقد غصب أنفسكم ألا تبصرون بألفتكم وتمنعون حرمكم المباح ، ألا تتقون الله بما اعطيتم من أنفسكم ، أ ترضون أن يتوردكم أهل الكوفة في دياركم ؟ لا خير في عربي ذي كرم لا يذود عن حوضه أنْ يهدم ، فاغضبوا فقد اغضبتم، وقاتلوا فقد أثرتم ، ثم أنَّ عليًا لا نرى معه أحداً ((وأفرط في كلامه بشتم الإمام علي والحَسن والحُسين عليهم السلام)) ثم قال : اغدوا على عطياتكم بالغداة ، فقال الزبير لاينه عبدالله : فضحتنا بأمر الناس في أمر أعطياتهم بالغداة ، فقال : أنا كاذبٌ ، قال بل كفَّ ، قال عبدالله لتتركني أو ألحق بمعاوية) .

فلما بلغ أمير المؤمنين ما قاله عبدالله بن الزبير في خطبته ، قال للإمام الحَسن عليه السلام (٣) : قد بلغني أنَّ ابن الزبير شتمني ، فقم فاخطب لنا خطبة بليغة موجزة ، ولا تشتمنَ أحدًا من الناس ، فارتقى الإمام الحَسن المنبر ليرد كيدَ ابن الزبير الى نحره ، ونحره الى كيده ، بقصد تحجيم عبدالله ليعرف قدره ، ومن هو ، فهو انتهازيٌ لا قيمة له ولا وزن ، فهو عبدالله المشؤوم ، لأنَّهُ هو الذي أخرج أباه من أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، بسوء افعاله وتصرفاته ، قال بذلك أمير المؤمنين علي (٤) : (ما زال الزبيرُ رجلًا منا أهل البيت حتى نشأ ابنهُ المشؤوم عبدالله) ، وعبدالله نشأ وترعرع في حجر عائشة ؛ وكانت تكنى به ، فيُقالُ لها أمُّ عبدالله (٥) ، قام الامام الحَسن وصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (٦) : (أيُّها الناس ، أنَّهُ قد بلغنا مقالةَ عبدالله بن الزبير (٧) أنَّ عليًا (عليه السلام) قتلَ عثمانَ ، فقد عَلِمَ المهاجرونَ والأنصارَ بأنَّ أباهُ الزُبير ابن العوام ، لم يزل يجتبي (٨) على عثمان الذنوب ، ويضيق عليه ، ويرميه بفضيحاتِ العيوبِ، وطلحة بن عُبيدالله راكزٌ رأيتُهُ على بابِ بيتِ مالِهِ ، وهو حيٌ ، أنَّ ابي أمرني أنْ آتي عثمان فانصره ، فأتيته فصرفني الى اهلي فانصرفت ، فكيف

يقتله وقد نصره ، وأما شتيمتَهُ لعليٍ ، فهذا أمرٌ يضيقُ بهِ الحلق لمنْ أرادَهُ، ولو أردنا أنْ نقولَ لفعلنا ، وأما زعمه أنَّ عليًا ابتز (٩) الناسَ أمورَهم ، فإنَّ أعظمَ ما عليه حجةَ أبيه ، أنَّهُ زعمَ أنَّهُ بايعَهُ بيدهِ دونَ قلبهِ (١٠) ، فهذا إقرارٌ بالبيعةِ ، وإذعانه بالنكث .

وأما تعجبه إذ يقول تّوَرُدُ أهلَ الكوفةِ على أهلِ البصرةِ (١١) ، فما العْجَبُ من أهلِ الحقّ ردُوا أهلِ الباطلِ ، لعمري ما نقاتلُ أنصارَ عثمان ، ولكنا نقاتل أنصارَ الجملِ والسلام وميعادُ ما بيننا يوم نحاكمهم الى الله ، ثم نزل .

وبعد انتهاء الإمام الحسن (عليه السلام) من خطبته هذه قام أُحيحة الأنصاري فقال (١٢) :

حسنَ الخير يا شبيه أبيـــــــهِ قمتَ فينا مقامةً من خطيـبٍ

قمتَ بالخطبة التي فرّجَ اللـــ...ـهُ بها عن فعالِ أهل العيـوبِ

لست كابن الزبير خلَّجَ في الأمـ...ـرِ فطاطأ عنانَ شرٍّ غريـبِ

وكشفتَ القناعَ فاتضحَ الأمـــ...ـرَ وداويتَ قاسيات القلـوبِ

وأبى اللهُ أنْ يقومَ بما قـــــام به ابن الرسولِ وابن الحبيبِ

ذاك نجل الوصي غير ارتيابِ وابن بنتِ النبي عينُ النسيبِ

جاوز ابن الزبير عن جهة الحق...قِ يتبع الهوى ورجم الغيوبِ
ليس هذا كذا وليس أبـــــوهُ كأبي ذاك في عظام الخطـوبِ
فأبى اللهُ ذاك ثم أبـــــــاهُ ما قوي الآلُ في قلالِ الحبوبِ

تحليل الخطبة :

بعد أنْ أثنى الامام الحَسن (عليه السلام) على الله وحمده ، أخبر الناس أنَّ عبدالله بن الزبير يشتمُ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ويسبَهُ وينالُ منه أمام أهل البصرة ، وهو يتهم أمير المؤمنين بقتل عثمان بن عفان ، وعبدالله نفسه يعرف أكثر من غيره ، أنَّ أباه الزُبير بن العوام ، ومعه طلحة بن عُبيدالله هما من كان يحرضُ على عثمان (١٣) ، وأما أبي فكان يقول (١٤) : (والله ما زلتُ أذبُ عنهُ حتى لأستحي) أي أدافعُ عن عثمان ، وأخافُ أن يقال أنَّهُ يدافع عن الباطل ، وقال (١٥) : (والله لقد

دافعتُ عنه حتى خشيتُ أنْ أكون آثمًا) ؛ فمن كثرة دفاع أبي عن عثمان ، كان يخشى أنْ يكون آثمًا لكثرة ما دافع عن عثمان الذي ظلم المسلمين ، وأنَّ عبدالله قد جنى على أبيه من الذنوب والفضائح مما لا يحصى ولا يعد، وطلحة بن عُبيدالله هو من حرض الناس على عثمان وأمرهم بحصاره ، ولما لم ينفع الحصار ، أمرهم بقطع الماء عنه فقال لهم (١٦) : (إنَّ عثمان لا يبالي ما حصرتموه ؟ وهو يدخل إليه الطعام والشراب ، فامنعوه الماءَ أنْ يدخل عليه) ، وطلحة هو أول من سنَّ سنة منع الماء عن الطرف الآخر ، وهي سنةٌ سيئةٌ مبتدعةٌ لم يعرفها الإسلام من قبل ، ولا يقر بها ، فهو يتحمل أوزارها ومن عمل بها الى يوم القيامة الى يوم القيامة ، فأما شتمك لأمير المؤمنين فهو مجرد هُراء ، وهواء في شبك لا يقدم ولا يؤخر ، ولو أردنا أنْ نرد عليك بمثل ما تقول كنا قادرين على ذلك ولكن سمو أخلاقنا أهل البيت تسمو بنا فوق الصغائر والأحقاد ، واتهام ابن الزبير لأمير المؤمنين أنَّه سلبَ الناسَ أموالهم ، فهذا محضُ افتراءٍ ، فالمسلمين كافة يعرفون من هو علي بن أبي طالب ، ومدى ترفعه عن الدّنيا وأمورها المادية ، وأما قوله أنَّ أباه الزبير بايع بيده ولم يبايع بقلبه ، فهذه لها جوابان الأول هو إقرار الزبير بصحة خلافة أبي ، والثاني أنْ صح ما قاله فالزبير هو من المنافقين الذين يقولون القول ويضمرون ما ينقضه ، وأما قوله (وأما تّوَرُدُ أهلَ الكوفةِ على أهلِ البصرةِ (١٧) ، فما يُعْجَبُ من أهلِ الحقِّ ، وردُوا على أهلِ الباطلِ) ، إنَّ قدوم أهل الكوفة على أهل البصرة ، هو لنجدتهم ولنصرة صولة الحق على الباطل ، وأما عجبك من هذا فلا عجب من أن ينصر المسلمون الحقَّ ، وهو مع علي وأهل الكوفة ، وليس معكم وليس مع أهل البصرة ، ونحنُ جئنا مع الكوفة لمحاربة الناكثين للبيعة ، وليس لمحاربة قتلة عثمان .

الهوامش :

١- أخبار الجمل : ٨٥ ــ ٨٦

٢- الواعب : الآخذ كلَّ شيء والاستئثار به لنفسه

٣- الفتوح : ١ / ٤٧٠

٤- شرح نهج البلاغة : ٣ / ٣٦٠

٥- المعجم الكبير للطبراني : ٢٢/ ٤٤٢ ؛ الرقم ١٠٨٠

٦- أخبار الجمل : ٨٧ - ٨٨ ؛ الجمل وصفين : ١٧٥ ، الفتوح : ٢ / ٤٦٦
٧- عبدالله بن الزبير بن العوام ولد في السنة الهجرية الأولى ، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ، قتله الحجاج بن يوسف الثقفي ، وصلبه في مكة سنة ٧٢هـ ، ينظر تهذيب الكمال في أسماء الرجال : ٤ / ١٣٢
٨- يجتبي عليه : يدعي عليه
٩- ابتز : استلب
١٠- البيعة باليد دون القلب : نوعٌ من أنواع النفاق .
١١- تورد : مجئ
١٢- أخبار الجمل : ٨٨- ٨٩ ، وقيل الشعر لابنه عمرو بن أحيحة الانصاري ، نهج البلاغة : ١ / ١٤٦
١٣- ينظر الإمامة والسياسة : ١ / ٥٣ – ٣٨
١٤- تاريخ الطبري : ٤ / ٣٧٨
١٥- شرح نهج البلاغة : ١ / ٤٦٨
١٦- الإمامة والسياسة : ٣٦
١٧- تورد : مجئ

الخطبة السادسة

في التحضير لموقعة صفّين

بعد القضاء على فتنة طلحة والزُبير في حرب الجمل ، وعودة البصرة للخلافة الشرعية ، تمرد في غربِ الدولة الإسلامية معاوية بن أبي سفيان ، معلناً خروجه على الحكومة الشرعية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، رافضًا بيعته ، بأعذارٍ واهية ، تمثلت بمطالبته بالقصاص من قتلة عثمان بن عفان على اعتبار أنه ولي الدم ، وليس له الحق في ذلك ، لأنَّ هناك حكومة شرعية ، هي صاحبة الشأن ، وهي من تحاسب وتعاقب ، وليس معاوية ، فضلًا عن أنّ معاوية هو ممن يتهمون الإمام علي بالمشاركة في قتل عثمان ، ومن أجل ذلك أعلن معاوية العصيان والتمرد والانقلاب على الخليفة الشرعي ، وقد أرسل له الإمام علي عدة وفود لثنيه عن قراره وعودته الى رشده ، إلا أنَّهُ كان أكثرُ إصرارًا على ما في نفسه من طموحات، ومن الرُّسل الذين أرسلهم الامام علي الى معاوية الصحابي الجليل جرير بن عبدالله البجلي ، فقد استدعاه الإمام علي عليه السلام وقال له (١) : (اعلم يا جرير إنَّك ترى من حولي من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من المهاجرين والبدريين والعقبيين (٢) ، وقد اخترتك عليهم لقول رسول الله: خير ذي يمن جرير ، فاذهب الى معاوية بكتابي هذا ورسالتي ، فإنْ دخل فيما دخل فيه المسلمون ، وإلا فأنبذ إليه الحرب) ، وجاء في الرسالة التي أرسلها الإمام علي الى معاوية ما يأتي : (٣) : (أما بعد : فإنَّ بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام ، لأنَّهُ بايعني الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، فلم يكن للشاهد أنْ يختار ، ولا للغائب أن يرد ، وإنَّما الشورى للمهاجرين والأنصار ..... واعلم يا معاوية إنَّك من الطلقاء ؛ الذين لا تحلُّ لهم الخلافة، ولا تعقدُ معهم إمامة ، ولا تُعرض فيهم شورى ، وقد بعثتُ إليك والى من قبلك ، جرير بن عبدالله ، وهو من أهل الإيمان والسابقة ، فبايع ، ولا قوة إلا بالله).

فقال معاوية لجرير بعد أنْ قرأ رسالة الامام علي عليه السلام (٤) : (أُكتب الى علي على أنْ يجعل لي الشام ومصر جبايةً ، فإنْ حضرته الوفاة،

لم يجعل لأحدٍ من بعده في عنقي بيعةً ، وأُسَلِمَ اليهِ هذا الأمر ، وأكتبُ لهُ بالخلافة) .

ولما وصل كتابُ معاوية الى الإمام علي عرف أنَّها خدعة (٥) .

وكان الإمام علي عليه السلام قد رفض من قبل طلبًا مشابهًا لطلبه ، حينما عرض عليه طلحة والزبير أنْ يوليهما البصرة والكوفة ، فكيف يرضى أنْ يُقرَ معاوية على الشام ، ويضيف له ولاية مصر ، ويجعل خراجهما له خالصاً ، بالتأكيد طلب معاوية مرفوضٌ مردودٌ البته ، ومعاوية داهيةٌ من دهاةِ العرب ، أراد أنْ ينتزع إقرارًا من الإمام علي بشرعية ولايته على الشام واضافة مصر إليها ، وبعد الإقرار لا يبايع ، ويعلن العصيان على الخليفة الشرعي ، لأنَّ مصر كانت حينذاك تدينُ بالولاء للإمام علي عليه السلام ، ولو أقرها الإمام علي لمعاوية ، فإنْ اقرارها لهُ فإنَّها ستدين بالولاء لمعاوية ، وهذه الخدعة ما كان لها أنْ تنطلي على أمير المؤمنين علي ، والتي بموجبها رفض طلب معاوية جملة وتفصيلًا ، واستمرت الرسائل بين الإمام علي ومعاوية ، حتى استحكم السيف إيذانًا بالحرب ، وأخذت طبول الحرب تقرع ، فبدأ الإمام علي بالتعبئة العسكرية استعداد لقتال معاوية وتوحيد الدولة الإسلامية التي شرخها معاوية بعصيانه ، فنهض الإمام الحَسن عليه السلام داعية لأبيه لاستنفار المسلمين ، وحثهم على مقاتلة معاوية واخماد فتنته ، فخطب في جموعٍ من المسلمين قائلًا (٦) : (الحمدُ للهِ ، لا الهَ غيرُهُ ، ولا شريكَ لهُ ، إنَّ مما عَظمَ اللهُ عليكم من حقَهِ ، وأسبغ عليكم من نعمه ، ما لا يحصى ذكره ، ولا يُؤدى شكره ، ولا يبلغهُ قولٌ ولا صفةٌ ، ونحنُ إنَّما غضبنا لله ولكم ، فإنَّهُ مَنَّ علينا بما هو أهله ، أنْ نشكرهُ فيه ألاءه وبلاءه ونعماءه قولًا يصعد فيه الرضا ، وتنتشر فيه عارفة الصدق ، يصدقُ اللهُ فينا قولنا نستجيب فيه ، لمزيدٍ من ربنا ، قولا يزيدُ ولا يبيدُ ، فإنَّهُ لم يجتمع قوم قط على أمير واحد ، إلا اشتد أمرهم واستحكمت عقدتهم ، فاحتشدوا في قتال معاوية وجنوده ، ولا تتخاذلوا فإنَّ الخذلانَ يقطعُ نياط القلوب ، وإنَّ الاقدامَ على الاسنةِ (٧) نخوةٌ وعصمةٌ (٨) ، لم يمتنع قوم قط الا رفع الله عنهم العلة ، وكفاهم جوانحَ الذلةِ (٩) ، وهداهم الى معالم الملة(١٠):

والصلحُ تأخذُ منهُ ما رضيتَ بهِ

والحربُ يكفيكَ من أنفاسِها الجرعُ (١١)

تحليل الخطبة :

بعد أنْ حمدَ الإمام الحَسنُ (عليه السلام) اللهَ وأثنى عليه ، وعدد ما للهِ من نعمٍ على الناس ، وإنَّ هذه النعم لا تدوم إلا بالحمد والشكر ، ((الحمدُ لله والشكر لله)) ، هي من الكلام الطيب ، الذي يرضاه الله سبحانه وتعالى من عبده المسلم المؤمن ، وهذهِ إشارة الى قوله سبحانه وتعالى (١٢) : { إليهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَيّبُ ، والعملُ الصّالحُ يرفعُهُ } ، ثم دخل الإمام الحَسن (عليه السلام) في صلب الموضوع مباشرة لاستنفار المسلمين لقتال معاوية الذي أعلن تمرده بالشام ، وجوهر الخطبة يتمثل في انقسام المسلمين على صفين، صفٌ مع الخليفة الشرعي الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، المنتخب من قبل الأنصار والمهاجرين والبدريين والعقبيين ، وصفٌ مع الخارج على طاعة ولي أمره ، وخليفة المسلمين ، معاوية بن أبي سفيان ؛ فقد أشار الامام الحَسن (عليه السلام) الى أنَّ القوة تتمثل في توحد الصفوف ، لأنَّ الانقسامات والتشرذم تؤدي الى بعثرة صفوفهم وقوتهم ، ومن دواعي قوتهم هو اجماعهم على أميرٍ واحدٍ ، بمواصفات أشار إليها الإمام علي في رسالته الى معاوية، وذلك أنَّ الله ورسوله حرم إمارة الطلقاء وإمامتهم على المهاجرين والأنصار والعقبيين (اعلم يا معاوية إنَّك من الطلقاء ، الذين لا تَحِلُ لهم الخلافة ، ولا تُعْقَدُ معهم إمامة) ، هذا من جانب معاوية بن أبي سفيان ، أما من جانب الإمام علي بن أبي طالب فهو أول الناس إسلامًا ، وهو من السابقين السابقين الى الإسلام ، وهو مهاجريٌ بدريٌ عقبيٌ ، إذاً على المسلمين أن يتحدوا ويحشدوا قوتهم ويقفوا الى جانب الإمام علي في قتال معاوية بن أبي سفيان زعيم الفئة الباغية ، كما سماها رسول الله محمّد في قوله (١٣) : (ويحَ عمَّارٌ تقتلهُ الفئةُ الباغية ، يدعوهم الى الجنة ؛ ويدعونه الى النار) ، والفئةُ التي قتلت عمّار بن ياسر في صفّين هي فئة معاوية ابن أبي سفيان ، وتبعًا لقول رسول الله ، تكون الفئة الباغية ، هي فئة معاوية ومن التحق بها ، وقول الإمام الحَسن (عليه السلام) ، (الاقدامَ على الاسنةِ نخوةٌ وعصمةٌ) ، الإقدام فروسيةٌ وشجاعةٌ يتصف بها أصحاب المبادئ والحقّ ، ومن أجل احقاق

الحقِّ ، ووضعه في مكانه الصحيح ، فهم يقتحمون الأسنة ، والمقصود بالأسنة سلاح الحرب من سيفٍ ورمحٍ ونبلٍ ، لأنَّ مكانة الإسلام الحقيقية لا تُحمى ولا تُصان إلا بقوة السلاح ، وختم الإمام الحَسن خطبته في قوله : (لم يمتنع قومٌ قط ، الا رفع الله عنهم العلة ، وكفاهم جوانحَ الذلةِ ، وهداهم الى معالم الملة) ، إذا توحدت كلمةُ المسلمين أصبحوا قوةً ترهبُ العدو ، والامتناعُ هنا هو عدم مقدرة العدو على مقارعتهم لا بالسلاح ولا بالكلام ، وعندما يتوحد المسلمون المؤمنون على الحق ، يستبدلُ الله ضعفهم بقوةً ، ويكفيهم شرَّ المصاعب الشداد ، ويهديهم الى صراطٍ مستقيمٍ يرضاهُ لهم ، وبعد ذلك أنهى خطبته مستشهدًا ببيت شعرٍ للعباس بن مرداس السلمي أحد أبناء الخنساء الشاعرة المشهورة :

والصلحُ تأخذُ منهُ ما رضيتَ بهِ

والحربُ يكفيكَ من أنفاسِها الجرعُ

يقول العباس بن مرداس عندما تتصالح مع الطرف الآخر ، فأنت تأخذ ما ترضى به سلمًا من غير قتالٍ وحربٍ وإراقةِ دماءٍ ، والحربُ يكفيك منها أنَّكَ تتجرع (تشرب) مرارتها ، وتشرب ما تدره عليك من قتلٍ وعوقٍ وأسرٍ، وكل هذه هي من الشر .

الهوامش :

١- الإمامة والسياسة : ٧٩
٢- العقبيين : هم أهل بيعة العقبة وهي موضع بمكة يقع بين منى ومكة ويبعد مسافة ميلين ، فيها مسجد بايع المسلمون النبي (صلى الله عليه وسلم) ، معجم البلدان : مادة العقبة .
٣- الإمامة والسياسة : ٨٠
٤- المصدر السابق : ٨١
٥- المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها
٦- وقعة صفّين : ١١٣ – ١١٤
٧- الأسنة : جمع سنان ، وهي الحديدة المدببة القاتلة ، ويكون مكانها في رأس الرمح

٨- عصمة : الحفظ والوقاية
٩- الجوانح : الشدائد
١٠- الملة : الدين والشريعة
١١- البيت للشاعر العباس بن مرداس في ديوانه : ٨٦ ، والجرع : شربٌ فيه عجلة
١٢- سورة فاطر : الآية : ١٠
١٣- صحيح البخاري : ١ / ١١٥

الخطبة السابعة
في الاستنفار لموقعة صفّين

لم يَرعَوي معاوية بن أبي سفيان ، ولم يجنحْ الى صوتِ العقل والحق، بل ركبَ موجةَ الكفرِ والضلالِةِ والغوايةِ والجهلِ والطيشِ ، وغررَ بالمسلمين من أهل الشام ، وأراهم الباطلَ حقًّا ، والمنكرَ معروفًا ، وأنَّ الإمام علي بن أبي طالب قد غيرَ ما جاء به رسول الله من عندِ الله سبحانه ، واستبدل السنة، وحكم بهواه ، لذلك اصطف خلفه هؤلاء المُغررِ بهم ، معتقدين أنَّهم يحسنون صنعًا ، وبدأتْ الأمور تتأزم ، وطبول الحرب تقرع بلا هوادة بين رجلٍ يريد الحفاظ على الإسلام والمسلمين ، واحقاق الحقّ ، والحكم بالعدل والمساواة بين الناس ، ولا فرقَ عنده بين مسلمٍ وأخر إلا بالتقوى ، وبين رجلٍ يحبُّ الزعامة والتسلط والدنيا ، وهذا ما تحقق لمعاوية بعد صُلح الإمام الحَسن ومخاطبته لأهل الكوفة في قوله (١) : (أ ترَوْنِي قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج ، وقد علمتُ أنَّكم تصلون وتزكون وتحجون ؟ ولكنّي قاتلتُكُم لأتأمرَ عليكُم ، وألي رقابكُم ، وقد أتاني الله ذلك ، وأنتم كارهُون ! ألا أنَّ كلَّ دمٍ أُصيبَ في هذه الفتنة مطلولٌ ، وكلّ شرطٍ شرطتَهُ ، فتحتَ قدميَّ هاتين) ، وبدأ معاوية بالتعبئة المعنوية والعسكرية استعدادًا لحربِ أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، وبدأ اعلامه المضلل بالتطبيلِ والتزميرِ لها، وعندما رأى الإمام علي أنَّ معاوية قد ركب رأسه ، وأصابه الجهل والطيش والغرور ، قرر قتاله والاستعداد لحربه ، ودعا الى استنفار المسلمين لحربه ، ووأد فتنته التي شقت صفوف المسلمين ، ومن أبرز دعاة الإمام علي ، ابنه الإمام الحَسن (عليه السلام) ، الذي ارتقى المنبر وخطب في المسلمين خطبة عصماء قال فيها (٢) :

(الحمدُ للهِ العزيز الجبار ، الواحد القهار الكبير المتعا (٣) ، {سَوآءٌ منكُم مَّنْ أسرَّ القولَ ، ومَنْ جهرَ بهِ ، وهُوَ مُسْتَخِفٌ باللّيلِ ، وسَارِبٌ بالنَّهارِ}، أحمدَهُ على حسنِ البلاء ، وتظاهر النعماء (٤) ، وعلى ما أحببنا وكرهنا من شدةٍ ورخاءٍ ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا الله وحدهُ لا شريك له ، وأنَّ مُحمّدًا عبدهُ ورسوله ، امتنَ علينا بنبوته ، واختصه برسالته ، وأنزلَ عليه وحيَّهُ ، واصطفاهُ على جميع خلقه ، وأرسلَهُ الى الأنسِ والجنِ ، حينَ عُبِدَتْ الأوثانُ،

وأُطِيعَ الشيطانُ ، وجُحِدَ الرحمنُ ، فصلى اللهُ عليه واله ، وجزاهُ اللهُ أفضلَ ما جزى المسلمين .

أما بعدُ : فإنّي لا أقولُ لكم إلا ما تعرفون ، أنَّ اميرَ المؤمنين علي ابن أبي طالب ، أرشدَ اللهُ أمره ، وأعزَّ نصرَهُ ، بعثني اليكم يدعوكم الى الصواب ، والى العمل بالكتاب ، والجهادُ في سبيل الله ، وإنْ كان في عاجلِ ذلك ما تكرهون ، فإنْ أجله ما تحبون إنْ شاء الله .

وقد علمتم أنَّ عليًا صلى مع رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وحده ، وأنَّهُ لما صدَّقَ لفي العاشرةِ من سنهِ ، ثم شهد مع رسول الله صلى الله عليه واله جميع مشاهده ، وكان من اجتهاده في مرضاة الله ، واطاعة رسوله ، وأثاره حسنةٌ في الإسلام ما قد بلغكم ، ولم يزلْ رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) راضياً عنه ، حتى غمّضهُ بيدهِ ، وغسلهُ وحدهُ ، والملائكة أعوانهُ ، والفضلُ ابن عمه ، ينقل إليه الماء ، ثم أدخله حفرته ، وأوصاهُ بقضاءِ دينه ، وغير ذلك من أمورٍ ، كلَّ ذلك مِنْ منن الله عليه .

ثم والله ما دعا الى نفسه ، ولقد تداكَ الناس عليه تداك الإبل الهيم (٥)، بلا حدثٍ أحدثه ، ولا خلافٍ أتاهُ حسدًا له ، وبغياً عليه ، فعليكم عباد الله بتقوى الله وطاعته والجدُّ والصبرُ ، والاستعانة بالله ، والخفوف (٦) الى ما دعاكم اليه أمير المؤمنين ، عصمنا الله واياكم بما عصم به أولياءهُ ، وأهل طاعته ، وألهمنا تقواهُ ، وأعاننا واياكم على جهاد أعدائه ، واستغفر الله العظيم لي ولكم) .

تحليل الخطبة :

هذه الخطبة تتكون من ثلاثة أجزاءٍ ، الجزءُ الأول منها كان مُفْتتحًا لها للتهيئة في الدخول الى غرضها ، والجزءُ الثاني منها كان مختصًا لعرض الهدف الذي جاء من أجله ، والجزء الثالث كان خاتمةً للخطبة ، وقد اختص بطلب نصرة المسلمين ، وحثهم على المشاركة في حرب القاسطين .

الجزء الأول من الخطبة ومقدمتها :

ابتدأ الإمام الحَسن (عليه السلام) خطبته بحمد الله على نعمهِ التي لا تعدُ ولا تُحصى ، ذاكرًا مجموعة من أسماء الله الحسنى ، وهذه الأسماء أو الصفات ، كلّ واحد منها يرمزُ الى شيء ، فالعزيز يرمزُ الى العزة التي يريدُها الله للمسلمين المؤمنين المخلصين ، ومن بعد العزيز جاء اسم الجبار الذي يرمز الى قوة الله المطلقة الجبارة التي لا يقفُ ولا يصمدُ أمامها شيء، وأراد الله سبحانه وتعالى للإسلام بعد العزة القوة المنيعة ، وأما الواحد ، فيرمزُ الى وحدانية الله وإنَّ الله واحدٌ أحدٌ فردٌ صمدٌ ، لا شريك له ، والقهار وهو الذي يقهر كلَّ شيءٍ ، وفيه يقهر عباده بالموت ، أما الكبير فلا شيء أكبر من الله ، ولا أرفع ؛ والمتعال ترمزُ الى سموِ الذات الإلهية وعلوِها فوق كلِّ شيءٍ ، ثم تلا قوله تعالى : { سَوآءٌ منكُم مَّنْ أسرَّ القولَ ، ومَنْ جهرَ بهِ ، وهُوَ مُسْتَخِفٌ باللّيلِ ، وسَارِبٌ بالنَّهارِ } ، والمقصود بهذه الآية الكريمة، أنَّ الله سبحانه وتعالى يعلمُ ما يسرُ للإنسان وما يعلن ، بل هو يعلم بنوايا الأنسان من قبل أنْ ينطقُ بها ، ويعلم ما نقوم به في الليل والنهار ، فلا تخفى على الله خافيةً مهما كبُرت أو صغُرت ، نحمدُ الله على ما أعطى وأجزل من النعم الظاهرة والباطنة ، فلا يستطيعُ مخلوقٍ مهما كانت قدراته العقلية أنْ يحصيَ نعم الله تبارك وتعالى ويعرف عددها ، فقد قال الله سبحانه وتعالى(٧) : { وإنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لا تُحْصُوها } ؛ ثم تشهد بالشهادتين ، وقال : إنَّ لله أكرمنا ، حينما اصطفى منا مُحمّدًا وجعلهُ نبيًا ورسولًا وخاتمًا لأنبيائه ، وكان رسولًا لمخلوقاته كافة من الإنس والجن ، وذلك بعد أنْ انحرفت الديانات الأخرى وأصبحت عبادة الأوثان مألوفة عند العرب ، حتى دخلت الى جوف الكعبة ، وأطاع الناس الشيطان ، وهو عدوٌ لهم يدعوهم الى الكفرِ ، ويقودهم الى الضلال ، مبتعدين عن الله خالقهم ، والذي يدعوهم الى الهداية والرشاد ، وختم هذا المقطع بالصلاة والسلام على رسوله الكريم محمّد وآله الطيبين الطاهرين الكرام .

الجزء الثاني من الخطبة وغرضها :

وبعد أن فرغ الإمام الحَسن عليه السلام من مقدمة الخطبة انتقل الى غرضها ، فحثَّ المسلمين الحاضرين على سماع خطبته لأنَّهُ لا يحدثهم إلا

بما يعرفون ، وانَّهُ مبعوث أمير المؤمنين إليهم لإبلاغهم ما أرسله به إليهم، فأخبرهم أنَّ الإمام علي يدعوهم لحرب القاسطين ، ويحثهم على التحاق بجيشه ، والجهاد معه في سبيل الله ، وقتال المنشقين عن وحدة الإسلام ، والقضاء على تمردهم لإحقاق الحقَّ ، وقمع فتنتهم التي شقت صفوف المسلمين وبعثرت وحدتهم ، وأنْ يخفوا إليه مسرعين للالتحاق به ، وإنْ كانت الحربُ كرهٌ لكم ، ولكنَّ خاتمتها ستكون رحمةً لكم ، لأنّ الله سيجزي المجاهدين الصابرين خيرًا على جهادِهم وصبرهم في سبيله .

ثم عرفهم بإمامهم وخليفتهم الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال لهم : أنَّهُ أولَ من صلى مع النبي ، وأنَّهُ هو أولَ من صدَّقَ به ، وكان عمره لا يتجاوز العاشرة ، وقد شارك مع رسول الله في مغازيه وحروبه كافة ، ولم يتخلف عنه قط ، فقد كان يجاهد بين يديه لينال رضا الله ، وطاعةً لرسوله الكريم ، وكلّ افعاله ، وما قام به من جهادٍ وقتالٍ كانَ حميدًا مرضيًا عند الله ورسوله والمؤمنين ، وقد فاضتْ نفسُ رسوله الله الطاهرة في حضنه وبين يديه ، وهو من أغمض عيني الرسول عند وفاته ، وهو من تكفلَ بتغسيلِهِ وتكفينهِ ، وحفرَ قبره بيده الشريفة ، وأنزله في لحده وحده ، ولم يشاركه أحد في ذلك إلا الملائكة ، وكان الفضلُ بن العباس هو من يُحضر الماء ، ويصبه لتغسيل الرسول عليه الصلاة والسلام ، فضلًا عن ذلك ، فهو وصيُ رسول الله ، فقد أوصاهُ بوصايا كثيرة ، منها تسديد ديونه ، وكلّ هذه الأمور هي من منن الله عليه وفضله ، فقد نالَ بها شرفًا كبيرًا وعظيمًا لم ينله أحد من المسلمين .

الجزء الثالث وهو خاتمة الخطبة وخلاصتها :

وأشارَ فيه الإمام الحَسن (عليه السلام) الى أنَّ اباهُ لم يكنْ راغبًا بالخلافة ، وكان عازبًا عنها ؛ ولكنَّ مقتل عثمان بن عفان ، هو من فتحَ بصيرةَ المسلمين ، وعرفوا صاحب الحق الشرعي ، فأتوه مسرعين متدافعين لبيعته ، وقد شبه الإمام الحَسن تدافع المسلمين على بيعة الإمام علي بالإبل العطشى التي لم تشرب الماء منذُ أسبوع ، وكيف تتدافع على ورود الماء ، فقد اتته الخلافة طائعة من غير أنْ يطلبها ، عباد الله اتقوا الله وأطيعوه ، واستعينوا بالجدِّ والصبرِ ، واستعينوا بالله وأسرعوا الى أميركم

والمشاركة معه في جهاده لأعداء الإسلام ، وختم خطبته بالدعاء لأنْ يحفظ الله جميع المسلمين ، ويوفقهم لما فيه الخير والنصر من خلال التزامهم بتقوى الله والجهاد في سبيله.

الهوامش :

١- صلح الحسن : ٢٥٣
٢- شرح نهج البلاغة : ١٤ / ١١ ، بحار الأنوار : ٣٢ / ٨٨ ، جمهرة خطب العرب : ١ / ٢
٣- سورة الرعد ، الآية : ١٠
٤- تظاهر النعماء : ظهور النعمة على وجوه الناس
٥- تداك الإبل الهيم : تدافع الابل العطشى الى الماء
٦- الخفوف : الإسراع بخفة ونشاط
٧- سورة إبراهيم ؛ الآية : ٣٤

الخطبة الثامنة

بعد قضية التحكيم في صفّين

بعد ما خدعتْ الفئةُ الباغية المسلمين ، ورفعتْ المصاحفَ على الرماحِ، بشعار ((لا حكم إلا الله)) ، وهي كلمةُ حقٍّ أُريدَ بها باطل ، أجبرتْ فئةٌ من جيش الإمام علي بن أبي طالب على قبولِ التحكيم ، فاستجابَ لهم على الرغم من علمه أنَّها خدعةٌ بعد أنْ بانت لوائحَ النصرِ لجيشِ الإمام علي ، واختاروا حكمًا بإرادتهم ، لم يرضَهُ الإمام علي ، ولكنه كان مجبرًا على قبوله ، فحدثَ ما حدث بما يعرف بمسرحية التحكيم ومهزلتها ، وحدوث شرخٌ وانقسامٌ في صفوف معسكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وبعد التحكيم الذي هم أرادوه ، طلبوا من الإمام علي الاستمرار في حربِ معاوية ورفض إيقاف القتال ، فعجبًا لموقفهم الغريب المتناقض ، ومن أجل هذا وذاك ، شاع في جيش الإمام علي القال والقيل ، فارتقى المنبر الإمام الحَسن (عليه السلام) وخطب فيهم قائلًا (١) :

(أيُّها الناسُ قد أكثرتُم في أمرِ أبي موسى (٢) ، وعمرو (٣) ، وإنَّما بُعثا ليحكما بالقرآن دون الهوى ، فحكما بالهوى دونَ القرآن ، فمنْ كان هكذا لم يكن حكمًا ، ولكنَّهُ محكومٌ عليه ، وكانَ من خطأ أبي موسى ، أنْ جعل نفسه تبعًا لما يراه عبدالله بن عمر ، وعبدالله بن عمر أخطأ في ثلاثِ خصالٍ هي: خالفَ أباهُ عمر ، إذ لم يرضَها لهُ ، ولم يرَهُ أهلاً لها ، وكان أبوهُ أعلمُ بهِ من غيرهِ ، ولم يدخله في الشورى ، لأنَّهُ لا شيءَ لهُ فيها ، وكانت هذه شرطًا مشروطًا من عمر على أهل الشورى ، فهذهِ واحدةٌ ، وثانيةٌ لم يجتمعْ عليهِ المهاجرون والأنصار الذين يعقدون الإمامة ، ويحكمون على الناس ، وثالثةٌ لم يستأمرْ الرجل في نفسه ، ولا عَلِمَ ما عندَهُ من ردٍّ أو قبولٍ) .

تحليل الخطبة :

بعد أنْ اتفق الطرفان على قبول التحكيم ، اختار الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ابن عمه عبدالله بن عباس ليكون حكمًا من طرفه ، فرفضهُ الأشعث بن قيس ، ومن كان على رأيه وبعض القراء الذين تحولوا الى خوارج فيما بعد وقالوا للإمام علي (٤) : (إنا رضينا واخترنا أبا موسى

الأشعري ، فقال لهم علي : إني لا أرضى بأبي موسى ، ولا أرى أنْ أوليه، فقال الأشعث وزيد بن حُصين ومُسعر بن فدكيّ في عصابة من القراء : إنا لا نرضى إلا به ، قد حذرنا ما وقعنا فيه ، فقال علي : ليس لي برضىً ، وقد فارقني ، وخذل الناس عني) ، فكان الإمام علي مجبرًا على قبول أبي موسى على الرغم من علمه أنَّهُ سيخذله ، ويعطي الخلافة لمعاوية ، فقد قال الأحنف بن قيس زعيم قبيلة تميم وسيدها للإمام علي عليه السلام (٥) : (أخرجَ والله أبو موسى زُبدةَ سقائِهِ في أول مُخضة (٦) ، لا أرانا إلا بعثنا رجلاً لا ينكرُ خلعك) ، وكان أبو موسى الأشعري غير راغب في خلافة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وكان يخذلُ الناس عن نصرته ، ويدعوهم الى أنْ لا يستجيبوا لدعوته ، ويحثهم على غمدِ سيوفهم ، وعدم اشهارها بوجه عدوه ، فقال له الإمام الحَسن عليه السلام (٧) : (لِمَ تثبط الناس عنا ، فوالله ما أردنا إلا الإصلاح ، ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شيءٍ) ، ولما تمادى أبو موسى الأشعري بغيهِ ، وواصل تثبيط الناس وتخذيلهم عن نصرة الإمام علي ، وحثهم على عدم الاستجابة لعلي والحَسن، طرده الإمام الحسن من إمارة الكوفة وقال له (٨) : (اعتزل عملنا، لا أُمَّ لكَ ، تنحَ عن منبرِنا) ، وكان أبو موسى الأشعري قد بايع الامام علي بالخلافة ، ولكنه نكث بيعته (٩) ومن أجل هذا الهدف المنحرف صعد ابو موسى الأشعري المنبر وخطب الناس وقال (١٠) : (إنَّ أصحابَ رسولِ اللهِ الذين صحبوهُ في المواطن ، أعلمُ باللهِ ورسوله ، ممنْ لم يصحبه ، وإنَّ لكم حقًّا عليَّ أؤدهِ إليكم ، إنَّ هذهِ الفتنة ؛ النائمُ فيها خيرٌ من اليقظان ، والقاعدُ خيرٌ من القائم ، والقائمُ فيها خيرٌ من الساعي ، والساعي خيرٌ من الراكب ، فاغمدوا سيوفكم حتى تنجلي الفتنة) ، فقام إليه الصحابيُ الجليل عمّار بن ياسر (رضي الله عنه) ، وتصدى له ، مفنداً ما قاله ، فقال (١١) : (إنَّ أبا موسى ينهاكُم عن الشخوصِ الى هاتينِ الجماعتينِ ، ولعمري ما صدقَ فيما قال ، وما رضيَ الله من عبادهِ بما ذكر ، فقال عزَّ وجلَّ (١٢) : { وإنْ طائفتانِ من المؤمنينَ اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإنْ بغتْ إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيءَ الى أمرِ الله فإن فاءَتْ فاصلحوا بينهما بالعدلِ واقسطوا }) ؛ وأضاف ذاكرًا قوله تعالى (١٣) : { وقاتلوهم حتى لا تكونَ فتنةً ويكونُ الدينُ كلهُ لله } ، علما أنَّ أبا موسى الأشعري كان معجبًا بعبدالله

بن عمر بن الخطاب ، ومنحرفاً عن الإمام علي بن أبي طالب ، ويأخذ بأقوال عبدالله بن عمر ، ويسمع آرائه ، والجدير بالذكر أنَّ عبدالله بن عمر هو ممن رفضوا بيعة الإمام علي ابن أبي طالب بالخلافة ، وهو لا يرى للإمام علي حقًا بالخلافة (١٤) ، فقد قال الزهري (١٥) : (والعجبُ أنَّ عبدالله بن عمر (١٦) ، وسعد بن أبي وقاص (١٧) ، لم يبايعا عليًا ؛ وبايعا يزيد بن معاوية) ؛ لذلك أشار الإمام الحَسن (عليه السلام) الى عبدالله بن عمر ، وتأثيره في القرار الذي اتخذه أبو موسى الأشعري بخلع الإمام علي بن أبي طالب من الخلافة ، وأعطى الفرصة لعمرو بن العاص كي ينصب معاوية بن أبي سفيان خليفة على المسلمين ، والثلاثة يعرفون أنَّ خلافة رسول الله محرمةٌ على الطلقاء ، ومحرمٌ عليهم إمامة المسلمين ، ومع ذلك ركبوا موجة الحرام اختاروا معاوية ، والأنكى من ذلك وأدهى ، هو بيعتهم ليزيد بن معاوية شارب الخمرة وصاحب الموبقات ، ورفضهم بيعة الإمام الحَسن، سيد شباب أهل الجنة ، علمًا أنَّ الإمام الحَسن (عليه السلام) قد ذكر أنَّ عبدالله ن عمر لم يكن مرضيًا حتى عند أبيه ، فقد كان عمر بن الخطاب يرى أنَّ عبدالله لا يصلحُ لشيءٍ ، وعندما اختار أصحاب الشورى ، لم يجعله منهم ، فضلًا عن أنَّ الأنصار والمهاجرين الذين يعقدون الإمامة ، كانوا لا يعتدون به ، فهو لا يستطيع قيادة نفسه ، فكيف يقود المسلمين ، لذلك لا عجب مما فعل أبو موسى ، فقد كان منقادًا لأفكار سيده ، مُهيأ الفرصة الذهبية للطلقاء بالتحكم بأعناق المسلمين وجعل معاوية أميراً عليهم .

الهوامش :

١- الإمامة والسياسة : ١١١ ، جمهرة خطب العرب : ١ / ٣٩٢

٢- أبو موسى : هو من الأشاعرة ، اسمه قيس بن عبدالله بن قيس المُكنى بأبي موسى ، وهو من المهاجرين الى الحبشة ، كان واليًا على الكوفة لعمر وعثمان ، توفي سنة ٤٢هـ ، تهذيب الكمال : ٤ / ٢٤٤

٣- عمرو : هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد ن أمه سبيةٌ ، وهي بغيٌ من العواهر تسمى النابغة ، وهو من دهاة العرب الأربعة ، توفي سنة ٤٢هـ ، تهذيب الكمال : ٥ / ٢٤٦

٤- وقعة صفّين : ٤٩٩

٥- وقعة صفّين : ٥٣٧

٦- هي المزادة هي المخض يوضع فيها الحليب الرائب لاستخراج الزُبدة واللبن منه .
٧- تاريخ الطبري : ٤ / ٤٨٣
٨- تاريخ الطبري : ٤ / ٤٨٦ ؛ الجمل : ١٣٦
٩- أخبار الجمل : ٧٦
١٠- الإمامة والسياسة : ٥٩
١١- المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها
١٢- سورة الحجرات ، الآية : ٩
١٣- سورة الأنفال ، الآية : ٣٩
١٤- صحيح البخاري : ١٦٦
١٥- صحيح البخاري : ١٦٩ ؛ تذكرة الخواص : ٥٨
١٦- عبدالله بن عمر : هو عبدالله بن عمر بن الخطاب ، رفض بيعة الإمام علي ، ومن بعدها رفض بيعة الإمام الحسن ، ولكنَّهُ بايع معاوية ، ومن ثم بايع ابنه يزيد ، وبعد ذلك طرق الباب على الحجاج ابن يوسف الثقفي ليلًا ؛ ليبايع عبدالملك بن مروان ، لكي لا يبيت تلك الليلة بلا إمام ، لأنَّهُ روى عن النبي قوله : من مات ولا إمام له مات ميتة جاهلية ، وقد احتقره الحجاج واسترذله ، فمدَّ له رجله من الفراش فقال له : اصفق بيدكَ عليها ، ينظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري : ١٣/ ١٤٥
١٧- سعد بن أبي وقاص : تزعم المصادر أنَّهُ من المسلمين الأوائل ؛ وأنَّهُ من العشرة المبشرة بالجنة ، وقائد الجيش في معركة القادسية ، وابنهُ البار هو عمر بن سعد قائد جيش الأمويين الذي قتل الإمام الحسين (عليه السلام) سيد شباب اهل الجنة ومثل بجسده الشريف .

الخطبة التاسعة

خطبها بطلب من الإمام علي بن أبي طالب

طلب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من ولده الإمام الحَسن عليهما السلام ارتقاء المنبر وأنْ يخطبَ الناس ، فارتقى المنبر وقال (١) :

(الحمدُ للهِ بغيرِ تشبيهِ الدائمِ بغيرِ تكوينٍ ، القائمُ بغيرِ كلفةٍ ، الخالقُ بغيرِ منصبةٍ (٢) ، الموصوفُ بغيرِ غايةٍ ، المعروفُ بغيرِ محدوديةٍ ، العزيزُ لمْ يزلْ في القدمِ ، رُوِعَتْ القلوبُ لهيبتِهِ ، وذُهِلَتْ العقولُ لعزتِهِ (٣) ، وخضعتْ الرقابُ لقدرتِهِ ، فليسَ يخطر على قلب بشر مبلغ جبروته ، ولا يبلغ الناس كنه جلاله ، ولا يفصح الواصفون منهم لكَنَهِ عظمتهِ ، ولا تبلغُهُ العلماءُ بألبابها ، ولا أهلُ التفكرِ بتدبرِ امورِها ، أعلمَ خلقهُ به الذي بالحدِّ لا يصفُهُ ، يُدركُ الابصارَ ، ولا تُدركُهُ الأبصارَ .

أما بعدُ : فإنَّ عليًا بابٌ من دخلهُ كانَ مؤمنًا ، وَمَنْ خرجَ منهُ كانَ كافراً، أقولُ قولي هذا واستغفرُ اللهَ العظيم لي ولكم) .

تحليل الخطبة :

الخطبة تكونت من مقطعين : مقدمة أو استهلال ، وغرض الخطبة وهدفها ، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، هو أكثر الناس معرفةً بالقدرةِ الخطابية لولده الإمام الحَسن عليه السلام ، ولكنَّهُ أراد أنْ يعرف المسلمون ذلك ، فالخطب التي ألقاها الإمام الحَسن (عليه السلام) ، لو وضعت في ميزان نهج البلاغة مع خطب الإمام علي ، ستكون بمستواها مؤلفة معها نهجَ بلاغةٍ ثانٍ ، والخطبُ الإمام الحَسن تنبع من ذاتِ المعين الذي تنبع منه خطب الإمام علي ، لذلك تعد خطب الإمام الحَسن امتدادًا لخطب أبيه ومكملةً لها ، في هذه المرحلة التي طلب فيها الإمام علي من الحَسن أنْ يخطبَ في الناس ، كان الإعلام الأموي الضال والمنحرف بزعامة معاوية بن أبي سفيان يؤدي دورًا كبيرًا في حث الصحابة من ذوي النفوس الضعيفة ، والضمائر الميتة ، والعقول المريضة أنْ يكذبوا على

رسول الله ، ويضعوا الأحاديث المُفتراة على لسان النبي بما يذمُ الإمام علي عليه السلام ، فقد بذل معاوية أموالًا طائلة من أجل شراء ذمم هؤلاء ، ومعهم عدد من التابعين الذين باعوا أنفسهم لمعاوية ، فعروة بن الزبير بن العوام ، وضع حديثًا على لسان رسول الله أنَّهُ قال لعائشة ، عندما أقبلَ العباس ابن عبدالمطلب ، وعلي بن أبي طالب (٤) : (إنْ سرَّكِ أنْ تنظري الى رجلينِ من أهل النار ، فانظري لهذين قد طلعا) ، وأما عمرو بن العاص فقد وضع الحديث الآتي المثبت في الصحيحين (٥) : (سمعت رسول الله يقول : إنَّ آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء ، إنَّما وليّيَ الله وصالح المؤمنين)، وفات عمرو بن العاص أنَّ صالح المؤمنين هو علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وبذلك كذب نفسه بنفسه وفضحها ، أما أبو هريرة (٦) ؛ فله القدح المُعلى في الوضع الأحاديث المفتراة ؛ فمن جملةِ ما وضعه وافتراهُ على رسول الله قولهُ حينما دخل مسجد الكوفة (٧) ، (واللهِ سمعتُ رسولَ الله يقول : لكلِّ نبيٍ حرمًا ، وإنَّ حرمي بالمدينة ما بين عيرٍ وثورٍ ، فمنْ أحدثَ فيها حدثًا فعليهِ لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، وأشهدُ باللهِ أنَّ عليًا أحدثَ فيها ، ولما بلغ معاوية ما قاله أبو هريرة أجازهُ وأكرمهُ وولاهُ إمارة المدينة) ، وبذلَّ معاوية مالاً عظيماً لسُمرة بن جُندب (٨) بلغ مائة الف درهم، حتى يقول أنَّ هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب (٩) : { ومن الناسِ من يُعجبُكَ قولهُ في الحياةِ الدنيا ، ويشهدُ الله على ما في قلبه ، وهو ألدُ الخصام ، وإذا تولى سعى في الأرض فسادًا ، ويهلكُ الحرثَ والنسلَ ، واللهُ لا يحبُّ الفساد } ، وأنَّ الآية الثانية نزلت في ابن ملجم وهي قوله تعالى(١٠) : { ومن الناسِ من يشري نفسَهُ ابتغاءَ مرضاتِ الله } ، فرفض سُمرة بن جندب طلب معاوية ، فبذل له مئتي الف درهم ، فرفض ، فبذل له ثلاثمئة الف درهم فرفض ، فبذل له أربعمئة الف درهم ، فقبل وروى ما طلبه معاوية (١١) ، ولو عدنا لأسباب النزول ، لوجدنا الآية الأولى قد نزلت في الأخنس بن شريق الذي كسر في يومِ أحدٍ رباعيةَ رسول الله (١٢) ، والآية الثانية نزلتْ في الإمام علي بن أبي طالب حينما باتَ على فراش النبي ليلة الهجرة (١٣) ، والنبي مُحمّدٌ عليه الصلاة والسلام كان يعرف أنَّ بعضَ أصحابِ النفوس المريضة والضمائر الميتة ممن لم يكن ايمانهم خالصًا لله سيضعون أحاديث على لسانه في حياته وبعد وفاته ، فصعد المنبر

وحمد الله واثنى عليه ثم قال (١٤) : (أيها الناس قد كثُر عليّ الكَذابة ، فمنْ كذبَ عليَّ متعمدًا ، فاليتبوء مقعدَهُ في النار) ، وهؤلاء الذي كذبوا على رسول الله بُشراهُم النارَ بما قدموا لأنفسهم ، ومن هذه المُعطيات طلب أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب من ولده الإمام الحَسن إلقاء خطبة للرد على هؤلاء ، فصعد المنبر وخطب الناس .

الخطبة تكونت من مقطعين الأول كان استهلالًا للثاني وهو مضمونها، استهل الإمام الحَسن خطبته بحمد الله والثناء عليه بما هو أهله ، ثم وصف الذات الإلهية وعظمتها ، في إشارة منه الى أنَّ الله سيكبُ كل من يكذبُ على رسول بما لم يقله في نار جهنمَ خالدًا فيها ، وسيؤول مصيره الأسود به الى الخزي والعار ، وقد أكد ذلك رسول الله نفسه حينما قال : (من كذب عليَّ متعمداً فاليتبؤ مقعده في النار) ، ثم انتقل الى غرض الخطبة فاوجز كلِّ ما كان يدور بين المسلمين من أقوال وأحاديث حول أبيه علي بن أبي طالب ، بجملتين ، ثم نزل من المنبر ، فقال في الجملة الأولى : (فإنَّ عليًا بابٌ من دخلهُ كانَ مؤمنًا ، وقال في الجملة الثانية ، وكانت مكملة للجملة الأولى : (ومن خرجَ منهُ كانَ كافرًا) ، هذه المعاني التي أصابها الإمام الحَسن ، ورصع بها خطبته ، كلَّها مستوحاةٌ من الأحاديث النبوية الشريفة ، فقد قال رسول الله لعلي (١٥) : (يا علي : لو أنَّ أُمتي صاموا حتى صاروا أوتادًا ، وصلوا حتى صاروا كالحنايا ، ثم أبغضوكَ لأكبَهُم الله على مناخرِهم في النار) ، وجوهر الحديث الشريف ، هو أنَّ من أحبَّ عليًا ، فهو مؤمنٌ ، والمؤمنُ من أهل الجنة ، ومن أبغضَ عليًا ، فهو كافرٌ ، والكافرُ من أهل النار ، وقوله عليه الصلاة والسلام (١٦) : (يا علي لا يحبُّكَ إلا مؤمنٌ ، ولا يبغضُكَ إلا منافقٌ الى يوم القيمة) ، فعليٌ عليه السلام ، هو بابُ حطة ، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (١٧) : (عليٌ بابُ حطةٍ من دخلَ منهُ كانَ مؤمنًا ، ومن خرجَ منهُ كانَ كافرًا) ، وأئمة أهل البيت كلهم بابُ حطة (١٨) وهم مقاييسُ ايمانِ أمةِ مُحمّدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم) وموازينُها ، كما كان بابُ حطة مقياسٌ بني إسرائيل وميزانُها ، من دخله فهو مؤمنٌ ، ومن خرج منه فهو كافرٌ ، وختم خطبته الشريفة التي مثلت خير الكلام ما قلَّ ودلَّ خير تمثيل ، بالاستغفار لنفسه وللمسلمين .

الهوامش :

١- كشف الغمة : ٢ / ١٦٤ ، بحار الأنوار : ١٨ / ٢٥٠ - ٢٥١
٢- المنصبة : التعب
٣- ذهلت : تناسى الشيء عن عمد
٤- شرح نهج البلاغة : ٤ / ٦٤
٥- صحيح البخاري : ٨ / ٧ ، صحيح مسلم : ١ / ١٣٦ ؛ مسند أحمد : ٤ / ٢٠٣
٦- أبو هريرة : قال ابن أبي الحديد المعتزلي عندما ذكر أبا هريرة : مدخولٌ عند شيوخنا ، غير مرضي الرواية ، ضربه عمر بالدرة (بالعصا) ، وقال له : قد أكثرت من الرواية وأحرى بك أنْ تكون كاذبًا على رسول الله ، ينظر شرح نهج البلاغة : ٤ / ٦٧
٧- شرح نهج البلاغة : ٤ / ٦٧
٨- سُمرة بن جندب : ينظر تاريخ الطبري : ٥/ ٢٣٦ - ٢٣٨ فقد ذكر جرائم سُمرة وعدد ما قتل من المسلمين .
٩- سورة البقرة ؛ الآية : ٢٠٤
١٠- سورة البقرة ؛ الآية : ٢٠٧
١١- شرح نهج البلاغة : ٤ / ٧٣
١٢- مجمع البيان : ٢ / ٤٢ ؛ قال السدي نزلتْ في الأخنس بن شريق ، وكان يظهر الجميل بالنبي ، والمحبة له ، والرغبة في دينه ، ويضمر خلاف ذلك .
١٣- مجمع البيان : ٢ : ٤٤ ؛ قال ابن عباس نزلت في علي بن أبي طالب ، حين نام في فراش النبي ليلة الهجرة .
١٤- صحيح مسلم : ١٢
١٥- مجمع البيان : ٧/ ٣٢٥
١٦- البرهان : ٣ / ٢٠٨
١٧- ينابيع المودة : ٢ / ٢٢١
١٨- جواهر الكلام في معرفة الإمامة والإمام : ٢ / ١٦٧

الخطبة العاشرة

خطبة ثانية خطبها بطلبٍ من أبيه

هذه الخطبة خطبها بعد أنْ سمعَ أميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنَّ أناسًا تَقَوَّلُوا على ابنه الإمام الحَسن عليه السلام ، وقالوا : أنَّهُ عيُّ اللسانِ يُحصر ، ولا يستطيعُ أنْ يرتقي المنبر ، فقال أمير المؤمنين لأبنه الحَسن عليهما السلام (١) : (قالوا فيكَ مقالةً أكرهُها ، قال وما يقولون يا أمير المؤمنين ؟ قال : يقولون إنَّ الحَسن بن علي عـيُّ اللسانِ ، لا يقومُ بحجةٍ، وإنَّ هذه الأعواد ، فأخبرْ الناسَ ، فقال يا أمير المؤمنين : لا استطيعُ الكلامَ ، وأنا أنظرُ إليك ، فقال أمير المؤمنين : عليه السلام : إنّي مُختلفٌ عنك ؛ فنادِ أنَّ الصلاةَ جامعةٌ ، فاجتمعَ المسلمون ، فصعدَ الحَسن (عليه السلام) المنبر ، فخطب خطبةً بليغةً وجيزةً ، فضجَ المسلمون بالبكاء ، ثم قال : أيها الناس أعقلوا عن ربّكم ..... الى نهاية الخطبة ، فقامَ أميرُ المؤمنين من أقصى الناسِ يسحبُ رداءهُ من خلفهِ ، حتى صعدَ المنبر مع الحَسن ، فقبلَ ما بين عينهِ ، ثم قال : يا ابنَ رسول الله ، أثبتْ على القومِ حجتُكَ ، أوجبتَ عليهم طاعتك ، فويلٌ لمن خالفك) ، وهذا نصُ الخطبة ٢) :

(إيُّها الناسُ أعقلوا (٣) عن ربِكم (٤) : { إنَّ اللهَ اصطفى آدمَ ونوحًا وآلَ إبراهيمَ وآلَ عمرانَ على العالمينَ ذريةٌ بعضُها من بعضٍ والله سميع عليم } ؛ فنحنُ الذريةُ من آدمَ ، والأسرةُ من نوحٍ ، والصفوةُ من إبراهيمَ ، والسلالةُ من إسماعيلَ ، والآلُ من مُحمّدٍ ، صلى اللهُ عليهِ وآلهِ ، نحنُ فيكم كالسماءِ المرفوعةِ ، والأرضِ المدحوة ، والشمسُ الضاحية ، وكالشجرةِ الزيتونة ، لا شرقيةٍ ولا غربيةٍ ، التي بُورِكَ زيتُها ، النبيُ أصلها ، وعليٌ فرعها ، ونحنُ- واللهِ - ثمرةُ تلكَ الشجرةِ ، فمن تعلقَ بغصنٍ من أغصانِها نجا ، ومن تخلفَ فإلى النارِ هوى) .

تحليل الخطبة :

الإعلام الأموي المعادي لأهل البيت عليهم السلام ، أشاعوا بين المسلمين ، أنَّهُ على الرغمِ من أنَّ عليَ بن أبي طالب سيد المتكلمين والبلغاء،

إلا أنَّ ابنهُ الحَسن عـيُّ اللسان يحصر ، لا يستطيع ارتقاء المنبر ، ليقول كلمةً ، ولما وصلَ ما أشاعه الإعلام الأموي المعادي لهم الى أمير المؤمنين ساءَهُ ذلك ، وسخط عليهم ، فاستدعى ابنهُ الحَسن (عليه السلام) ، وأخبره بما سمع ، وهيَ مقالة يكرهُها الإمام علي في ولده ، فاستفسر الحَسن من أبيه عمّا يقولون ، فأجابه أنَّهم يقولون : أنَّ الحسنَ عـيُّ اللسان يحصر ، وهذا المنبر أمامك ، اثبت لهم خلاف ما يدعون ، فقال الحَسن (عليه السلام) : إنّي لا استطيعُ ارتقاء المنبر ، وأنت جالسٌ بين الناس ، فكان جوابُ الإمام علي، سأجلسُ في زاوية من المسجد لا تراني فيها ، لاحظ الأخلاق الرفيعة لأهل البيت ، فهذا الإمام الحَسن سيد شباب أهل الجنة ، لا يستطيع الكلام في المسجد ، وأبوه حاضرٌ بين الناس ، هيبةً وتوقيرًا له واحتراماً ، وبعد أنْ طلب منه أبوه أنّ يرتقيَ المنبر صعد ، استجاب لطلب أبيه ، وألقى هذه الخطبة ، فنهض الإمام علي من مجلسه في أقصى المسجد يسحبُ رداءه خلفه حتى وصل المنبر ، والحَسن ما زال فوق المنبر ، لم ينزل بعد ، فصعد إليه ، وهو على المنبر ، وقبل وما بين عينه ، مخاطباً إياهُ يا ابن رسول الله، وقال له : لقد أثبتَ حجتَك على القوم ، فوجبتْ طاعتهم لك ؛ وويلٌ لمن خالفكَ وعصاكَ ، والآنْ نعود الى مضمون الخطبة ، فقد اقتبس الإمام الحَسن (عليه السلام) مطلع خطبته من جده رسول الله مُحمّد صلى الله عليه وآله وسلم في قوله (٥) : (أيها الناس : أعقلوا عن ربّكم وتواصلوا بالعقل ، تعرفون ما أمرتم به ، وما نُهيتُم عنه) ، ولما سمع أمير المؤمنين قول ابنه الحسن : (أيها الناس : أعقلوا عن ربّكم) ، وكان قد سمعه من قبل من رسول الله ، قال له : يا ابن رسول الله ، وأما الآية الكريمة التي تناولت موضوع الاصطفاء، تدل بما لا يقبل الشك واللبس أنَّ النبي وأهلَ بيته هم اختيارٌ من الله ، فقد اصطفاهم من بين خلقه كافة ، وقال رسول الله مُحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) (٦) : (قسم اللهُ تبارك وتعالى الأرض نصفين ، فجعلني في خيرهما، ثم قسم الآخر الى ثلاثة ، فكنت خير الثلاثة ، ثم اختار العربَ من الناس ، ثم اختار قريشًا من العرب ، ثم اختار بني هاشم من قريش ، ثم اختار بني عبدالمطلب من بني هاشم ، ثم اختارني من بني عبد المطلب ،(٧)؛ خيار الى خيار) ، وكان أبو طالب عليه السلام قد أشار الى هذا من قبل حينما خطب السيدة خديجة لخير الأنام مُحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ؛

فقال (٨) : (الحمدُ لله الذي جعلنا من زرعِ إبراهيمَ ، وذريةِ إسماعيل) ، والشيءُ بالشيءِ يُذكر ، أنَّ أبا طالب (عليه السلام) هو أولُ من قال في خطبته ((الحمدُ لله)) من قبل ظهور الإسلام بخمسةِ عشر سنة ، وأما قول الإمام الحَسن عليه السلام (نحنُ فيكم كالسماءِ المرفوعةِ والأرضِ المدحوة والشمسُ الضاحية) أراد أنَّ النبيَ مُحمّدًا وأل بيتهِ ، هم الغطاء الذي يحمي الناس في الدار الدنيا وأمانها ، والأرض المدحوة التي جعلها الله سكنًا لبني آدم وفجر عيون الماء فيها ، ونحن مشعلُ الهداية للناس والضياء لنهديَهم الى الصراط المستقيم ، وننقلهم من الظلمات الى النور بإذن الله ، ثم بعد ذلك بَيَنَ للناسِ موقع النبي وآل بيته من الناس ، فقال : نحن الزيتونة المباركة التي أضاءَتْ للناس ، كأنَّها كوكبٌ دريٌّ ، وذلك إشارة الى قوله تعالى (٩) : { اللهُ نورُ السمواتِ والأرض ، مثلُ نورِهِ كمشكاةٍ فيها مصباحٌ ، المصباحُ في زجاجةٍ ، الزجاجةُ كأنَّها كوكبٌ دريٌ ، يوقدُ من شجرةٍ مباركةٍ زيتونةٍ ، لا شرقيةٍ ولا غربيةٍ ، يكادُ زيتُها يضيءُ ولو لم تمسسهُ نارٌ ، نورٌ على نورٍ ، يهدي اللهُ لنوره من يشاءُ ، ويضربُ الأمثالَ للناس ، واللهُ بكلِّ شيءٍ عليمٍ }؛ فقد روى عن الإمام أبي جعفرٍ مُحمّد الباقر (عليه السلام) قوله : (كمشاةٍ فيها مصباحٌ قال : نورُ العلمِ في صدر النبي (عليه الصلاة والسلام) ، المصباحُ في زجاجةٍ ، صدر علي (عليه السلام) ، صارَ علمُ النبي إلى صدرِ عليٍ ، علمَ النبيُ علياً ، يوقدُ من شجرةٍ مباركةٍ ، نورُ العلمِ ، لا شرقيةٍ ولا غربيةٍ ، لا يهوديةٍ ولا نصرانيةٍ ، يكادُ زيتُها يضئُ ولو لم تمسسه نارٌ ، قال: يكاد العلمُ من آلِ مُحمّدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم) يتكلم بالعلم قبل أنْ يُسأل، نورٌ على نورٍ ، أي إمامٍ مؤيدٍ بنورِ العلمِ والحكمةِ في أثرِ إمامٍ من آلِ مُحمّدٍ، وذلك من لدن آدم (عليه السلام) إلى أنْ تقوم الساعة ، فهؤلاء الأوصياء الذين جعلهُم اللهُ خلفاءَ في أرضِهِ وحججِهِ على خلقِهِ ، فلا تخلو الأرضَ في كلِّ عصرٍ من واحدٍ منهُم ، قد دلَ على ذلك قولُ أبي طالب في رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (١٠) :

مــن لـدن آدمَ لـم يـزلْ   فينا وصيٌ مُرشِــــــدُ

ولقـدْ عهدتُـك صادِقــاً   في القــولِ لا تَتَزيَّـــدُ

ما زلتَ تنطقُ بالصَــوا   بِ وأنــتَ طِفْـلٌ أمـْرَدُ

لتحقيق هذه الجملة يقتضي أنَّ الشجرةَ المباركةَ المذكورةَ في الآية الكريمة ؛ هي دوحةُ التُقى والرضوان ، وعترةُ الهدى والإيمان ، شجرةٌ أصلُها النبوةُ ، وفرعُها الإمامة ، وأغصانُها التنزيل ، وأوراقُها التأويل ، وخدمُها جبرائيل وميكائيل .

ويختم الإمام الحَسن عليه السلام خطبته المباركة بالقسم بأنَّهم هُم ثمرةُ هذه الشجرة المباركة ، فمن تمسك بهم نجا ، ومن تخلف عنهم وعصى ، هلك وهوى الى نارِ جهنمَ خالدًا فيها أبدًا .

الهوامش :

١- بحار الأنوار : ٤٣ / ٣٥٨
٢- المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها
٣- أعقلوا : افهموا
٤- سورة آل عمران ، الآية : ٣٣
٥- تخريج أحاديث إحياء علوم الدين : ٢٣٠
٦- الخصال : ٣٦
٧- مجمع الزوائد : ٨/ ٣٩٦ ، امتاع الأسماع : ٣ : ٢٠٤
٨- السيرة النبوية الحلبية : ١ / ١٣٣ ، صبح الأعشى : ١ / ٢١٣
٩- سورة النور : ٣٥
١٠- القطعة في مجمع البيان ، رواها الطبرسي : ٧/ ٢٠١ ؛ والبيتان الثاني والثالث في ديوان أبي طالب : ١١٧ باختلاف رواية ، وأما البيت الأول فقد أخلت به رواية الديوان .

الخطبة الحادية عشرة
خطبة نعي الإمام علي عليه السلام

أخبرَ رسولُ اللهِ مُحمَّدٌ (صلى الله عليه وآله وسلم) ، الإمامَ علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، إنَّهُ سيقاتلُ من بعدِهِ الناكثينَ ، والقاسطينَ والمارقينَ ، فقد روى الصحابيُ الجليل أبو أيوب الأنصاري * (رضي الله عنه) ، أنَّ رسولَ اللهِ مُحمّدٌ ، قال لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) (١) : (نقاتل الناكثين ، والقاسطين ، والمارقين بالطرقاتِ والنهروواناتِ والشعفاتِ، فقلتُ يا رسول الله مع منْ تقاتل هؤلاءِ الأقوامِ ؟ قال : مع علي بن أبي طالب)، فمن هم الناكثون والقاسطون والمارقون ؟ الناكثون هم من نكثوا بيعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بعد مبايعته بالخلافة ، وهم طلحة ابن عُبيدالله ، والزُّبير بن العوام ، ومن انضم اليهما ، وقاتلوا الإمام علي عليه السلام في وقعة الجمل ، فقضى الإمام علي بن أبي طالب على تمردهم وفتنتهم ، وأما القاسطون فهم الذين عدلوا عن الحقّ منحرفين ، ومتحولين بعد الانحرافِ الى الباطل ، ومعظم القاسطين هم من الطلقاءِ وأبنائهم ، ممن وقعوا أسرى بيد ارسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوم فتح مكة المكرمة ، وأغلب هؤلاء الطلقاء كانوا من بني أمية ، يرأسهم أبو سفيان وابنه معاوية؛ فأطلقَ رسولُ اللهِ سراحَهُم بلا فداءٍ ، وقال لهم (٢) : (اذهبوا فانتُم الطلقاء)، والطلقاءُ قويتْ شوكتهم في خلافة عثمان بن عفان لأسبابٍ لستُ بصدد الوقوفِ عندها ، ولكن بعد مقتل عثمان ، خرج الطلقاءُ على الخليفة الشرعي المنتخب ، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، بزعامة معاوية بن أبي سفيان ، هو طليقٌ بن طليقٍ ، مُعلنًا تمرده وعصيانه في بلاد الشام ، وتهيأ لحرب الإمام علي ، مطالبًا زورًا وبُهتانًا بدم عثمان ، ولكنَّهُ في حقيقة الأمر، كان يبغي الخلافة لنفسه ، وهي لا تحل له ، فقد قال عمر بن الخطاب عندما حدد أعضاء الشورى لاختيار الخليفة من بعده (٣) : (ليس فيها لطليقٍ ولا لولدِ طليقٍ شيءٍ) ، وأراد بذلك الخلافة ؛ وقال أيضاً (٤) : (أمر الخلافة لا يصلحُ للطلقاءِ ولا لأبناءِ الطلقاء) ، وأكدَ هذه الحقيقة الإمامُ علي عليه السلام في قولهِ لمعاوية (٥) : (إنَّكَ من الطلقاءِ ، لا تحلُ لهم الخلافة ولا تعرضُ

فيهم) ، وبسبب ذلك حدثت معارك دموية بين الطرفين في صفّين سُميت بحرب القاسطين ، وأما المارقين فهم الفئة التي انشقت من جيش الإمام علي، ومعظم هؤلاء المنشقين هم من القُرّاء ، وهم الذين أجبروا الإمام علي عليه السلام على قبول التحكيم ، ومن ثم رفضوا التحكيم مطالبين باستمرار القتال، ورفع الخوارج شعار ((لا حكم الا الله)) زورًا وبُهتانًا ، ولما لم يتفق معهم الامام علي ، اتفقوا على قتل الثلاثة ((علي بن أبي طالب ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص)) ، نجح المارقون في اغتيال الامام علي (عليه السلام) وقتله ، ولكنهم فشلوا في قتل معاوية وعمرو ، وكان موعد تنفيذ جريمتهم النكراء هو يوم التاسع عشر من شهر رمضان عند صلاة الفجر ، فجرح الامام علي بسيف الخارجي عبدالرحمن بن ملجم لعنه الله ، ولم يبقَ الامام علي جريحاً سوى يومين ونصف ، ثم فاضتْ روحه الطاهرة الى بارئها .

كانت شهادة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، بسيف أشقى الأشقياء من الأولين والآخرين في الحادي والعشرين من شهر رمضان من سنة (٤٠هـ) أربعين للهجرة ، إذ تعرض للاغتيال ، وهو قائمٌ في مسجد الكوفة يُصلي نافلة الفجر في صبيحة اليوم التاسع عشر من شهر رمضان ، وفاضت روحه الطاهرة في اليوم الحادي والعشرين بعد يومين ونصف من جرحه ، ونقل جثمانه الطاهر الى الغري ، ودفن هناك حيثُ قبره الشريف اليوم ، وبعد أنْ أتمَ الإمامان الحَسن والحُسين (عليهما السلام) مراسم دفن الجثمان الطاهر لأبيهما أمير المؤمنين الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، وعودتهما الى الكوفة ، وفي اليوم الثاني لشهادة الامام علي عليه السلام (٦) خرج أبو مُحمَّدٍ الحَسن المُجتبى (عليه السلام) الى مسجد الكوفة، واعتلى المنبر ، وخطب المسلمين خطبة عصماء ، الى الآنْ نسمعُ صداها وترددها في الكون من فخامتها وبلاغتها وقيمتها الفنية ، فقد قال فيها بعد أنْ حمدَ الله سبحانه وتعالى ، وأثنى عليه ، وصلى على سيد الكونين جدهُ رسولُ الله مُحمَّدٍ ، وتشهد الشهادتين (٧) :

(أيّها الناسُ : لقد قُبضَ في هذهِ الليلةِ ، رجلٌ لم يسبقهُ الأولُونَ بعملٍ، ولا يدركهُ الآخُرون بعملٍ ، (٨) [والله كانَ أفضل الأوصياء الذين كانوا قبله

وبعده] ، لقد كان يجاهدُ مع رسولِ الله (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) ، فيقيهِ بنفسهِ ، وكان رسولُ الله يوجهُهُ برايتهِ ، فيكتنفهُ جبرئيل عن يمينهِ ، وميكائيل عن يسارهِ ، ولا يرجعُ حتى يفتح اللهُ على يديهِ ، ولقد تُوَفِيَ في الليلةِ التي عُرِجَ فيها بعيسى بن مريم ، والتي قُبضَ فيها يُوشع بن نون وصيُ موسى (٩) ، وعند الله نحتسبُ عزانا فيه ، ولقد أصيبَ به الشرق والغرب ، واللهِ ما خلفَ صفراءَ ولا بيضاءَ إلا سبعمائة درهمٍ ، فضلت من عطائِهِ ، أراد أنْ يبتاعَ بها خادمًا لأهلهِ ، ثم خنقتهُ العبرةُ فبكى ، وبكى الناسُ من حولهِ، ثم قال : أيها الناسُ أنا ابنُ النذير ، أنا ابنُ الداعي الى الله بإذنه ، أنا ابنُ السراج المنير ، أنا من أهلِ بيتٍ أذهبَ اللهُ عنهم الرجسَ وطهرهم تطهيرًا، أنا من أهلِ بيتٍ فرضَ اللهُ مودتهم في القرآنِ فقال تعالى (١٠) : { قل لا أسئلُكم عليه أجرًا إلا المودةَ في القُربى ، ومن يقترفْ حسنةً نزدْ له فيها حُسناً} ، فالحسنةُ مودتُنا أهلَ البيت .

أيها الناسُ : حدثني جدي رسولُ اللهِ أنَّ هذا الأمرَ يملكهُ اثنا عشر إمامًا من أهلِ بيتهِ وصفوتهِ ، ما منا إلا مقتولٌ أو مسمومٌ) .

التحليل الفني للخطبة:

قبل الدخول في تحليل نص خطبة الإمام الحَسن (عليه السلام) ، نتساءل عن العلاقة التي تربط الإمام الحَسن المجتبى بالقرآن الكريم ، فتكون الإجابة : إنَّ الإمام الحَسن وُلِدَ في شهر رمضان الكريم ، وشهر رمضان هو الشهر الذي نزل فيه القرآن الكريم ، في بيتٍ كان الوحيُ يهبط فيه حاملًا آيات القرآن الكريم فضلًا عن أنَّ الحَسن هو من أهلِ البيتِ الذين أذهبَ اللهُ عنهم الرجسَ وطهرهم تطهيرًا ، وهُم أحد الثقلين ، اللذين وصى بهما رسول الله ، وهُم عدل القرآن الكريم ، والخلاصة القول : إنَّ الإمام الحَسن عليه السلام منذُ اليوم الأول لولادته يسمعُ صوتَ القرآن الكريم يصدحُ في بيته ، لذلك كان الإمام الحَسن متحدًا نفسيًا وروحيًا مع القرآن الكريم ، وعدل القرآن الكريم في حديث الثقلين تعني مساواته ومعادلته ، ومن هذا المنطلق كان رسول الله والإمام علي وفاطمة والحسن والحسين كلَّ واحدٍ منهم هو قرآنٌ ، وبما أنَّ القرآن الكريم الذي نزل وحياً على رسول الله ، وكُتب على الرقوق والقراطيس ، هو قرآنٌ صامتٌ ، والقرآنُ الصامتُ هو بحاجةٍ ماسةٍ الى

القرآن الناطق ، ليوضح للمسلمين ما استغلقَ فهمُهُ عليهم ، ليبسط لهم تعاليمه، إذًا العلاقةُ متينة ووثيقة بين القرآن الصامت والقرآن الناطق ، فمن يقرأ خطب الإمام الحَسن (عليه السلام) وأقواله ، سيجدها تتناص روحًا وفكرًا ومعنًى مع القرآن الكريم ، ومن هنا نفهم أنَّ تربية الإمام الحَسن كانت على يدِّ رسول الله ، وأبيه أمير المؤمنين علي ، وأمه فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين ، لذلك وجدنا ثقافته قرآنية خالصة .

بعد أنْ أثنى الإمام الحَسن (عليه السلام) على آلاء الخالق سبحانه وتعالى وحمده ، وصلى على جدِّهِ أكرم المرسلين مُحمَّدًا صلى الله عليه وأله الطيبين الطاهرين الكرام ، وتشهد بالشهادتين ، أنْ لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له ، وأنَّ مُحمَّدًا عبده ورسوله ، دخل في صلبِ الموضوع مباشرةً ، لأنَّ المناسبة لا تسمح لهُ بالإطالة والإطناب ، مُفتَتِحًا كلامَهُ بالقول : (لقد قُبضَ في هذهِ الليلةِ رجلٌ لم يسبقْهُ الأولون بعملٍ) ، فاعلُ القبض هو اللهُ سبحانه وتعالى ، والقابضُ هو من أسماءِ الله الحُسنى ، فقد قال رسول الله مُحمّدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم) (١١) : (إنَّ الله تعالى : هو الخالقُ القابضُ الباسطُ الرازقُ المسعرُ) ، ونلحظ هنا إنَّ الإمام الحَسن (عليه السلام) قال (لقد قُبضَ) ولم يقلْ لقد مات ؛ والقبض هو الاستلام ؛ أي أنَّ الملائكة المقربُون من عرش الرحمن الرحيم ، هُم منْ قبضوا (استلموا) روح أمير المؤمنين عليًا ، وعادوها بها الى بارئها ، لتسكن في الجنانِ العُلا مع أخيهِ وابن عمه رسول الله مُحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ونحنُ المسلمون نؤمنُ ونردُ قائلين : إنا لله وإنا اليه راجعُون ، وبالمحصلة النهائية ، كُلّنا نعودُ الى الله ، فينظرُ في أمرنا ، وقول الإمام الحَسن في هذه الليلة ، تحديدٌ دقيقٌ لليلة التي فاضتْ فيها روح أمير المؤمنين ، بإشارةٍ واضحةٍ الى إنَّها إحدى الليالي المباركةٌ ، ذلك لأنَّها من ليالي القدر ، وليلة القدر هي أشرفُ ليلةٍ ، فيها نزل القرآن الكريم ، وليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان ، هي ليلةٌ عظيمةٌ عند الله بكلِّ المقاييس الدينية والدنيوية ، ولها قدسيةٌ خاصة، فهيَ ليلةٌ مباركةٌ ، ولها شأنٌ عظيم ، إذ عرج فيها السيد المسيح عيسى بن مريم الى السماء ، وفيها صعدت روح أمير المؤمنين هي الأخرى الى السماء ، وفي العُرُوج قال تعالى (١٢) : { تعرجُ الملائكةُ والروحُ إليه } ، فضلاً عن وفاة يوشع بن نون وصي موسى (عليه السلام) في مثل هذه الليلة

من شهر رمضان ، وخلاصة ما أراده الإمام الحَسن (عليه السلام) ، هو أنَّ ليلة شهادة الإمام علي كريمة عند الله ، فهي خيرٌ من ألف شهر ، كما قال الله سبحانه وتعالى (١٣) : { ليلةُ القدرِ خيرٌ من ألفِ شهرٍ } ، وأما قوله : (لم يسبقه أحد) ، فهي إشارةٌ واضحةُ الدلالة الى قوله تعالى (١٤) : { والسابقون السابقون ۞ أولئك هُم المقربون } ، ولو عُدنا الى القرآن الكريم ، وقرأنا الآيات الثلاث الكريمات التي سبقت هاتين الآيتين وهي (١٥) : { وكنتُم أزواجًا ثلاثة ۞ فأصحابُ الميمنةِ ما أصحابُ الميمنةِ ۞ وأصحابُ المشئمةِ ما أصحابُ المشئمةِ ۞ والسابقُون السابقُون ۞ أولئكَ هم المقربُون } يتضحُ لنا من قوله تعالى ، أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى ، قسم الناس على صنفين هما : الصنف الأول : هُم أصحابُ الميمنةِ ؛ والصنف الثاني : هُم أصحابُ المشئمةِ، وثمَ قسم أصحاب الميمنة على قسمين هما : السابقون السابقون ، وهم قمة الهرم ، وأهلُ الايمانِ والطاعةِ من المؤمنين ، وهؤلاء هم أصحابُ الميمنة، لأنَّ اليمينُ خيرٌ من الشمال ، وأصحاب المشئمة هُمُ العُصاة لأوامر الله عزَّ وجلَّ ، وهم المشركون والمنافقون ، وكنى عنهم بأصحابِ المشئمةِ ، ولم يقل أصحاب الشمال ، لأنَّ المشئمة مأخوذة من الشؤم ، وأما القسم الثاني من أهل الميمنة ، وهم السابقُون السابقُون ؛ أولئك هم المقربُون ، هم قمة هرم أهل الميمنة ، فهم منهم وعلى رأسِهم ، ولكنَّهُم أعلى درجةً منهم ، وأرفعُ مقاماً ، فمن هم السابقُون السابقُون ؟ هنا بيت القصيد في خطبة الامام الحَسن في قوله : (رجلٌ لم يسبقهُ أحدٌ) ؛ اختلف المفسرون في تفسيرهم لهذه الآية الكريمة ، فالإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول (١٦) : (إنَّها فيَّ نزلتْ) ؛ وقال عبدالله بن عباس : هم السابقُون للهجرة ، وقيل الى الصلوات الخمس ، وقيل الى الجهادِ عن الضحاك ، وقيل الى التوبةِ ، وأعمال البرِّ عن سعيد بن جُبير ، وقيل الى ما دعا الله اليه عن ابن كيسان ، فيما قال الإمام أبو جعفرٍ مُحمَّدٍ الباقر عليه السلام : (السابقونَ أربعةٌ : ابن آدم المقتول ، وسابقٌ في أمةِ موسى ، وهو مؤمنُ آل فرعون ، وسابقٌ في أمةِ عيسى ، وهو حبيبُ النجار ، والسابقُ في أمةِ مُحمّدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو عليُ بن أبي طالب عليه السلام) (١٧) وهو أفضلهم ، وأعلاهم درجةً ومقامًا، وتفسيرُ أهل البيت عليهم السلام ، هو المعول عليه ، لأنَّهم عدلُ القرآن الكريم وترجمانه ، أما التفاسير الأخرى ففيها نظر ، وعندما نمعن النظر في التفاسير

التي سبقت تفسير الإمام مُحمّد الباقر عليه السلام ، نجدها لا تنهض بقوة أمام تفسير أبي جعفرٍ الباقر الذي وضع النقاط على الحروف لكي يأخذ المسلمون المعلومة ، وهم مطمئنون الى وثاقة مصدرها ، أما المصادر الأخرى فقد استخدمت فعل التمريض (قيلَ) الذي يحمل بين طياته أكثر من ٨٠% من الشكِ والتردد في قبول المعلومة ، وما قاله أبو جعفرٍ ، هو عينُ اليقين الذي لا يأتيه الباطل ، والسابقُون كما قلنا ، هُم قمة هرم أهل الإيمان والطاعة ، ومعروفٌ لدى الجميع أنَّ القمة لا تتسع لأكثرِ من واحدٍ ، والواحدُ هو أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وروى عبدالله ابن عباس أيضاً عن النبي مُحمَّد عليه الصلاة والسلام قوله (١٨) : (السُّبَّقُ ثلاثةٌ : السابقُ الى موسى ، يُوشعُ بن نون ، والسابقُ الى عيسى ، صاحبُ ياسين ، والسابقُ الى مُحمَّدٍ ، عليُ بن أبي طالب) ، ونلحظ هنا أنَّ ابن عباس لم يذكر السابق ابن آدم ، وذكر صاحب ياسين بدلا من حبيب النجار ؛ وذلكَ انَّ أمير المؤمنين علي لم يسبقْهُ الى الايمانِ أحدٌ ؛ فضلًا عن ذلك ، فقد قال الله تعالى(١٩) : {والسّابقُون الاولُونَ من المهاجرينَ والانصارِ والذين اتبعُوهُم بإحسانٍ} ، فهو سابقُ جميعَ السابقينَ من أهل مكة والمدينة ؛ فكما أنَّ الله عزَّ وجلَّ فضلَ السابقينَ على المتخلفينَ والمتأخرينَ ، كذلكَ فضلَ سابقَ السابقينَ على السابقينَ ، وأما قول الإمام الحَسن (عليه السلام) : (ولا يدركه الآخرُون) ، أراد أنَّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام تفوق على كلِّ الناس طُرًا في الايمان والطاعة ، لله سبحانه ولرسوله الكريم ، بأعماله كافة، على كلِّ من سبقه من الخلق ، وعلى كلِّ من يأتي من بعده ، ونلحظ أيضاً أنَّ الإمام الحَسن (عليه السلام) ، قال في صدر الكلام (لم يسبقه..) و((لم)) هي من أدواتِ النفي جازمةٌ ، وقال في عجزها (ولا يدركه..) و((لا)) ناهية أغلقتْ البابَ من بعده ، فلا يأتي أحدٌ بمرتبته البتة ؛ فضلاً عن فـ ((ما)) دالة على نفي الماضي ، و ((لا)) دالة على نفي الحاضر والمستقبل ، وقال الامام الحَسن (عليه السلام) : (كانَ يجاهدُ مع رسول الله) ، والرجلُ الذي فاضتْ روحه الطاهرة في هذه الليلة ، هو ليسَ رجلًا عاديًا ، بل هو جنديٌ مخلصٌ عندَ رسولِ الله ، وهو بطلٌ ضرغامٌ ، فقد قال الإمام الحَسن كان يجاهدُ ، ولم يقل كان يحاربُ ، أو كان يقاتلُ ، لأنَّ الفرقَ كبيرٌ بين الألفاظ الثلاثة من الناحية الفكرية والإيمانية والمعنوية ، لأنَّ القتالَ أو الحربَ هما لمصلحةٍ

شخصيةٍ ، فيها منافعٌ ومكاسبٌ يرجوها المُقاتل والمُحارب ، والجهادُ هو خالصٌ لله ، وفي سبيله ، وأبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كان جنديًا مخلصًا مؤمنًا ، يجاهدُ بين يدي رسول الله ومعه ، ومعه هنا تعني أنَّهُ جهادٌ مشتركٌ يقوم به الاثنان في سبيل الله ، فقد كان الإمام علي درعًا حصينًا لرسول الله ، يحميه من كلِّ المخاطر ، وأضافَ الامام الحَسن قائلاً : (فيقيهِ بنفسهِ) ، الوقاية تعني دفعُ الشيءِ بشيءٍ غيره (٢٠) ، فقد كان الامام علي كان يدفعُ الأذى عن رسول الله بنفسهِ ، ويصونهُ ويحميه ، وهذه ليست جديدةٌ على أمير المؤمنين ، فقد كان يقيه في المواطن كافة في السلم والحرب ، ولعلَّ مبيتَهُ على فراش النبي ليلة الهجرة ، أشهرُ من علمٍ في رأسهِ نارُ ، إذْ كان الإمام علي يقي رسول الله بنفسه الطاهرة ، ويؤثرهُ عليها ، وهذه المأثرة هي الأخرى ليست جديدة على أمير المؤمنين ، فقد كان أبو طالب عم النبي يقومُ بها ، فأبو طالب كان يخاف على النبي من الاغتيال ، ولاسيما إذا عرِفَ المشركون مكان مضجعه ، فكان يقيمه ليلًا من مكانه ، ويأمرْ ابنَهُ عليًا أنْ ينامَ مكان ابن عمه ، فيما ينام الرسول مكان ابن عمه علي (٢١) ، والوقايةُ هي أعلى درجاتِ الحماية ، وهي تعني الصيانة من الأذى ، ودفعهُ عن المُصان ، فقد وصلت بالإمام علي بن أبي طالب أنْ يبذل نفسه فداءً للنبي في مقابل سلامة النبي ، وهذه هي أعلى مراتب الإيثار بالحياة من أجل الحفاظ على بيضة الإسلام رسول الله مُحمّدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ليبقى داعي الله والإسلام سالمًا ، ليواصل نشر الرسالة المُكلف بها ، وهي الدعوة للإسلام ، وإخراج الناس من الظلمات الى النور واستجاب لدعوته ، ووقاهُ بنفسه ، وباتَ على فراشه ليلة هجرته من مكة المكرمة الى المدينة المنورة، فأوحى الله سبحانه وتعالى الى جبرائيل وميكائيل : إنّي آخيتُ بينكما ، وجعلتُ عمرَ أحدِكما أطولُ من عمرِ صاحبه ، فأيُّكما يؤثر أخاهُ عمره ، فكلاهُما كرها الموت ، فأوحى اليهما أنّي آخيتُ بين عليٍ وليي ، وبين مُحمَّدٍ نبيي ، فآثر عليٌ حياتَهُ لنبيي ، فرقدَ على فراش النبي ، يقيه بمهجتهِ ، اهبطا الى الأرض واحفظاهُ من عدوه ، فهبطا فجلس جبرائيل عند رأسه ، وميكائيل عند رجليه ، وجعل جبرائيل يقول : بخٍ بخٍ من مثلك يا ابن أبي طالب ! والله عـزَّ وجلَّ يباهي بك الملائكة (٢٢) ، فأنزل الله تعالى قوله (٢٣) : {ومنَ الناسِ

مَنْ يشْري حياته ، ابتغاءَ مرضاتِ اللهِ} ، ويشري هنا تدل على البيع ، فقال الإمام علي في هذه المناسبة شعراً يفتخرُ به (٢٤) :

وقيتُ بنفسي خيرَ من وطئَ الحَصى

ومنْ طافَ بالبيتِ العتيقِ وبالحجرِ

مُحمّدٌ لما خافَ أنْ يَمْكروا بـــهِ فوقاهُ ربي ذو الجلالِ من المكـرِ

وبتُ أراعيهم متى ينشروننـــي

وقدْ وطنتُ على القتلِ والأســـرِ

وباتَ رسولُ اللهِ في الغارِ آمناً هناكَ وفي حفظِ الالهِ وفي ســترِ

أقامَ ثلاثاً ثم زُمَتْ قلائـــــصٌ قلائصُ يفرينَ الحصى أينما يفرِي

أردتُ به نصرَ الالهِ تبتـــــلًا

وأضمرتُهُ حتى أوسَدَ في قبـــرِي

ثم قال الإمام الحَسن : (كان رسولُ اللهِ يوجههُ برايتِهِ ، فيكتنفَهُ جبريل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره) ، نلحظ هنا إنَّ الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، كان يحملُ راية الإسلام التي وهي راية رسول الله ، يحملها ويتوجه بها للجهاد ، ولم يقاتل حسبما يريد هو ، بل كان يقاتلُ كما يريدُ رسول الله ، وذلك من خلال قوله (يوجهه) أي أنَّ النبيَ عليه الصلاة والسلام، هو الذي كان يرشد الإمام علي الى جهةِ القتال المطلوبة ، وعليك أن تلحظ أيضاً إنَّ الامام الحَسن ذكر (فيكتنفهُ) وهي بمعنى يسنده ويرعاه ويحفظه ، والاكتناف هي الجوانب ، ومن خلال هذا نفهم أنَّ أمير المؤمنين مُسددٌ محفوظٌ من الله تبارك وتعالى ، وكذلك نلحظَ أيضاً أنَّ النبيَ مُحمّدٌ (صلى الله عليه وآله وسلم) هو القائد ، والإمام علي هو الجندي المخلص ، أي أنَّ العلاقة كانت بين الطرفين علاقة (آمر ومأمور) على وفق النظرية العسكرية في الحرب ، ولكن الإمام الحَسن لم يتطرق الى هذا المعنى بصورة مباشرة ، بل قال : كان رسول الله يوجهه ، والتوجيه هو غير الأمر ، فالتوجيهُ ارشادٌ ، إذ كان رسول الله يرشد الإمام علي الى ما يريده اللهُ ورسولُهُ ، ثم أنَّ الله

سبحانه وتعالى ورسوله الكريم ، لم يتركا الإمام علي عليه السلام ، يقاتلُ المشركين والمنافقين بلا غطاءٍ ، وبلا مساندةٍ ، إذ كان جبريل يحرسه ويحميه ويسانده من جهة اليمين ، من فوقه ومن تحته ، أما الحراسة والحماية من جهة اليسار فقد تكفلَ بها ميكائيل ، ونلحظ هنا أنَّ الإمام الحَسن قال (وميكائيل عن يسارهِ) ولم يقل عن شماله ؛ لأنَّ اليسار للخير أيضاً ؛ والشمال للشر ؛ ويواصل الإمام علي جهاده ، فلا يرجِعُ ، حتى يفتح الله على يديه ، مُحققاً النصرَ المؤزر الذي يُفرَحُ به رسولُ الله ، فقد قال الإمام الحَسن : (ولا يرجِعُ حتى يفتحَ الله على يديه) ، عند التمعن بالنظر الى هذه الجملة المباركة ، نجد أنَّ الامام الحسن عليه السلام قال : ولا يرجع ؛ ولم يقل فلا يعود ، والفرق كبير بين اللفظتين ؛ فالرجوع تعني العودة الى ما كان من البدء (٢٥)، وأما (يعود) تعني أنَّهُ قد يعود مهزومًا وخاسرًا المعركة ، وعائدًا بلا شيءٍ، ولم يحققْ ما مطلوبٌ منه في الحربِ ، وحاشا لأمير المؤمنين أنْ يعودَ هكذا، في حين تعني كلمة (يرجع) يعود ومعه غنيمةٌ يُسرُ بها رسول الله ، وأعلى درجات المسرةِ عند رسول الله ، هي الفتح والظهور على العدو ، وهذا ما كانَ يرجعُ به أمير المؤمنين الى رسول الله ، وقال الإمام أبو مُحمدٍ الحَسن المجتبى (عليه السلام) : (لقد توفيَ في الليلة التي عرج فيها عيسى بن مريم، وهي الليلة التي قُبضَ فيها يُوشع بن نون وصي موسى) ، أي أنَّ وفاة أمير المؤمنين كانت في أشرفِ ليلةٍ ، وهي ليلةِ القدر ، وهي الليلة الحادية والعشرين من شهر رمضان الكريم ، وفي هذه الليلة رُفِعَ رسول الله المسيحُ عيسى بن مريم عليه السلام الى السماء ، بعدما همَّ اليهودُ بقتله ، بعد أنْ حاصروه في مكانٍ ضيقٍ لا يستطيع التخلص منه ، فرفعه اللهُ الى السماء ، وهذه كرامة خصَّ الله بها النبي عيسى على غيره من الأنبياء ، وأما الحدث الأخر والمهم الذي حدث في هذه الليلة ، فهو وفاة يُوشع بن نون وصي النبي مُوسى بن عمران (عليه السلام) ، والقرينة الدالة هي أنَّ كلا من يوشع وعلي، هو أنَّهما وصيان لأنبياءٍ من أولي العزمِ ، فيوشعُ وصيُ موسى (عليه السلام) ، وعليٌ وصيُ مُحمّدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم) ، واقتران شهادة أمير المؤمنين برفع عيسى ، من جهة ووفاة يوشع ، هي كرامة من الله خصّ بها أمير المؤمنين عليٌ (عليه السلام) ، ثم قال الإمام الَحسن عليه السلام : (وعند الله نحتسب عزانا فيه ، ولقد أصيب به الشرق والغرب) ، وعند الله

نحتسب ، ايّ نفوضُ أمرنا الى الله ، فهو مولانا وإليه المصير ، ولا اعتراض على أمره ، نصبرُ على ما حلَّ بنا فيجزينا الله أجور الصابرين ، وفي هذا المقام يُحضرني قولُ سيد الشهداء ، وأبو الأحرار ، الإمام الحُسين (عليه السلام) : (نصبرُ على بلاءهِ ، فيوفينا أجورَ الصابرين) وهذا المعنى هو الذي قصده الإمام الحَسن ، وأشار إليه ، أما ما أصيب به الشرق والغرب ، فقد أراد الإمام الحَسن (عليه السلام) ، أنَّ الأرض بشرقها وغربها فقدت رجلًا ، لا يوجد على ظهرها ، وصيُ نبيٍ غيره ، ولا بعده ، ثم قال الإمام الحَسن (عليه السلام) : (والله ما خلف صفراءَ ولا بيضاءَ إلا سبعمئة درهمٍ فضلتْ من عطائه ، أراد أنْ يبتاعَ بها خادماً لأهله) ، الإمام الحَسن يقسمُ بالله ، وهو الصادق الأمين أنَّ امير المؤمنين علي ، لم يخلف بعد شهادته غير هذا المبلغ البسيط من الدراهم ، فقول الإمام الحَسن (خلف) ولم يقل (ترك) ، الإنسان الميت يخلف ولا يترك ، لإنَّ الانسان عند موته سيؤول ماله الى غيره بالوراثة ، وما خلفه الإمام علي ابن أبي طالب (عليه السلام)، وهو أمير أكبر دولة في العالم حينذاك ، بسطت جناحيها على مساحةٍ امتدت من الهندِ والسندِ شرقًا ، الى المحيط الأطلسي شمالًا ، ولم يخلف لعائلته أكثر من سبعمئة درهم ، ادخرها من راتبه (عطائه من بيت مال المسلمين) ، وكان الهدف من ادخارها ، هو شراءُ خادمٍ يعينُ أهل بيته ، ويساعدهم في أعمال البيت ، واستشهد ولم يحقق هدفه بشراء الخادم ، وأما الصفراء والبيضاء ، فهيَ كنايةٌ رائعةٌ عن الدينار والدرهم ، إذ كان الدينارُ يصنعُ من الذهبِ ، وكنى عنه بالصفراء ، لإنَّ الذهب أصفر اللون ، فيما ترمز البيضاء الى الفضة ، ومنها يصنعُ الدرهم ، والفضة بيضاء اللون ؛ وفي هذه الفقرة استحضر الإمام الحَسن ما تركه جده رسول الله بعد وفاته وهو (٢٦) : (ما ترك رسول الله صفراء ولا بيضاء ، ولا بعيرًا ولا عبدًا ولا وليدة ؛ ولا ذهبًا ولا فضة) وهذه تدلُ على تأسي الامام علي برسول الله بما ترك ، ولا يختلف اثنان أنَّ مُحمّدًا وعليًا عليهما الصلاة والسلام ، هما نفسٌ واحدةٌ من خلال قوله تعالى في آية المباهلة { وانفسنا وأنفسكم } ، وبعد أنْ وصل الإمام الحسن عليه السلام الى هذه النقطة (خنقتهُ العبرةُ فبكى ، وبكى الناس من حوله)، فحقَّ لهُ البكاء ، فمن لا يبكيك يا أمير المؤمنين ، كان يخطب الناس وقلبه يعتصرهُ الألم والأسى ، فلم يتمالك نفسه ، فبكى حتى انحدرتْ دموعه

الطاهرة مسرعة على خديه حتى بلت لحيته الشريفة ، لأنَّه فقد أعظم رجلٍ بعد النبي عليه الصلاة والسلام ، وشاركه المسلمون الذين كانوا معهم في المسجد البكاء ، ثم استعبر وواصل خطبته الشريفة وقال : (أيها الناس أنا ابن النذير ، أنا ابن الداعي الى الله بإذنه ، انا ابن السراج المنير) ، خاطب الإمام الحَسن المسلمين المتواجدين في المسجد ، وغير المتواجدين بصورة عامة على طريقة الحاضر يبلغ الغائب ، بأنَّهُ هو ابن رسول الله ولا شك في ذلك ، إنَّهُ ابن النبي الذي ارسله الله سبحانه لينذرهم ، بأنَّ الشركَ ظلمٌ عظيمٌ، وعاقبته وخيمةٌ ، وأنَّ الله سبحانه وتعالى بعد أن أنذرهم عن طريق جده النبي مُحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) سينزل عذابه الأليم على كلِّ من تجبرَ وطغى وعصى ، وسيدخله نار جهنم خالدًا فيها أبدًا ، وأنَّهُ (أي الامام الحَسن) هو ابن النبي الذي دعاكم الى الإسلام ليخرجكم من الظلمات الى النور بإذن الله ، وأنَّهُ ابن النبي مُحمّد السراج الذي يضيءُ الدرب للناس كافة في كل المراحل والعصور ، فمن سلك طريق الحقَّ ، واتبع الرسول ، فقد هُدي الى صراطٍ مستقيمٍ يوصله في النهاية الى مرضاة الله ورسوله ومكافأته الجنة خالداً فيها ، وأما من كفر وعصى وتولى وأبى أنْ يتبع النبي ، فقد هلك وهوى في نار جهنم خالدًا فيها ، ثم واصل خطبته قائلًا : (أنا من أهلِ بيتٍ، أذهبَ اللهُ عنهم الرجسَ وطهرهم تطهيرًا ، أنا من أهلِ بيتٍ ، فرض الله مودتهم في القرآن) أراد الإمام الحسن (عليه السلام) ، أنْ يُذَكِرَ المسلمين ، أنَّهُ من أهل البيتِ الذين طهرهم الله وأذهب عنهم الرجس ، وهم أصحاب الكساء الخمسة الذين نزل فيهم قوله تعالى (٢٧) : { إنَّما يريدُ اللهُ ليذهبَ عنكُم الرجسَ أهلَ البيتِ ويطهركم تطهيرًا } ، وأراد بأهلِ البيتِ ، (مُحمّدٌ وعليٌ وفاطمة والحَسن والحُسين) ؛، ولا سادس لهم من البشر ، والحَسن هو الرابعُ بينهم ، ولم يكتف الله سبحانه وتعالى بآية التطهير ، بل فرضَ محبتهم على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ ، بآيةٍ أخرى على لسان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقال (٢٨) : { قُلْ لا أسئلكم عليه أجرًا إلا المودةَ في القُربى ۞ ومن يقترفْ حسنةً نُزدْ له فيها حُسنًا } ، الأعمال التي يقوم بها الناس ينتظرون من وراءها أجرًا ، وحقٌّ لك أنْ تطلب على عملك أجرًا ، فالعبادة وطاعة الله تطلبُ فيها أجرًا هو أنْ يرضى الله عنك ، ويدخلك الجنة ، والنبيُ مُحمّدٌ عليه الصلاة والسلام ، لا يريد من المسلمين أجرًا ماديًا ، ولا أجرًا معنويًا لقاء

إخراجهم من الظلمات الى النور ، وهدايتهم الى دين الحقّ ((الإسلام)) ليرضى الله عنهم ، ومن ثم يدخلهم الجنة ، والأجرُ الذي يريدُهُ رسول الله من المسلمين ، هو مودةُ أهلَ بيته الكرام ، علماً أنَّ المودةَ ، تمثل أعلى درجات المحبة ، والرسولُ مع علمه المُسَبَقُ ، وهو على علمٍ ويقينٍ تامَيْنِ ، أنَّهم سيعملون خلاف ذلك ، ومع ذلك يناشدُهم محبة أهل بيته ، لأنَّهُ يريد أنْ يسقط حججهم ويدحضها ، لأنَّهم سيقتلون ذريته الطاهرة لاحقاً بعد وفاته ، وفعلًا صدق ما أخبر به رسول الله ، فقد أحرقوا دار السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ، وقالوا : يا أبا حفص إنَّ فيها فاطمة ؛ فقال : وإنْ ... ؛ (٢٩) ، وكسرُوا ضلعها ، وأسقطوا جنينها ، وقبل ذلك سلبُوا فدك إرثها من رسول الله ، ومن ثم قتلُوها ، فماتت شهيدة من جراءِ ما جرى عليها منهم ، وقتلوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وهو قائمٌ يصلي في المحراب ، وسمّوا الحَسن ، وقتلوا الحَسين ومثلوا بجسده الطاهر ، إذ سحقته الخيل بحوافرها ، بعد أنْ حرموه وعياله شرب الماء ، وسلبوا ملابسه ، وتركوه عريانًا في العراء بلا غُسلٍ ، ولا كفنٍ ، ولم يدفنوه ، تباً لهم بما عملوا ، ولعنةُ الله على الظالمين الذين ظلموا أل مُحمّدٍ ، وسلبوا إرثهم من رسول الله ، وقد أشار الله سبحانه وتعالى على أنَّ محبة أهل بيت النبي تعد حسنة يكافئُ بها الله من يحبُّ أهل بيتَ نبيه المنصوص عليهم في آية التطهير وآية المودة ، ونلحظ هنا أنّ الإمام الحسن قد كرر لفظة (أنا) ست مرات لتأكيد مكانة أهل البيت الرفيعة والسامية عند الله ورسوله ، والتكرار اللفظي في عرف أهل البلاغة؛ هو من التوكيدات القوية ، إذا تكرر مرتين ، فكيف يكون إذا تكرر ست مرات ، ختم الإمام الحَسن عليه السلام خطبته بتفسير قوله تعالى { ومن يقترفْ حسنةً نُزدْ لهُ فيها حُسنًا } فقال (عليه السلام) : الحسنةُ هي مودتنا أهلَ البيتِ ، فالذي يُحبُّ أهل بيت النبي له من الله الحُسنى ، وهي الأجرَ والثوابَ ، والثوابُ هو دخول الجنة ، وأخيرًا ختم خطبته الشريفة بقوله : (حدثني جدي رسول الله أنَّ هذا الأمر يملكهُ اثنا عشر إمامًا من أهل بيتهِ وصفوتهِ ؛ ما منا إلا مقتولٌ أو مسمومٌ) ، في هذا المقطع من الخطبة الشريفة يؤكد الإمام الحَسن (عليه السلام) ، أنَّ الله سبحانه وتعالى قد حدد خلفاء الرسول مُحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) وذكرهم بأسمائهم وعددهم ، وهم اثنا عشر إمامًا معصومًا ؛ متسلسلين الأول يرث الثاني علمًا وعملًا إلى

آخرهم الحجةُ ابن الحسن الإمام المهدي المنتظر عليه السلام ، وأنَّ هؤلاء الأئمة ستقتلونهم بالسيف أو السمّ ، بمجرد أنْ ينتقل رسول الله الى الرفيق الأعلى ، ستقتلونهم وتسلبونهم مناصبهم وإرثهم ، وتدفعونهم عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها ، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى النبي بما سيجري بعد وفاته في قوله تعالى (٣٠) : { وما مُحمّدٌ إلا رسولٌ قد خلتْ من قبلهِ الرُّسل أفإنْ ماتَ أو قُتلَ انقلبتُم على أعقابِكُم ومن ينقلبُ على عقبيهِ فلنْ يضرَّ اللهَ شيئاً وسيجزي الشاكرين } ، الآية الكريمة تخاطب رؤساء قريش فيمن يدعون أنَّهم أصحابُ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، والآية تشير الى أنَّ هذا النفرُ الضال من الصحابة ، بمجرد وفاة رسول الله سيرتدُون عن الإسلام ، ارتدادًا قبيحًا ، ويرجعون الى جاهليتهم الجهلاء عن الطريق التراجع القهقهري ، وهو أسوءُ أنواع التراجع ، ففيه يرجعُ الإنسان الى الخلف ووجهه الى الامام ، وفعلاً بعد وفاة الرسول حصلت رزيةِ الخميس ، أو ما يعرف ببيعة السقيفة ، وما ترتب عليها من مصائبَ ، ولا أريد التوسع في هذه الفقرة الأليمة ، فالخطبةُ على الرغم من قصرها ، إلا أنَّها أدتْ المطلوبُ بصورةٍ كاملةٍ وتامةٍ ، هذا ما استطعت أنْ أفهمه من خطبة أبي مُحمد الحَسن المجتبى عليه السلام ، وقبل أنْ أغلق ملف هذه الخطبة الشريفة أودُ أنْ أقول : أنَّ هذه الخطبة الشريفة ذكرتها مصادر كثيرة ؛ وفيها اختلافٌ رواية ، مع اختلاف بعض ألفاظ في الخطبة ، إلا انَّها لم تغير من معناها ، ولكنَّي اعتمدتُ رواية البحار لأنَّها أكملها ، وأما المصادر الأخرى التي روت الخطبة ، أو أشارت إليها فهي : الارشاد (٣١) ، واعلام الورى (٣٢) ، ومناقب آل ابي طالب (٣٣) ، الكامل في التاريخ (٣٤) ، والمستدرك للحاكم (٣٥) ، وينابيع المودة (٣٦) ، وكشف الغُمَّة (٣٧) ، ومنهاج البراعة (٣٨) ، مسند أحمد بن حنبل (٣٩) .

الخطبة بصورة عامة ، هي من قِصار الخطب ، لأنَّ طولها لا يتجاوز النصف صفحة ، إلا أنَّها مع قصرها أدتْ المطلوب منها بشكلٍ دقيقٍ ومباشر ويسير ، فقد كانت العرب تميلُ الى هذا النوع من الخطب ، لأسبابٍ كثيرة ، منها أنَّها في الحفظ أسرع ، وفي المحافل أجول ، ومنها أنَّ المقام لا يسمح بالإطالة والإطناب ، والمقام هنا هو نعي أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب ، فالقلوب كلمى ، والعيون حرى ، تفيضُ دمعاً ودماً ، والعرب تفضل

هذا اللون من الخطب ، فقد قالوا قديماً ((خيرُ الكلامِ ما قلَّ ودلَّ)) ، وقد سئل أبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ) شيخ مدرسة البصرة ، وأحد القراء السبعة(٤٠) : (هل كانت العربُ تطيل ؟ فقال : نعم ليُسمع منها ، قيل : هل كانت تُوجز ؟ فقال : نعم ليُحفظ عنها) ، وقال الخليل ابن أحمد الفراهيدي(٤١): (يطول الكلام ، ويكثر ليفهم ، ويوجز ويختصر ليحفظ) ، فالإمام الحسن المجتبى عليه السلام في هذه القصيرة والموجزة ، أخبر المسلمين بشهادة أبيه عليه السلام بكلمات معدودات ، فَهِمَ المسلمون المرادُ منها ، فبكى كل من كان في مسجد الكوفة ، فمن يقرأ الخطبة جيدًا ، يشعر منذ الوهلة الأولى أنَّ الإمام الحسن (عليه السلام) ، كان ينهلُ من ذات المعين الذي كان الإمام علي عليه السلام ينهلُ منه ، فكلِّ أفكار الخطبة ومعانيها قرآنية بامتياز ، وهي تتناص مع القرآن الكريم في مواطن عدة ، منها ما كان يتناص لفظًا ، ومنها ما كان يتناص معنى ، إذًا خطب الإمام الحسن تمثلُ امتدادًا طبيعيًا لخطب الإمام علي في نهج البلاغة ، بل هي تمثلُ نهجَ بلاغةٍ ثان ، وهنا تحضرني الآية الكريمة (٤٢) : { إنَّ اللهَ اصطفى آدم ونوحًا، وآل إبراهيم ، وآل عمران على العالمين ، ذريةً بعضُها من بعضٍ } ، فالإمام علي بن أبي طالب من المصطفين الأبرار ، وكذلك الحال بالنسبة للإمام الحسن المجتبى ، هو الآخر من المصطفين الأبرار ، فهو مُصطفىً ابن مُصطفىً ، وبما أنَّ الحَسن هو ابن علي ، لذلك فهُما ذريةٌ بعضُها من بعضٍ، وقد استعان الإمام الحسن في معاني هذه الخطبة بسبعِ سورٍ كريمات ، فضلاً عن سبعة عشر آية كريمة ، مع خمسة أحاديث شريفة ، وسبعة أقوال عامة مشهورة ، كرر الإمام الحسن عليه السلام لام الابتداء والتوكيد مصحوبة بحرف التحقيق قد ((لقد)) ، ثلاث مرات ، في قوله : لقد قُبِضَ ، ولقد كان يجاهد ، ولقد توفي ، كما استخدم الامام الحسن عليه السلام كان الفعل الماضي الناقص مع الفعل المضارع مرتين ، ((كان يجاهد ، كان يوجهه))، كان مع الفعل المضارع تعني الماضي المستمر وهي تدل على التتابع والتوالي (٤٣) ، الخطبة بصورة عامة عبرت عن مكانة أمير المؤمنين وترسيخها في قلوب المسلمين ، مع اظهار جلل المصاب الذي أصاب بيت الإمام علي عليه السلام ، وخلاصة القول أنَّ الإمام علي وُلِدَ في ليلة القدر وفي ليلة القدر فاضت روحه الطاهرة ، فضلًا عن أنَّهُ وُلِدَ في بيت الحرام

واستشهد في بيت من بيوت الله (مسجد الكوفة) ، وأخيراً أقول : هذا ما استطعت استيعابه وفهمه من خطبة نعي أمير المؤمنين للإمام الحسن (عليهما السلام) ، فإنْ وفقني الله وأصبتُ فيها ، فذلك بفضلٍ من الله وتوفيقه ، وإنْ جانبت الصواب ، فمن تلقاء نفسي الخاطئة واجتهادي ، وفي الختام أقول : اللهم آتنا في الدُّنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبيينا مُحمَّدٍ وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين الكرام .

الهوامش :

*- هو خالد بن زيد بن كُليب بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ؛ المشهور بابي أيوب ؛ وهو ممن بايع بيعة العقبة الثانية ؛ نزل النبي عليه الصلاة والسلام في داره بعد الهجرة ؛ وكان من رجال الامام علي عليه السلام ؛ وقبره في إسطنبول .

١- المستدرك : ٣ / ١٤٠ رقم الحديث ٤٧٣٠ ، الشعفات : الأمطار الخفيفة

٢- السيرة النبوية لابن هشام : ٢ / ٤١٢

٣- الطبقات الكبرى : ٣ق / ١/ ٢٤٨ ، أُسد الغابة : ٤ / ٢٤٧

٤- أنساب الأشراف : ١٠ / ٤٣٤ ــ ٤٣٥ ، الإصابة : ٤ / ٧٠

٥- وقعة صفّين : ٢٩

٦- مسند أحمد بن حنبل : ٢ / ٢٧

٧- بحار الأنوار : ٤٣ / ٣٦٢

٨- ما بين عضادتين [ ] إضافة من ينابيع المودة : ١ / ١٤٤

٩- يوشع بن نون : هو وصي النبي موسى عليه السلام وفتاه ، وهو : يوشع بن نون بن إفراييم ين يوسف بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام ، وقبره في بغداد بجانب الكرخ في مقبرة الشيخ معروف الكرخي ، ينظر قصص القرآن الكريم : ٣١٣- ٣١٧ ، ولي تحفظ على مكان

القبر ، لأنَّ يوشع كان في أرض كنعان ، فابن الأثير يؤكد أنَّهُ مات في أرض كنعان ، ينظر الكامل في التاريخ : ٣ / ٢٦٥

١٠- سورة الشورى ؛ الآية ٢٣

١١- سنن ابن داود ، رقم الحديث : ٣٤٥١ ، سنن الترمذي ، رقم الحديث: ١٣١٤ ، سنن ابن ماجة ، رقم الحديث : ٢٢٠٠

١٢- سورة المعارج ، الآية : ٤

١٣- سورة القدر ، الآية : ٣

١٤- سورة الواقعة ، الآيتان : ١٠ - ١١

١٥- سورة الواقعة ، الآيات : ٧ – ١١

١٦- عيون أخبار الرضا : ٥٤٩

١٧- مجمع البيان : ٩ / ٢٧٦ – ٢٧٧

١٨- مجمع الزوائد للهيثمي : ٩ / ١٠٢

١٩- سورة التوبة ، الآية : ١٠٠

٢٠- معجم مقاييس اللغة : ٦ / ١٣١

٢١- شرح نهج البلاغة : ٤ / ٦٤

٢٢- ينابيع المودة : ١ / ١٠٦ – ١٠٧

٢٣- سورة البقرة ، الآية : ٢٠٧

٢٤- ديوان الإمام علي : ٥٧

٢٥- تاج العروس : ٢١ / ٦٥ - ٦٦

٢٦- الفائق في غريب الحديث : ٢ / ٢٥٢

٢٧- سورة الأحزاب ، الآية : ٣٣

٢٨- سورة الشورى ، الآية : ٢٣

٢٩- الإمامة والسياسة : ١٦

٣٠- سورة آل عمران ، الآية : ١٤٤

٣١- الإرشاد : ١٨٨

٣٢- اعلام الورى : ٢٠٨

٣٣- مناقب آل ابي طالب : ٤ / ٣١

٣٤- الكامل في التاريخ : ٣ / ٤٠١ ــ ٤٠٢

٣٥- والمستدرك للحاكم : ٣ / ١٧٢

٣٦- ينابيع المودة : ١٤٤

٣٧- كشف الغُمَّة : ١٥٨/٢ ــ ١٥٩

٣٨- منهاج البراعة : ٢ / ٣١ .

٣٩- مسند أحمد بن حنبل : ٢ / ٢٧ - ٢٨

٤٠- العُمدة : ١ / ١٨٦

٤١- المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

٤٢- سورة آل عمران ؛ الآية : ٣٣

٤٣- معاني النحو : ١ / ٢٢٣

الخطبة الثانية عشرة

مقطع من خطبة بعد شهادة أمير المؤمنين

هذا المقطع من خطبةٍ أرجحُ أنَّهُ جزءٌ من الخطبة السابقة ، لارتباطه الوثيق بها ، وهو امتدادٌ لها ، فالخطاب فيها موجهٌ لأهل الكوفة ، يُعْلمَهُم فيه بشهادةِ أمير المؤمنين ، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وفي الوقتِ نفسه هو تعريفٌ لمنْ لا يعرفُ من هو الإمام علي ، فقال الإمام الحَسن (عليه السلام) (١) :

(يا أهل الكوفةِ : لقد فارقكُم (٢) بالأمسِ ؛ سهمٌ من مرامي الله ؛ صائبٌ على أعداءِ الله ؛ نِكالٌ على فُجارِ قُريشٍ ؛ لم يزلْ آخِذاً بحناجِرها ؛ جاثماً على أنفاسِها ؛ ليسَ بالملُومةِ في أمرِ الله ؛ ولا بالسرُوقةِ لمالِ الله ؛ ولا بالفرُوقةِ (٣) في حربِ أعداء الله ؛ أعطى الكتابَ خواتمَهُ ؛ دعاهُ فأجابَهُ ؛ وقادَهُ فاتبعَهُ ؛ ولا تأخذُهُ في اللهِ لومةَ لائمٍ ؛ فصلواتُ اللهِ عليهِ ورحمتهِ) .

تحليل الخطبة :

أهل الكوفة يعرفون أنَّ أمير المؤمنين تعرض لمحاولة اغتيالٍ من قبل الخوارج ، ولكنَّهم لا يعرفون شيئًا عن حالته الصحية ، ومدى خطورةِ جرحه ، وبما أنَّ السيفَ كان مسمومًا ، فقد سَرى السمُّ في جسم الإمام علي (عليه السلام) ، ولم يمهله أكثر من يومين ونصف اليوم ، وبعدها فارقتْ روحهُ الطاهرة الدُّنيا ملتحقة بخالقها ، لتسكن عنده في الجنات العُلا مع رسول الله مُحمّدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم) ، الذي كان في استقباله ، ليسكنه معه في بيته وجنته ، هنا خرج الإمام الحَسن الى المسلمين من أهل الكوفة ليخبرهم بالخبر الحزين ، وكان الإمام دقيقًا في تحديد يوم شهادته ، لأنّ الامام الحَسن ، وكما هو معلوم ألقى هذه الخطبة بعد الفراغ من مراسيم الدفن ، وبما أنَّ كثيراً من سُكان الكوفة حديثي عهدٍ بسكنها ، ومعلوماتهم عن الإمام علي قليلة ، فأراد الامام الحَسن أنْ يعرفهم بمكانة الإمام علي ابن أبي طالب من رسول الله ، وعن دوره في الجهاد بين يديه في سبيل الله دفاعًا عن المبادئ والقيم التي جاء بها الإسلام ، فقال لهم هو : (سهمٌ من مرامي الله ، صائبٌ على أعداءِ الله ، نِكالٌ على فُجارِ قُريشٍ ، لم يزلْ آخِذاً

بحناجرِها ، جاثماً على أنفاسِها) ، معنى ذلك أنَّ الإمام علي كانت له صولات وجولات مع مشركي قريش ، فهو سهمٌ أرسله الله ، ليصيب به رقابَ أعداء الله وأعداءُ رسوله ، ويصيب به مقتلًا في مشركي قُريشٍ ومنافيقها ، لذلك كان سيفه عقابًا لهم ، فأذاقهم الموت الزؤام ، حتى بلغت أرواحهم الحناجرَ خوفًا ورعبًا ، وكأنَّهُ قد أمسك بأعناقهم ، حتى كأنّ أرواحهم ستزهق من شدةِ قبضته عليها ، إذ كان كأنَّهُ صخرةٌ كبيرةٌ وضعت فوق صدورهم ، وأما قوله : (ليسَ بالملُومةِ في أمرِ الله ، ولا بالسرُوقةِ لمالِ الله ، ولا بالفرُوقةِ في حربِ أعداءَ الله) ، كان عليه السلام لا تأخذه في تطبيقِ أوامر الله ورسوله لومةَ لائمٍ ، كان ينفذ ما يُؤمرُ به ، فضلًا عن عزةِ نفسهِ ، وزهده في الدُّنيا ، فهو لم يطلب عطاءً ، ولم تمتدْ يدُّهُ لمالٍ ، إلا ما كان يعطيه له رسول الله من الغنائم ، كان صنديدًا شديدًا على أعداء الله ورسوله من الكفار والمنافقين ، لا يأخذه الفزع والرعب ، ولا يتثاقل ولا يتخاذل عن قتالهم وجهادهم ، رضا الله ورسوله عندهُ فوق كلِّ الاعتبارات، وكان (عليه السلام) أعلمُ الناس بكتاب الله القرآن الكريم ، فهو يعرف كلَّ ما فيه وبه ، يعرفُ أوقات نزوله وأسبابها ، كما يعرفُ تأويله ، وهو القائل(٤) : (واللهِ ما نزلتْ آيةٌ إلا وقد علمتُ ، فيما نزلت ، وأين نزلت ، وأنَّ ربي وهبَ لي لساناً طلقاً وقلباً عقولًا) ، وأمير المؤمنين هو أولُ من دعاه رسول الله للإيمان وتصديقه ، فأجابه مسرعًا بلا ترددٍ ، وقاده فاتبعه، مشى خلف قيادته ، مؤتمرًا بأمره ، ينفذُ ما يُؤمره به ، ولا تأخذه بالله لومة لائمٍ ، وأما قول الحَسن : (صلوات الله عليه ورحمته) ، ذلك أنَّ من صلى على مُحمّدٍ ، ولم يصلِ على عليٍ فلا تقبل صلاته ، إشارة الى قول رسول الله (٥) : (لا تصلوا علي الصلاة البتراء ، قالوا وما الصلاة البتراء يا رسول الله ؟ قال تقولون اللهم صلِ على مُحمّدٍ وتسكتون ، بل قولوا : اللهم صلِ على مُحمّدٍ وعلى آلِ مُحمّدٍ) .

الهوامش :

١- جمهرة خطب العرب : ٤ / ١٠ ، شرح نهج البلاغة :٢ / ١٠٣
٢- فارقكم : أي انتقل من عالم الدنيا الى عالم الآخرة
٣- الفروقة : الفزع والرعب
٤- ينابيع المودة : ١ / ٨٢
٥- ينابيع المودة : ١ / ١١

الخطبة الثالثة عشرة

عند وفاة أمير المؤمنين علي عليه السلام

بعد الانتهاء من مراسيم دفن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ، وعودة الناس الى مسجد الكوفة ، ارتقى الإمام الحَسن عليه السلام منبر المسجد وخطب في الناس قائلاً (١) :

(الحمدُ للهِ الذي كان في أوليتهِ وحدانيًا ، وفي أزليتهِ مُتعظمًا بالألوهيةِ متكبرًا بكبريائهِ وجبروتهِ ، خلقَ جميعَ ما خلقَ على غيرِ مثالٍ كان سبقَ مما خلق ، ولا زوال لملكهِ ، ولا انقطاعَ لمدتهِ ، فوقَ كلِّ شيءٍ علا ، ومن كلِّ شيءٍ دنا ، فتجلى لخلقهِ من غير أنْ يُرى ، وهو بالمنظرِ الأعلى ، احتجبَ بنورهِ ، وسما في علوهِ ، واستترَ على خلقهِ ، وبعثَ اليهم شهيداً عليهم ، وبعث فيهم النبيينَ مبشرينَ ومنذرينَ ، (٢) : { ليهلكِ من هلكْ عن بينةٍ ، ويحيى من حيَّ عن بينةٍ } وليعقلَ العباد عن ربهم ما جهلوه ، فيعرفوهُ بربوبيتهِ ، بعدما أنكروهُ ، والحمدُ للهِ الذي أحسن الخلافةَ علينا أهلَ البيت ، عندَ اللهِ لنحتسب عزاءُنا في خيرِ الآباءِ أمير المؤمنين ، وقد أصيبَ به الشرق والغرب ، والله ما خلفَ درهماً ولا ديناراً إلا اربعمائة درهم (٣) ، أراد أنْ يبتاعَ لأهلهِ خادماً ، ولقد حدثني جدي رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) أنَّ الامر يملكهُ اثنا عشرَ إمامًا من أهلِ بيتهِ وصفوتهِ ما منا إلا مقتولٌ أو مسمومٌ).

تحليل الخطبة :

في هذه الخطبة أجزاء من الخطبة الثامنة ، لعلَّ هذه الخطبة هي رواية ثانية للخطبة السابقة ، لست متأكدًا ولا متيقناً فالمقطع ((والله ما خلفَ درهماً ولا ديناراً إلا اربعمئة درهم ، أراد أنْ يبتاعَ لأهلهِ خادمًا)) ورد في الخطبة الثامنة ، ولكن وردت هناك سبعمئة درهم بدلاً من أربعمئة درهم التي وردت هنا ، ولا ادري هل هما خطبتان أم خطبة واحدة ، أما اختلاف الرقم بين خطبتين فهو من أوهام النساخ ، أبتدأ الإمام الحَسن خطبته بحمد الله ، والثناء على

آلاءه ، وعلى ما أنعم وأعطى وأجزل ، من نعمٍ لا تُعدُ ولا تُحصى ، ولا يُحمد على مكروهٍ سواه ، بعد ذلك وصف صفات الله سبحانه وتعالى ، فقال: هو قريبٌ من عباده منظورٌ غير منظور ، تراه العقول بفكرها ، ولا تراه العيون ببصرها ، خلق الانسان في أحسن تقويم ، فارسل له الأنبياء والرسل، ليرشدوه الى طريق الهداية والرشاد ، وحاشا لله أنْ يترك عباده بلا مبشرين ومنذرين فقال (٤) : { أ يحسبُ الانسان أنْ يترك سدى } ، ليكون على بينةٍ من أمره ، فهو مُخيرٌ غير مُجبرٍ ، أعطاه الله العقل ليتدبرَ أمره ، وأعطاه النفسَ ليعرف طعم الحياة ، فقال تعالى (٥) : { ونفسٍ وما سوَّاها ؛ فالهمها فُجُورَها وتقوَاها } ، فالفجور من أعمال النفس ، وقد وصفها بقوله (٦) : {إنَّ النَّفسَ لأمارةٌ بالسُّوءِ } ، والتقوى من أعمال العقل ، وسيكون الصراع شديدًا بينهما ، فلمن ستكون الغلبة ؟ ستكون الغلبة للذي يسيطرُ على شخصية الإنسان ، ((العقل أو النفس)) فهو يعيش ويموت وهو على معرفة من نفسه وعقله فقال تعالى (٧) : { ليهلكِ من هلكْ عن بينةٍ ؛ ويحيى من حيَّ عن بينةٍ}، ليعرف العباد من هو الله ، ما لم يكونوا يعرفوه ، ويقروا بربوبيته ، وأنَّهُ فردٌ صمدٌ لا اله غيره ولا شريك له ، وله الحمدُ ، قد أحسن الينا أهل البيت ، ومنَّ علينا بالخلافة ، ولا نقول الا ما يُرضي الله ، فبالأمس رحل عنا أمير المؤمنين الى ربه ، ليلتقي بحبيبه المصطفى ، فأبي أمير المؤمنين خيرُ الآباء، فقد كانت شهادته رزية اصابت أهل الشرق وأهل الغرب ، غادر الدُّنيا ولم يترك وراءَهُ صفراءَ ولا بيضاءَ إلا أربعمئة درهمٍ ادخرها من عطائه ، ليشتري لأهله بها خادمًا يساعدهم على أعمال البيت ، وأشار الامام الحَسن الى أنَّهُ سمع جده رسول الله يقول : أنَّ الامر يملكهُ اثنا عشرَ إمامًا من أهلِ بيتهِ وصفوتهِ ما منا إلا مقتولٌ أو مسمومٌ) ، هم الصفوةُ المختارة ، وأئمةُ الصفوة لا يموتون حتف أنفهم ، بل يموتون شهداء أما بالسيف قتلًا ، وأما بالسمِّ سُقيًا (٨) ، وصدق رسول الله في قوله ، فقد مضى الامام علي وابنه الامام الحُسين شهداء بالسيف ، ومضى الإمام الحَسن شهيداً بالسمِّ .

الهوامش :

١- الفتوح : ٤ / ٢٨٢ ، ذخائر العقبى : ٢٣٥ ، أمالي الطوسي : ٢٦٩

٢- سورة الأنفال ، الآية : ٤٢

٣- جاء في الخطبة الثامنة (سبعمئة درهم)

٤- سورة القيامة ، الآية : ٣٦

٥- سورة الشمس ، الآيتان : ٧-٨

٦- سورة يوسف ، الآية : ٥٣

٧- سورة الأنفال ، الآية : ٤٢

٨- البحار : ٢ / ٢١٧

الخطبة الرابعة عشرة

بعد شهادة أبيه أمير المؤمنين

بعد شهادة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وما أحاط بالإمام الحسن (عليه السلام) من حزنً كبيرٍ على فراق سيده ومولاه وأبيه علي بن أبي طالب عليه السلام ، أخذ برهةً لاستراحة مقاتلٍ هدتْهُ الحروب والأحزان ، فشاع بين الناس بسبب الإعلام الأموي المعادي لأهل البيت والمنحرف عن الإسلام أنَّ الامام الحَسن عاجزٌ عن مواصلة قتال معاوية واتباعه من أهل الشام ، فنهضَ وارتقى المنبر ، ليخطب الناس ، ويفند هذا ادعاء معاوية الكاذب الذي يهدف الى زعزعة صفوف المسلمين ، لإحباط معنوياتهم ، وتثبيط هممهم في مواصلة قتال القاسطين ، معاوية وأهل الشام فقال (١) :

(أما واللهِ ما ثنانا (٢) عن قتالِ أهلَ الشام ذلَّةٌ ولا قلَّةٌ ، ولكنْ كُنا نقاتلُهم بالسلامةِ والصبرِ ، فشيبتْ (٣) السلامةُ بالعداوةِ ، والصبرُ بالجزعِ ، وكنتم تتوجهون معنا ، ودينكم مع دنياكم ، وقد اصبحتم الآن ودنياكم أمام دينكم ، فكنا لكم وكنتم لنا ، وقد صرتم اليوم علينا ، ثم اصبحتم تعدون قتيلين ، قتيلًا بصفّين (٤) ، تبكون عليه ، وقتيلاً بالنهروان (٥) تطلبون ثأره ، فأما الباكي فخاذلٌ ، وأما الطالبُ فثائرٌ ، وأنَّ معاوية قد دعا الى أمرٍ ليس فيه عزٌّ ولا نصفةٌ ، فإنْ أردتم الدُّنيا ، قبلناهُ منكم ، وأغضضنا على القذى ، وإنْ أردتُم الموتَ بذلناه في ذاتِ الله ، وحاكمناهُ الى الله) .

تحليل الخطبة :

لم تصل الينا مقدمة هذه الخطبة ، إذ ابتدأت بالقسم بالله من قبل الإمام الحَسن (عليه السلام) ، مُفندًا فيها قول القائل ، والمتهم له بالتهاون والتباطؤ عن قتال معاوية وأتباعهُ من أهل الشام ، فقال : إنا ما تأخرنا عن مواصلة قتال القاسطين ، معاوية وزمرته عن عجزٍ ولا عن ضعفٍ ، ولكنَّ شهادة أمير المؤمنين أخذت منا مأخذًا كبيرًا ، وجعلت الناس يعيشون في حزنٍ كبيرٍ بعد أنْ فقدوا الرجلَ الثاني في الإسلام بعد رسول الله محمد صلى الله عليه

واله وسلم ، وحينما كُنا نحاربُ معاوية ونقاتله ، كنا نضع سلامتكم في أوليات أمرنا ، متسلحين بالصبر لكي نحافظ على حياتكم ، وكنتم معنا وحدة متماسكة أمام العدو ، وكان دينكم متوحداً مع دنياكم ، واليوم اختلف الحال باختلاف قلوبكم وأهواءكم ، واليوم اختلف الميزان ، وظهرت معادلة جديدة ، فقدمتم فيها دنياكم على دينكم ، وكنتم صفًا واحدًا ، فتشتت جمعكم ، وضعفت قوتكم ، واليوم نحنُ في وادٍ ، وأنتم أصبحتم في وادٍ آخر ، ثم تطرق الى صفّين والنهروان وحال الناس فيهما ، فقال كان الناسُ في صفَين يقاتلون القاسطين أصحاب الفئة الباغية ، نصراً لله ولدينه ، واليوم تبكون على من قُـتِلَ منكم بصفّين ، وهم عند الله شهداء الدين والعقيدة ، ومن يبكي على قتيلٍ ، فهو متخاذلٌ ، وكان الأولى به أنْ يحمل السيف ، ويواصل جهاد من سبقه الى الله بالشهادة ، ولا يلزم بيته باكيًا شأنهُ شأنُ النساء ، وفي النهروان شقَّ الخوارجُ المارقون صفوفكم ؛ وأضعفوا قوتكم ؛ وأنتُم من قتلهم ، واليوم تطلبون ثأرهم ؟ ولو قاتلتم معاوية ستقاتلونه على رأي الخوارج الذين يريدون قتل معاوية ، مثلما قتلوا علياً ، وهذه عصبية جاهلية ، ولتكن غضبتُكم لله والإسلام ، وليس لطلب الثأر ، وبما أنَّكم منشقين على أنفسكم ، مما أورثكم ضعفًا في قوتكم وهوانًا ، فأصبحتم صيدًا سهل المنال عند معاوية ، ومن أجل ذلك عرض علينا معاوية أمرًا خطيرًا ، فيه ذلٌّ لكم وعبودية ، إذا قدمتُم الدُّنيا واخترتمُوها على الآخرة ، ولم تقاتلوه ، وسوف نقبل ما عرضه معاوية على قذىً ، وعدم قناعة ، وعدم رضا ، إذا قدمتم الدين والآخرة على الدُّنيا، وقبلتم بالموت والجهاد في سبيل الله ، وكنتم عوناً لنا على قتالِ معاوية وحزبه من القاسطين ؛ فنقبل معكم بالموت والجهاد في سبيل الله ، وأمرنا وأمركم الى الله .

الهوامش :

١- الكامل في التاريخ : ٣ / ٢٧٢ – ٢٧٣ ، أسد الغابة : ٢ / ١٤ ، بحار الانوار : ٤٤ / ٢١

٢- ثنانا : منعنا

٣- شيبت : اختلطت

٤- صفّين : موقع يقع قريباً من الرقة على شاطئ نهر الفرات من الجهة الغربية في الأراضي السورية ، معجم البلدان : مادة صفين .

٥- النهروان : منطقة واسعة تقع بين محافظتي بغداد وواسط من ناحية الشرق ، جرت على أرضها معركة حامية بين الإمام علي عليه السلام والخوارج ، معجم البلدان : مادة النهروان .

الخطبة الخامسة عشرة

خطبة البيعة واستحقاق الولاية

بعد الانتهاء من مراسم دفن الجثمان الطاهر لأمير المؤمنين الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، أراد عبدالله بن عباس ابن عم النبي المصطفى ، والإمام علي المرتضى ، أنْ يخبر أهل الكوفة بشهادة أمير المؤمنين فخرج اليهم رافعًا صوته الجهوري قائلًا (١) : (إنَّ امير المؤمنين (عليه السلام) تُوفيَ ، وقد ترك خلفًا فإنْ أحببتم خرج اليكم ، وإنْ كرهتم فلا أحد على أحدٍ ، فبكى الناس ، فقالوا بل يخرجُ إلينا .

عند ذاك خرج الامام الحَسن المُجتبى (عليه السلام) ، واعتلى المنبر، مُبتدَأ خطبته الشريفة بالبسملة ، ثم حمد الله سبحانه وتعالى ، وأثنى عليه ، وصلى على جده محمد المبعوث رحمة للعالمين وخطب الناس قائلًا (٢) :

(من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني ، فأنا الحَسن بن علي ، أنا ابن البشير ، أنا ابن النذير ، انا ابن الداعي الى الله بإذنه ، أنا ابن السراج المنير ، أنا من أهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجسَ وطهرهم تطهيرًا ، أنا من أهل بيتٍ افترضَ الله مودتهم في كتابه ، فقال تعالى (٣) : { قل لا أسئلكم عليه اجرًا الا المودةَ في القُربى ۞ ومن يقترف حسنةً نُزدْ له فيها حُسناً } ، فاقترافُ الحسنةُ هي مودتنا أهل البيت) .

أيها الناس (٤) : (إنَّ الدُّنيا دارُ بلاءٍ وفتنةٍ ، وكلُّ ما فيها فإلى زوالٍ واضمحلالٍ ، وقد نبأنا الله عنها كيما نعتبر ، فقدم الينا بالوعيد ، كيْ لا يكون لنا حجةٌ بعد الإنذار ، فازهدوا فيما يُغني ، وارغبوا فيما يبقي ، وخافوا الله في السرّ والعلانية ، إنَّ عليًا عليه السلام ، في المحيا والممات والمبعث ، عاش بقدرٍ ومات بأجلٍ ، وإنّي أبايعكُم على أنْ تسالموا من سالمت ، وتحاربُوا من حاربت) .

في المقطع الأول من هذه الخطبة الشريفة ، لم يقصد الإمام الحَسن عليه السلام بقوله (من عرفني فقد عرفني) المعرفة الشخصية النسبية ، فهو أشهرُ من علمٍ في رأسهِ نارُ ، لكنَّهُ أراد المكانة الدينية له التي منحها الله

له وبؤهُ فيها ، وأكدها جده رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) ، من خلال قوله الأئمة من بعدي اثنا عشر إمامًا ، والحَسن المجتبى ، هو الإمام الثاني من بعد أبيه أمير المؤمنين عليٌ (عليه السلام) ، فهو الإمام السبط الأول وثاني الأئمة المعصومين ، فيما أراد بقوله (ومن لم يعرفني ، فأنا الحسن بن علي) ردًا على كلِّ من جحدهُ وأنكر حقّهُ وإمامته ، فهو يعرفه بنفسه ، إن لم تعرفني سابقًا ، أو لم تسمع بي فأنا الحَسن بن علي ، أبي كان سيفاً من سيوف الله ورسوله ، وأنا ابنه بالنسب ، ووريثه بالإمامة ، كما أمر الله بذلك ، ونصَّ عليه رسول الله ، فأني أنا الإمامُ من بعده ، ثم ربط نسبه بجده رسوله الله ، ليقوم بدوره المكلف به شرعًا ، وهو مواصلة السير على خطى جده وأبيه ، وترسيخ مبادئ الدين الإسلامي من خلال قوله (أنا ابن البشير) والبشير هو جده رسول الله ، الذي بشر أمته بالخير الوفير ، وجنةً عرضها السموات والأرض ، شريطةَ أنْ يكونوا مُوحدين الله ، يعبدونهُ وحده ولا يشركوا به شيئًا ، يعبدوه مخلصين له الدين ، وأنْ تأمروا بالمعروف ، وتنهَوْنَ عن المنكر ، وتجاهدوا في سبيل الله ، والبشارةُ هي الجنة ، ثم قال: (انا ابن النذير) والنذير هو جده رسول الله ، والنذير في كلِّ معانيها وفحواها، هي بخلاف البشير تمامًا ، أراد إذا لم يستمع المرءُ الى ما جاء به رسول الله من الحقِّ من عند ربه ، فلا يلومنَّ إلا نفسه ، فالذين يصرون على الكفر والشرك والنفاق ، ويعيثون في أرض فسادًا ، والتي أمر الله بإصلاحها، سيؤول مصيرهم الى نار جهنم يصلوها مذمومين مدحورين خالدين فيها ، ولاحظ هنا أنَّ الإمام الحَسن عليه السلام قدم البشير على النذير ، وهذا يعني أنَّ الخيرَ هو السابقُ على الشرِّ ، والخيرُ هو من عند الله ، وأما الشر فهو اللاحق ، وهو من عند أنفسكم ، لأنَّكم لم تتبعوا الرسول ولم تأتمروا بما أراده الله سبحانه وتعالى ، وعند النظر الى كلمتي (البشير ، النذير) نجد أنَّ الإمام الحَسن عليه السلام قد استوحى معناهما القريب والبعيد من قوله تعالى (٥) : { إنا أرسلناك بالحقِّ بشيراً ونذيراً } ، ومن قوله تعالى (٦) : { وما أرسلناكَ إلا مبشراً ونذيراً } ، ولا عجب من هذا الايحاء فالحَسن (عليه السلام) ، هو ربيبُ القرآن وعدله وهو القرآن الناطق ، وأما قوله (انا ابن الداعي الى الله بإذنه) ، فهو يعني أنَّهُ أنا ابن النبي مُحمّدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم) المبعوثُ رحمةً الى الناس كافة ، ليخرجهم من الظلمات الى النور بأمرٍ من الله سبحانه

وتعالى (٧) : { يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا ۞ داعيًا الى الله بإذنهِ وسراجًا منيرًا } ، فجده رسول الله هو النبيُ المرسل للناس كافة ، يبشرهم بما عند الله للمؤمنين الذين أطاعوا الله وسوله ، وأقاموا الصلاة ، وأدوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، وجاهدوا في الله حقَّ جهاده ، فلهم البُشرى من الله جناتٌ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وأما من تولى وعصى وكذب الرسول ، بما جاء به من عند الله ، فهو عاصٍ كافرٌ مشركٌ ، له عذابٌ يخزيه ومأواه نارَ جهنمَ يصلاها مذمومًا مخذولًا ، وانَّ النبيَ مُحمّدًا (عليه الصلاة والسلام) ، هو الشاهد على الطرفين يوم يقوم الحساب ، وذلك بعد أنْ دعاهم الى سبيل الرشاد ، بأمرٍ من الله سبحانه وتعالى، فمنهم من آمن واتبع الرسول واستمسك بالعروة الوثقى ، وهي الإسلام فقد نجا ، ومن غوى وعصى ما أمرَ به ، وحارب الرسول فلا يلومنَّ إلا نفسه ، فالمصيرُ الأسود ينتظره ، وأما قوله (أنا ابن السراج المنير) فالنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هو النور المبارك الذي يضيءُ للناس سُبل الهداية والرشاد ، فمن كان مؤمناً ، فهو يقتبس من نور النبوة ما يصلُ الى به الى مرضاة الله ، ليحصل على المكافأة التي وعد الله بها المؤمنين، وهي الجنة ، فالسراج المنير مقتبسٌ معناهُ من قوله تعالى (٨) : { وداعيًا الى الله بإذنه وسراجًا منيرًا } ، والسراج المنير الذي أرسله الله هو سبيلُ الهُدى للناس كافة ، وهو جده رسول الله (عليه الصلاة والسلام) ، والدعوة الى الصراط المستقيم من خلال السراج المنير ، هي بأمر من الله ، والرسول الكريم هو المُبشر النذير ، وأنا ابنه الذي سأسير على هداه ونهجه وخطاهُ ، كما سار أبي علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وختم أقواله التي كان يقول فيها : أنا وانا وأنا بقوله (أنا من أهلِ بيتِ فرضَ اللهُ مودتهم في كتابه ، فقال تعالى(٩): { قل لا أسئلكم عليهِ اجرًا الا المودةَ في القربى ۞ ومن يقترفْ حسنةً نُزدْ له فيها حسنًا } ، فاقتراف الحسنةِ هو مودتنا أهل البيت) ؛ يقول الإمام الحَسن عليه السلام إنَّ لكلِّ عملٍ أجرٌ يتقاضاهُ العاملُ لقاءَ ما قام به من عملٍ، وهو حقٌّ مشروعٌ له ، ورسول اللهُ مُحمّد (صلى الله عليه وعلى وآله وسلم)، عَمَلَ ما عَمَلَ من أجل الإسلام والمسلمين ، وتعرض إلى أنواعِ المتاعبِ والأذى ، حتى سالتْ دماءَهُ الطاهرة ، وكُسِرَتْ رباعيتهُ الشريفة فقال (١٠) : (ما أوذيَ نبيٌ مثلما أوذيت) ، فالنبي له حقٌ

في أعناق المسلمين كافة ، وله الحق في أنْ يطلب منهم أجرًا بعد أنْ أخرجهم من الظلمات الى النور ، وقادهم الى طريق الهُدى والصلاح ، ووحدهم بعد فرقة ، بعد أنْ كانَ القويُ منهم يأكلُ الضعيفَ ، ولكنَّ الرسول لم يطلب منهم أجرًا ماديًا مقابل ذلك ، فعمله هو في سبيل الله ، بل أراد منهم أجرًا معنويًا ، يتمثل في أنْ يبرُوا أهل بيته ، ويحبونهم ويوقرونهم ، ولا يظلمونهم، وعملهم هذا عند الله يُعدُ حسنة، تُسجلُ في ميزان حسناتهم ، وقد يدخلون الجنة بموجب هذه الحسنة ، وهي مودةِ أهلَ البيتِ (عليهم السلام) ، إنْ طبقت على شرطِها وشروطِها .

نلاحظ هنا أنَّ الإمام الحسن عليه السلام كرر كلمة (أنا) ثمان مرات، والمعروف بالعربية أنَّ التكرار ، هو لتوكيد ما يقال ، فأنا الحَسن قويةٌ في حجتها ، لأنَّها متصلة ومرتبطة برسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بالنسب والعلم ، وهذه الأنا ما هي إلا البُشرى والإنذار ، اللذين نزل بهما القرآن الكريم ، مع الأمر بمودة أهلَ بيتِ النبي في قوله تعالى (١١) : { قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة بالقربى } ، والمقطع من هذه الخطبة بصورة عامة يشير الى التعريف بشخصية الإمام الحَسن ، وإمامته للمسلمين ، واستحقاقه لخلافةَ رسول الله من بعد أبيه ، لمن لا يعرفه حقَّ المعرفة ، وأنَّ الإمام الحَسن عليه السلام ، هو من أهل بيتٍ طهرَهُ الله من الأرجاسِ والأدناسِ، فضلًا عن توجيه القرآن الكريم بالولاء لهم ، ومودتهم من دون غيرهم .

أما المقطع الثاني من الخطبة فهو يُمثل انتقال الإمام الحَسن عليه السلام من التعريف بنفسه وحقّهِ في إمامة المسلمين في المقطع الأول ، الى وعظ الناس ، وايقاظهم من الغفلة التي يعيشون فيها ، والغفلة هي إحدى فروع الضَّلال والمعصية ، فقام بتنبيههم الى ما هم فيه وما سيؤول اليه مصير الغافل من سوء العاقبة ، فقال : (إنَّ الدُّنيا دارَ بلاءٍ وفتنةٍ) ، الدُّنيا دنية عُمرها قصيرٌ ، وعيشها اختبارٌ وامتحانٌ عسيرٌ يتعرض فيه الإنسان الى شتى أنواع المصائب والهموم فضلًا عما يلاقيه فيها من عيشٍ رغيدٍ ، لذلك وجدنا الدُّنيا هي أمُّ المتضادات ، وبالمجمل نقول أنَّها تتكون من ضدين : الخير والشر وعلى الانسان المسلم أنْ يعرف أين يضع موطئ قدمه ، والبلاء

هو الشرُّ بالتأكيد للدلالته الواضحة المباشرة ، فقال سبحانه وتعالى (١٢) : {وقطعناهم في الأرضِ أُممًا منهمُ الصالحونَ ومنهم من دونِ ذلكَ ، وبلوناهم بالحسناتِ والسيئاتِ لعلّهم يرجعون } ، لاحظ الآية الكريمة قالت (قطعناهم) بمعنى جزأناهم الى عدة أقسام ، ومن المعاني المستوحاة من التقطيع هو التباعد ، وقال تعالى يصف هذه الأجزاء المقطعة بأنَّ منهم المؤمنون ، وكنى عنهم بالصالحين ، ومنهم دون ذلك وهم السيئون ، ثم كان الاختبار والامتحان بقوله تعالى (وبلوناهم) والبلاءُ هو بالعرف العام الشدة العصيبة ، فهل هم قادرون على تحمل المصاعبَ والصبرَ عليها ، أم أنهم سيضعفون أمام المواقف ، والشقُّ الأول من الاختبار هو الحسنات ، وهي تعني نعم الله التي أنعم بها على الإنسان ، وهي لا تُعدُ ولا تحصى ، فقال سبحانه وتعالى (١٣): {وإنْ تعدُوا نعمةَ الله لا تحصوها} ، أي أنَّ الله سبحانه وتعالى أعطى الانسان من الخيراتِ ما يعجز عن عدّه وحسابه ، فالحسناتُ التي انعم الله عليه بها بحاجة الى الشكر لكي تدوم النعم ، فهل كان الأنسان عبدًا شكورًا ، لينال رضا الله وينجح في الاختبار ، ويحصل على المكافاة المتمثلة بالجنة ، وأما الشقُّ الثاني من الاختبار فهو السيئات ، وهي المصاعبَ والمتاعبَ والمحنَ التي يتعرض لها الإنسان في الحياة الدُّنيا ، ومنها الكوارث الطبيعية مثل الفيضانات والأوبئة والحروب والظلم والفقر ، وغيرها مما يتعرض له الإنسان في حياته اليومية ، فهل هو صابرٌ على حكم الله أملًا أنْ يكشف عنه السوءَ والبلاءَ ، أم ضعيفٌ في الامتحان ، وليس القدرةُ على التحمل ، فانزلق الى العصيانِ متمردًا ، فانهارتْ به أعماله في نار جهنم ، ونلحظ هنا رحمة الله التي وسعت كل شيء ، فقد جعل الخيرُ مطلقًا لا حدود له ، فيما كان الشرُّ مقيدًا بعددٍ محدودٍ ، وأما قوله : (وكل ما فيها فإلى زوالٍ واضمحلالٍ) ، أراد الإمام الحَسن (عليه السلام) أنَّ دار الدُّنيا لا أمانَ لها ، فهي لا تستقرُ على حالٍ ، فكلُّ ما فيها وما عليها يؤولُ مصيره الى الاضمحلالٍ ، ومن ثم الزوال ، وذلك يعني أنَّ كل شيءٍ لا يبقى حاله ، والسعيد من استغل قوته وادخرها لأيام ضعفه من التزام طاعة الله ورسوله وأولي الأمر من الأئمة ، فما كان بيدك اليوم فغداً هو بيد غيرك ، والأيامُ دُولٌ ، وصدق أمير المؤمنين عليه السلام حين قال (١٤) : (الدهرُ يومان : يومٌ لك ، ويومٌ عليك ، فإنْ كان لك فلا تبطرْ ، وإن كان عليك فاصبرْ) ، وهذا الميزانُ هو من أروع ما

قرأت، (وقد نبأنا الله عنها كيما نعتبر) ، قال الإمام الحَسن لكي لا يكون الانسان أعمى عما يدورُ حوله ، فلفت نظره الله اليه ، وذلك عن طريق الأنبياء والرسل والكتب السماوية ، ليسقط الله حجج المشركين والمنافقين والكفار في اليوم القيامة ، عندما فيعتذروا ، ولا يقبل الله معذرتهم ، وهم ليسوا مستعتبين، وما دام الله قد أخبرك بحال الدُّنيا ، فلا تغترْ بها ، فتكون من الخاسرين ، وعند ذاك لا ينفعُ الندم وعضُّ الأصابعَ ، فقد قال الذين من قبلكم لما رأوا العذاب ، فقال تعالى على لسان حالهم (١٥) : { وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا نعملْ صالحًا غير الذي كنا نعملْ } ، هيهاتَ ثم هيهاتَ العودة من الدار الآخرة الى الدار الدنيا ، ولو أعادهم الله بقدرته فلا يعملوا غير الذي كانوا يعملون ، وقوله عليه السلام (نعتبر) أي نأخذ العبرة والدرس من الأمم الخالية التي سبقتنا ؛ فنتجنب الأعمال السيئة التي نهاهم الله عن القيام بها ؛ فقاموا بها ولم يلتفوا الى ما قالته لهم رسلهم من سوء عاقبة أعمالهم التي يرتكبونها ؛ فأهلك الله تلك الأمم بشتى أنواع العذاب في الدُّنيا ، وفي الآخرة مصيرهم الى النار ، منهم من أهلك بالصيحةِ والصاعقةِ والريحِ الصرصرِ ومنهم من قلب الأرض عليه ، وجعل عاليها سافلها ، ومنهم من أغرقه الله في الطوفان أو النيل ، ألا تعظوا من أخبارِ الأمم التي سبقتكم ، والتي ذكرها القرآن الكريم ، فطيعُوا الله ورسوله وأُولي الأمر من الأئمة ، ثم قال الإمام الحَسن (عليه السلام) : (فقدم الينا بالوعيدِ ، كي لا يكون لنا حجةٌ بعد الإنذار)، أي أنَّ الله سبحانه لم يتركْ الأنسان حائرا بلا توجيه ولا دليل ، ولا يعرف كيف يتصرف فقال عزَّ من قائل (١٦) : { أيحسبُ الإنسانُ أنْ يُتركَ سُدىً } حاشا لله أنْ يترك عباده في حيرة من أمرهم ، فقد أرشد الإنسان الى الطريق الصحيح من خلال بعث الأنبياء والرُّسل والكتب السماوية اليهم ، وحذرهم من سوء عاقبة أعمال السوء ، وأنَّ عقابها أليمٌ شديدٌ ، وهذا التحذير وكما يؤكد الإمام الحَسن (عليه السلام) ، من باب اسقاط حجة الخصوم عند الاعتذار والندم ، وساعة لا ينفع الندم ، وعض الأنامل ، (فازهدوا فيما يغني ، وارغبوا فيما يبقي) ، الزهدُ هو الاكتفاء بما يكفي لديمومة الحياة واستمراريتها ، وأما ما دل عليه الفعل (يغني) ، فهو يدلك على الاستغناء عن غير الله سبحانه وتعالى ، والابتعاد عمن سواه ، هذه دلالة الشطر الأول ، اما دلالة الشطر الثاني ، فهي تعني التمسك بما ينجي ويبقي،

والشطران الأول والثاني هما من الفنون البلاغية المسماة بالمقابلة ، شيءٌ مقابلُ شيءٍ ، الإمام الحَسن (عليه السلام) يقول : على المؤمن أنْ يكون مقتنعًا بما يرزقه الله ، وهذا ما أكده رسول الله مُحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) في قوله (١٧) : (القناعةُ كنزٌ لا يفنى) ، القناعةُ تمدُ صاحبها بالإيمان القوي ، لأنَّ الأرزاقَ لا تخضع لمقاييس محددة ، ولعلَّ أجمل ما قيل في القناعة شعرًا هو قول الشافعي رحمه الله (١٨) :

رأيتُ القناعةَ رأسُ الغنى فصرتُ بأذيالِها مُمْتَسِكُ

فلا ذا يراني على بابِـــه ولا ذا يراني منهمـــــكُ

فصرتُ غنيًّا بلا دِرْهــمٍ أمرُ على الناسِ شِبْهَ المـلكُ

ونلحظ أنَّ الشافعي قد قال : ممتسك ولم يقل متمسك ؛ وذلك لكي يستقيم له الوزن ولا تنكسر موسيقى الشعر .

وأما قوله (وخافوا الله في السر والعلانية) ، الخوف من الله ، هو الخوفُ الأكبر ، فلا مفرَّ منهُ إلا الى اللجوء إليه ، فاللهُ سبحانه يعلم ما تخفي النفوس، ولو كان ذلك نيةً بلا عمل ، فعلى المؤمن ألاّ يأمن مكرَ الله ، فقد قال الله سبحانه وتعالى (١٩) : { أ فأمنوا مكرَ اللهِ فلا يأمنُ مكرَ اللهِ إلا القومُ الخاسرون} ، وعلى المؤمن أنْ يكون حذرًا في تصرفاته كافة ، مطيعًا لله في أوامره ، ملتزماً بنواهيه ، وهذا المعنى اقتبسه الإمام الحَسن (عليه السلام) من قوله تعالى (٢٠) : { أوَ لا يعلمونَ أنَّ اللهَ يعلمُ ما يسرونَ ويعلنونَ } ، فالله سبحانه وتعالى يعلم كل ما نسره وما نخفيه في أنفسنا ، وقوله : (إنَّ علياً (عليه السلام) ، في المحيا والممات والمبعث عاش بقدرٍ ومات بأجلٍ) ، ذلك أنَّ الله سبحانه وتعالى هو من يقدر أعمار الناس ، فيجعل لها بدايةً تتمثل بالولادة ، ونهايةً تتمثل بالموت ، ومن بعد الموتِ يبعثهُ حيًا ، ليقف في ساحةِ المحشر للحساب ، والأمر كلّه لله وحده ، وختم خطبته بقوله : (وإنّي أبايعكم على أنْ تسالموا من سالمت ، وتحاربوا من حاربت) ، الإمام الحَسن خاطب كلَّ من بايعَهُ بالخلافة على أنْ يكون مطيعًا لولي أمره بالحقِّ ، ولا يخالف أمره في السلم والحرب ، يسالمون من سالم ، ويحاربون معه كلَّ من خرج عن الدين الحقّ ، وإلا فهو في حلٍّ من بيعتهم .

الهوامش :

١- موسوعة عبدالله بن عباس : ٤ / ٣٣٣ ، وينظر أنساب الأشراف : ٣ / ٢٨

٢- المستدرك على الصحيحين : ٣ / ١٧٢

٣- سورة الشورى ، الآية : ٣٣

٤- مقاتل الطالبيين : ٣٢- ٣٣ ؛ كشف الغمة : ١ / ٥٠٥

٥- سورة فاطر ، الآية : ٣٤

٦- سورة الإسراء ، الآية : ١٠٥

٧- سورة الأحزاب ، الآيتان : ٤٥ - ٤٦

٨- سورة الأحزاب الآية : ٤٦

٩- سورة الشورى ، الآية : ٢٣

١٠- كنز العمال : ٣ / ١٣٠

١١- سورة الشورى ، الآية : ٢٣

١٢- سورة الأعراف ، الآية : ١٦٨

١٣- سورة النحل ؛ الآية : ١٨

١٤- الارشاد : ١ / ٣٠٠

١٥- سورة فاطر ، الآية : ٣٧

١٦- سورة القيامة ، الآية ٣٦

١٧- ارشاد القلوب : ١١٨ ؛ كتاب الخير والبركة في الكتاب والسنة : ٢١٢

١٨- ديوان الشافعي : ١٠٢

١٩- سورة الأعراف ؛ الآية : ٩٩

٢٠- سورة البقرة ؛ الآية : ٧٧

الخطبة السادسة عشرة

بعد أنْ بايعه المسلمون خليفة خلفاً لأبيه الإمام علي

جاءت هذه الخطبة بعد شهادة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وبعد الانتهاء من مراسيم العزاء ، إذ كان لابدَّ للمسلمين من خليفةٍ ، وإمامٍ للناس ، فاتفقت كلمتهم على مبايعة الإمام الحَسن بالخلافة ، وبعد أنْ تمت بيعته بالخلافة ، ارتقى منبر مسجد الكوفة ، وخطب في الناس خطبةً قصيرةً، ولكنَّها كبيرةً في معناها فقال (١) :

(أيّها الناي إنَّ الدُّنيا دارُ بلاءٍ وفتنةٍ ، وكلُّ ما فيها آيلٍ (٢) الى زوالٍ واضمحلالٍ ، وقد نبأنا اللهُ لكيْ نَعْتَبِرَهُ (٣) ، وتقدمَ الينا بالوعيدِ (٤) ؛ لكيْ نزدجرْ فلا يكون لنا عليهِ حجةً (٥) بعدَ الاعتذارِ والانكارِ، فازهدوا فيما يكفي(٦) ، وارغبوا فيما يبقي (٧) ، وخافوا اللهَ في السرّ والعلانيةِ ، ألا وقدْ علمتمْ أنَّ أميرَ المؤمنينَ عليًا رحمهُ الله حيًا وميتًا ، عاشَ بقدرٍ ، وماتَ بأجلٍ، وأنّي وإياكم على أنْ تحاربوا من حاربتُ ، وتسالموا من سالمتُ).

تحليل الخطبة :

هذه الخطبة قصيرة ، من غير استهلال ، ربَّما أسقط الرواة مقدمتها ، مكتفين بغرضِها ومضمونِها ، وهي خطبةٌ وعظيةٌ ، غرضُها توجيه القلوب الى الله ، وهداية المسلمين الى طريق الصواب الذي يبعدُهم عن طريقِ الضلال ، ولله سبحانه وتعالى فيه رضاً ؛ فقال لهم إنَّ دارَ الدُّنيا دارُ عملٍ وامتحانٍ ، وهي فتنةٌ في كلِّ شيءٍ بالمال والولد ، والدُّنيا مزرعة الآخرة ، يزرعُ فيها المرءُ الأعمال الحسنة في طاعة الله ورسوله ؛ لتكون له رصيدًا في الآخرة في يوم الحساب ، وإنَّ عمرَها قصيرٌ ، وبالمحصلة النهائية كلّ ما فيها سينقضي ويزول ، ويختفي من الوجود ، ويصبحُ أثرًا بعد عين ، وقد نبهنا الله الى هذه النهاية ، وأنذرنا من سوءِ العاقبةِ من خلالِ الوعيد والتهديد، وعلى الانسان أنْ يخشى ربه ، ويخاف عقابه ، لأنَّ المُنْذَرَ لا عذرَ له في الحساب ، هذا من جانبٍ ومن جانبٍ ، علينا أنْ نردعَ نفوسِنا من عملِ الموبقاتِ من شرٍّ وفسادٍ ، لكي نتجنبُ العقابَ ، ونحصلُ على الثوابِ ، وعلى

المسلم المؤمن أنْ يتقي الله ، ويخافه في السرّ والعلن وفي الليلِ والنهار ، وقد علمتم إنَّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) عاش بعمرٍ حدده الله له ، ومات بأجلٍ محدد له ، وعمر الإنسان مُقدرٌ من الله ، له بداية وله نهاية ، لا يعلمهما إلا الله ، ومن بعدهِ أصبحتُ أميرَكم تحاربون وتقاتلون من أحارب واقاتل ، وتسالمون من أسالم ، وذلك طاعة لولي أمركم.

ونلحظ في الخطبة كأنَّها رواية ثانية للخطبة السابقة ، وذلك لتكرار الكثير من الفاظها ومعانيها لذا ألفت نظركم الى ذلك .

الهوامش :

١- بحار الانوار : ٤٤ / ٥٤ ، الفتوح : ٤ / ٢٨٣

٢- آيل الى زوال : متجه الى الاختفاء

٣- نعتبه : نتنبه

٤- الوعيد : التهديد

٥- نزدجر : نرتدع ونخاف

٦- الزهد : الاكتفاء بالقليل بما يؤمن الحاجة

٧- ارغبوا : اتركوا مالا تحتاجونه

الخطبة السابعة عشرة

خطبة خطبها في أيام خلافته

ارتقى الإمام الحَسن (عليه السلام) المنبر ليُلِمَ شملَ المسلمين ويوحد كلمتهم ، ويرشدهم الى الله ودينه الحقّ ، ويجنبهم الانزلاق في مُغرياتِ الشيطان وغوايته ، وهو عدوٌ لهم من خلال الإشارة الى نفسه من أنَّهُ من البيتِ الذي أذهبَ اللهُ عنه الرجسَ ، وأنَّ هذا البيتَ ، هو الثقل الثاني الذي أوصى رسول الله محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) بالتمسك بهما في حديث الثقلين فقال (١) :

(نحنُ حزبُ اللهِ الغالبون ، وعترةُ رسولهِ الأقربون (٢) ، وأهلُ بيتهِ الطيبون الطاهرون (٣) ، وأحدُ الثقلين (٤) اللذين خلفهما رسول الله في أمتهِ، والثاني كتاب الله ، فيه تفصيلٌ لكلِّ شيءٍ ، لا يأتيهِ الباطلُ من بين يديه ، ولا من خلفه (٥) ، والمُعول علينا في تفسيره ؛ نتنظى (٦) تأويله ، بل نتيقنُ حقائقه؛ فأطيعونا ، فإنَّ طاعتنا مفروضةً ، إذا كانت بطاعةِ الله عزَّ وجلَّ ورسولهِ مقرونةً ، قال الله عزَّ وجلَّ (٧) : { يا أيُّها الذينَ آمنوا أطيعوا اللهَ ، وأطيعوا رسولَهُ وأولي الأمرِ منكُم ، فإنْ تنازعتم في شيءٍ فردُوه الى اللهِ والرسول ، ولو ردُوه الى الرسول ، والى أولي الأمرِ منهم ، لعلمَهُ اللذين يستنبطونه منهم } .

وأحذركم الاصغاء لهتافِ الشيطانِ ، فإنَّهُ لكم عدوٌ مبينٌ ، فتكونوا من أوليائه الذين قال لهم (٨) : { لا غالبَ لكم اليومَ من الناسِ ، وأنّي جارٌ لكُم ، فلما تراءَتْ (٩) الفئتانِ ، نكصَ على عقبيهِ (١٠) ، وقال إنّي بريءٌ منكُم ، أنّي أرى ما لا ترون } ، فتُلْقوَنَ الى الرماحِ وزرًا ؛ والى السيوفِ لتكونوا جَزَرًا لها ، وللعمدِ حطامًا ، وللسهامِ غرضًا ، ثم لا ينفعُ نفسًا أيمانَها ، ما لم تكنْ آمنتْ من قبل ، أو كسبتْ في إيمانها خيرًا (١١)) .

تحليل الخطبة :

عمل الاعلام الاموي بكلِّ قواهُ على تضليلِ المسلمين ، وابعاد أهل بيت النبي عن واجهة المسلمين ، ليكونوا بعيدين عن الناس من خلال تغييبهم و

طمسِ مآثرهم ، وعدم تداول أخبارهم ، ونشر الأحاديث الموضوعة على رسول الله ، وتحريف التفسير من خلال التلاعب بأسباب النزول ، فضلًا عن تلميعِ صورةِ معاوية بن أبي سفيان لتكونَ مقبولة في عيون المسلمين ، ولاسيما أهل الشامِ والفتوحاتِ ، وعدم تعريف الناس بحقيقة بني أمية ، ومعاوية على وجه التحديد ، فقد قال رسول الله مُحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) (١٢) : (إنَّ الخلافة وإمارة المسلمين محرمةٌ على الطلقاء وأبناء الطلقاء) ، وأما معاوية فقد قال عنه رسول الله مُحمّدٍ عليه الصلاة (١٣) : (إذا رأيتُمْ معاويةَ على منبري فاقتلوهُ) ؛ وقال مرة أخرى (١٤) : (إذا رأيتُمْ معاويةَ بن أبي سفيان على المنبر فاضربُوا عنقَهُ) ، أيّ أنَّ النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أهدرَ دمَهُ إذا ارتقى منبر رسول الله ، وبسبب التعتيم الاعلامي الذي مارسه الأمويون على أهل البيت ، تسلل معاوية في غفلة من المسلمين ، ووصل الى منبر رسول الله ، وأخذ ينازعُ الإمام علي بن أبي طالب على خلافةِ المسلمين ، وكان على المسلمين أنْ يقتلوه بدَل من أنْ يصطفوا خلفه ، وكان الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، قد عرّفَ المسلمين بمعاوية بن أبي سفيان وقال (١٥) : (معاويةُ طليقٌ بن طليقٍ ، حزبٌ من هذه الأحزابِ ، لم يزل لله عزَّ وجلَّ ولرسوله وللمسلمين عدوًا ، هو وأبوه حتى دخلا في الإسلام كارهينَ ، وليسَ إيمانًا وتطوعًا ، الخلافةُ محرمةٌ على آل أبي سفيان الطلقاء وأبناءِ الطلقاءِ) ، ولابدَّ من الإشارة الى قول عمر بن الخطاب الى أصحابِ الشورى في الطلقاءِ (١٦) : (إنَّ هذا الأمر لا يصلحُ للطلقاءِ ولا لأبناءِ الطلقاءِ) ، وهذه شهادةُ رجلٍ من أهلها ، فمعاوية لا يحلُّ له إمامةَ المسلمين ، وخلافةَ رسول الله ، وخطبة الإمام الحَسن جاءَت ردًا على ما تقدم مؤكدًا أنَّ أهلَ بيتِ رسول الله هم أفضلُ بيوت المسلمين ، فهم البيتُ الذي طهره الله ، وأذهب عن أهله الرجس ، فقد عنى بحزب الله ، الفئة المختارة من الله ، والتي الى الله تنتمي ، ومن ينتمي الى الله حتمًا هو الغالبُ ، وقد اقتبس هذا المعنى من قوله تعالى (١٧) : { فإنَّ حِزبَ اللهِ هُمُ الغالِبُونَ } ، فضلًا عن أنَّ أهلَ هذا البيتِ ، هم المعنيون بآية التطهير (١٨) ، وهم يمثلون الثقل الثاني في حديث الثقلين (١٩) ، فهم عدلُ القرآنِ الكريم ، والقرآنُ الكريم هو كتاب الله المُنزل ، وهو دستور الإسلام ، وفيه تفصيلٌ لكلِّ ما يتعلق بالإسلام والمسلمين ، وهم القرآنُ الناطق الذي

يُفسرُ القرآن الصامت ، وهم يفسرون ما استغلقَ فهمُ معناهُ على المسلمين بالعلم والمعرفة ، لأنَّ القرآن الكريم نزلَ في بيوتهم ، فالإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول (٢٠) : (والله ما نزلت آيةٌ إلا وأعلم فيما نزلتْ ، وأينَ نزلتْ وعلى من نزلتْ ، إنَّ ربي وهبَ لي لسانًا طَلِقًا وقلبًا عَقُولًا) ، أطيعونا واستمعوا لنا ، فإنَّ طاعتنا هي من طاعةِ الله ورسوله ، لأنَّنا أولي أمرَكم (٢١) ، وطاعتنا هي طريقُ الهداية الى الله ، وحذر الإمام الحَسن المسلمين من الوقوع في شباك الشيطان ، لأنَّهُ هو عدو الانسان منذ بدءِ الخليقة ، فهو يخدعُ الناس بمعسولِ قولِهِ ، ومن بعد ذلك يتخلى عنهم بعد أنْ يسقطوا في فخ شباكه ، ليكونوا صيدًا للنار ، ووقوداً لها في الآخرةِ ، أما في الحياة الدّنيا فسيكونون طُعْمًا للسيوف ، ودريئةً للرماحِ ؛ وهدفًا للنبالِ ، وعند ذلك لا ينفع الندمُ ، وعضُّ الأناملِ .

الهوامش :

١- مروج الذهب : ٣ / ١١ ، جمهرة خطب العرب : ٢ / ١٧

٢- العِترة : هي ما يتركه المتوفي من بنين والبنات

٣- إشارة الى قوله تعالى { إنَّما يريدُ اللهُ ليذهبَ الرجسَ عنكم أهلَ البيتِ ويطهرُكُم تطهيراً } سورة الأحزاب ؛ الآية : ٣٣

٤- إشارة الى الحديث الشريف (إنّي تاركٌ فيكُم الثقلين ما أنْ تمسكتم بهما لن تضلوا : كتاب الله ؛ وعِترتي أهلَ بيتي وأنَّهما لنْ يفترقا حتى يردا عليَ الحوض) ، وسائل الشيعة للحر العاملي : ٢٧ / ٣٤

٥- إشارة الى قوله في سورة فصلت ، الآية : ٤٢

٦- نتنظى : أي لا نفسر الكلام بغيرِ علمٍ ومعرفةٍ

٧- سورة النساء ، الآية : ٩

٨- سورة الأنفال ، الآية : ٤٨

٩- تراءت الفئتان : تقابلت الفئتان

١٠- نكص على عقبيه : أيّ تراجع القهقري ، يعني ذلك أنَّهُ يتراجع الى الخلف وهو ينظر الى الأمام .

١١- إشارة الى قوله في سورة الأنعام ، الآية : ١٥٨

١٢- وقعة صفّين : ٢٩ ، تاريخ دمشق : ٥٩ / ١٢٨

١٣- تاريخ دمشق : ٥٩ / ١٥٥

١٤- أنساب الأشراف : ٥ / ١٣٠

١٥- شرح نهج البلاغة : ٢ / ٢٩٧ ، و ١٨ / ٧٣ ، مجمع الزوائد : ٧ / ٢٣٥ ، تاريخ بغداد : ١٤ / ٣٢٢ ، ينابيع المودة : ١ / ١٧٣

١٦- جواهر التاريخ : ٢ / ٩٥

١٧- سورة المائدة ؛ الآية : ٥٦

١٨- سورة الأحزاب ؛ الآية : ٣٣

١٩- وسائل الشيعة للحر العاملي : ٢٧ / ٣٤

٢٠- الطبقات الكبرى : ٢ / ٣٣٨ ، شوهد التنزيل : ١ / ٤٥ ، تاريخ دمشق : ٣٩٨/٤٢

٢١- إشارة الى الآية الكريمة (٩) من سورة النساء .

الخطبة الثامنة عشرة

مقطع من إحدى خطب الجمعة

خطبةُ الجمعة من الخطب الدينية التي جاء بها الإسلام ، وهي من الخطب الجامعة ، تُصلى في المساجد بإمامة إمامٍ ، وهي من الفروض ، يجتمعُ فيها المسلمون للصلاة وتبادل الزيارات ، ويسلم بعضُهم على بعضٍ لنشر روح الألفة والمحبة بين المسلمين ، وسماع أخبار الدولة وتوجيهاتها ، وهذه الخطبة تتكون من خطبتين الأولى دينية ، والثانية دنيوية ، أسقط الرواة الخطبة برمتها باستثناء هذا المقطع ، فارتقى الإمام الحَسن (عليه السلام) في أيام خلافة أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال (١) :

(إنَّ اللهَ لم يبعثْ نبيًا إلا اختارَ لهُ نقيبًا (٢) ، ورهطًا (٣) وبيتًا ، فوالذي بعثَ محمّدًا بالحقِّ نبيًا ، لا ينتقصُ من حقِّنا أهلَ البيتِ أحدٌ إلا نَقَّصَهُ اللهُ من عملهِ مثلهِ ، ولا تكونُ علينا دُولة (٤) ، إلا وتكونُ لنا العاقبةُ ، ولتعلمنَّ نبأهُ بعدَ حينٍ (٥)) .

تحليل المقطع من الخطبة :

الأنبياء والرسل هم الوسطاء بين الله الخالق وعباده المخلوقين ينقلون لهم تعليمات الهداية والرشاد ، ويفصلون لهم الشرائع السماوية التي يريدها الله أنْ تطبق في الأرض ، والرسائل المكلفين بها تتطلب قوةً وصبرًا على تحمل الشدائد ، وعناد أكثر الناس وإصرارهم على الشرك وعبادة الأوثان والأصنام وحتى الحيوانات ، لذلك كان الأنبياء والرُّسل يحتاجون الى من يساعدُهم في نشر رسائلهم وتوصيلها الى الناس ، وفي الوقت نفسه يكونون دعاةٌ لذلك النبي ومساندين له ، والقران الكريم أشار الى ذلك ، حينما طلب موسى عليه السلام من الله سبحانه وتعالى أنْ يجعل أخاهُ هارون وزيرًا له ، لكي يشركهُ في أمرهِ ، فقال موسى عليه السلام (٦) : { واجْعَلْ لي وزيرًا من أهلي ۞ هارون أخي ۞ أُشْدُدُ بهِ ازري ۞ واشركهُ في أمري } ، فاستجاب الله سبحانه وتعالى لطلب موسى (٧) : { قال قد أُوتيتَ سُؤْلك يا مُوسى } ، وأما وزيرُ النبي مُحمّد عليه الصلاة والسلام ـ فهو ابن عمه علي

بن أبي طالب (عليه السلام) ، فقد قال الرسول الكريم لعلي (٨) : (ألا ترضى أنْ تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنَّهُ لا نبيَ بعدي) ، ولما نزلَ قوله تعالى (٩) : {وأنذرْ عشيرتكَ الأقربون} ، فدعا النبي عليه الصلاة والسلام بني عبدالمطلب للإسلام ، وقال لهم (١٠) : (قد أمرني ربي الله تعالى أنْ أدعوكم اليه ، فأيُّكم يؤازرني على أمري هذا ، ويكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم ، فأحجمَ القومُ عنها جميعاً ، فقال عليٌ أنا ، وكنتُ أحدثهم سنًا: أنا يا نبيَ الله أكون وزيركَ عليهِ ، فأخذ برقبتي ثم قال : هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم ، فاسمعوا له واطيعوا) ، وفضلًا عن الوزير ، أنَّ الله يختارُ لنبيه المُرسل مجموعة من أهلهِ يكون مساعدين له ، وهم من الخُلَص ، فكان رهط رسول الله : عمه أبو طالب ، وهو أولهم ، وابنه جعفر بن أبي طالب، وعمه حمزة بن عبدالمطلب ، وابن عمه عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب ، وسلمان المحمدي ، وعمار بن ياسر .. ، وأما ما أراده في كلمة (بيتًا) ، فهو بما لا يقبل الشك ، بيتُ أبي طالب ، لأنَّ صاحب هذا البيت ، هو ناصره الأول شيخ بطحاء مكة ؛ عمه أبو طالب ، وولديه : عليٌ وجعفرٌ ، فضلًا عن انتماء سبطيهِ وريحانتيهِ الحَسن والحُسين الى هذا البيت ، ثم يقسم الإمام الحَسن (عليه السلام) بالله العظيم الذي أرسل جده مُحمّدًا بدين الإسلام ، إنَّ حقنا ثابتٌ أهل البيت لا يستطيع كائنَ من يكون أن ينتقص منه ، إلا انتقص الله سبحانه من أعماله وحسناته ، ولا تكون الأيامُ علينا دُولة إلا وعاقبتها الحسنة لنا أهل البيت شئتم أم أبيتم ، لأنَّ هذا هو أمر الله الذي فضلنا به على عباده ، وختم هذا المقطع من بقوله تعالى : { ولتعلمنَّ نبأهُ بعدَ حينٍ } .

الهوامش :

١- مروج الذهب : ٣ / ١١ ، كشف الغمة : ٢ / ١٦٤ ، جمهرة خطب العرب : ٤٣٠/١

٢- نقيبًا : عريفًا أي وزيرًا

٣- رهطًا : الرهط الجماعة من الرجال دون العشرة .

٤- دُولة من التداول وتبادل الأدوار

٥- إشارة الى سورة ص ، الآية : ٨٨

٦- سورة طه ، الآيات : ٢٩ - ٣٢

٧- سورة طه ، الآية : ٣٦

٨- صحيح البخاري : ٦ / ٣ ؛ ٥ / ٢٤ ، سنن الترمذي : ١٩٨١ ، المستدرك على الصحيحين : ٣/ ١٥٠ – ١٥١ ، شواهد التنزيل : ٢٢ / ١٩ ، العقد الفريد : ٢٩٦/٤ ، ينابيع المدة : ٢/ ٢٣٧

٩- سورة الشعراء ، الآية : ٢١٤

١٠- التفسير الميسر – اعراب القرآن : نت

الخطبة التاسعة عشرة

بعد تحرك جيش معاوية لحرب الحَسن

هذه الخطبة من قصار الخطب ، ينطبقُ عليها قول القائل : خير الكلام ما قلَّ ودلَّ ، ألقى الإمام الحَسن المُجتبى هذه الخطبة بعد شهرين من شهادة أمير المؤمنين مغتالًا بسيفِ الخارجي عبد الرحمن بن ملجم المرادي لعنة الله عليه ، فالجو العام الذي كان سائدًا في الكوفة كئيبًا حزينًا لفقد الإمام علي (عليه السلام) ، وكان أكثر الناس تأثرًا وألمًا ، هم أهل البيت الكرام ، ولاسيما أولاده وخاصته ، فقعد الإمام الحَسن (عليه السلام) مدة من الزمن لا يحرك ساكنًا ؛ فقد قال ابن أعثم أنّ الإمام الحَسن (١) : (أقام الحَسن بالكوفة بعد وفاة أبيه شهرين كاملين لا ينفذ الى معاوية أحدًا ؛ ولا ذكر المسير الى الشام .... وإذا بكتابِ عبدالله بن عباس قد ورد عليه من البصرة ، وفيه : لعبدالله الحَسن أمير المؤمنين من عبدالله بن عباس ، أما بعد يا ابن رسول الله ! فإنَّ المسلمين ولوكَ أمرهم بعد أبيك عليه السلام ، وقد أنكروا أمرَ قعودكَ عن معاوية ، وطلبك لحقِّكَ ، فشمّر للحربِ ، وجاهد عدوك ، ودارِ أصحابك ، وولِ أهل البيوتاتِ والشرفِ ما تريدُ من الأعمال ، فإنَّكَ تشتري بذلك قلوبهم، وأقتدِ بما جاء عن أئمة العدل من تأليف القلوبِ والإصلاحِ بين الناس ، وأعلم أنَّ الحربَ خدعةٌ ، ولك في ذلك سعةٌ ما كنت محاربًا ما لم تنتقص مسلمًا حقًا له ، وقد علمت أنَّ أباك عليًا إنَّما رغبَ الناس عنه وصاروا الى معاوية، لأنَّهُ واسى بين الناس في الفيءِ ، وسوّى بينهم في العطاء ، فثقل ذلك عليهم، وأعلم أنَّك تحارب من حارب رسول الله ..) .

أولًا أني اتحفظ على هذه الرسالة تحفظًا تامًا ؛ ففي الرسالة إساءة الى الإمام علي عليه السلام ، فضلاً قيام عبدالله بن عباس بالطلب من الإمام الحَسن أنْ يترك منهج أمير المؤمنين في معاملة الناس ، نعودُ الى عبدالله بن عباس ورسالته ، بعد أنْ قرأ الإمام الحسن عليه السلام كتاب عبدالله بن عباس (٢) ، (اضطر الى تجهيز الجيش لئلا تكون لأهل الكوفة حجةٌ عند الله تبارك تعالى ، وهو يعلم أنَّ رؤوسَ أهل الكوفة بايعوه ، ولكنهم أرسلوا المكاتيب المتواترة الى معاوية يسترضونه ، ويقرعون أبوابه ...) ، وعودة

لقراءة كتاب عبدالله بن عباس ، سنجد أنَّ عبدالله يطلب من الإمام الحسن عليه السلام ترك المنهج الذي سار عليه الإمام علي بن أبي طالب ، وترك قيم العدل ، والتوجه الى مداراة قادته واسترضائهم ، وشراء ذمم أهل البيوتات بالأموال والمناصب ، ويؤكد كتاب عبدالله فشل سياسة الامام علي في استقطاب أصحابه حوله ، وكسب ولائهم ، مما أدى الى تراجع حماسهم في الحرب ، فقد رغبوا عنه ، وتركوه ولم يرضوا به ، فهو لم يوزع الغنائم بينهم حسبما يحبون ويشتهون ، وقبل ابن عباس كان عدد من الصحابة نصحوا حسب رأيهم أمير المؤمنين الإمام علي وطلبوا منه (٣) : (أن يلتمس العدل بالجور وأن يحيي الحق بالباطل وأن يجمع الناس اليه ؛ بعد تفرقهم عنه ؛ بعد أن فرَّ كثيرٌ منهم طلبًا للدنيا ؛ فقالوا له : يا أمير المؤمنين اعطِ هذه الأموال ، وفضّل هؤلاء الاشراف من العرب وقُريش على الموالي والعجم ، واستمل من تخاف خلافه من الناس ، وفراره الى معاوية ، وانّما قالوا له ذلك ، لما كان معاوية يصنع في المال) ، فقال لهم الإمام علي عليه السلام (٤) : (أتأمروني أن اطلب النصر بالجور ، فيمن وُلّيتُ عليه ! والله لا اطور به ما سمر سمير ، وما أمَّ نجمٌ في السماء نجمًا ! ولو كان المال لي لسويت بينهم ، فكيف وإنَّما المالُ مالُ الله !) ، فلما رفض أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) عرض بعض أصحابه ، وجدنا الإمام الحسن المجتبى عليه السلام هو الآخر يرفض ما عرض عليه عبدالله بن عباس ، وما جاء في كتابه ؛ (٥) إذاً (التقارب واضح بين الاثنين / الأب وابنه ، والامتناعُ واحدٌ على الرغم من الحاجة والصعوبة التي كانا يواجهانها) ، وبعد ما تم عرضه ، زحف معاوية بن أبي سفيان بجيشه نحو العراق ، ولما بلغ جيشه جسر منبج ، وصل الخبر الى الامام الحَسن عليه السلام ، فتحرك لذلك ، وأرسل حُجر بن عدي الكندي ، يأمر الناس والعمال بالتهيؤ والمسير، ونادى المنادي : الصلاة جامعة ، فأقبل الناس ، ولما اجتمعوا ، صعد الإمام الحَسن المنبر (٦) :

(فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد : فإنَّ اللهَ كتبَ الجهادَ على خلقهِ ، وسمّاهُ كُرهاً (٧) ، ثم قال : لأهلِ الجهادِ من المؤمنين (٨) : {اصبروا أنَّ اللهَ مع الصابرين} ، فلستم أيُّها الناس نائلين ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون ، إنَّهُ بلغني أنَّ معاوية بلغه أنا كنّا أزمعنا على المسير إليه ، فتحرك

لذلك ، اخرجوا رحمَكُم الله الى معسكركم بالنُخيلة ، حتى ننظرْ وتنظروا (٩)، ونرى وتروا (١٠) .) .

بعد انتهاء الامام الحَسن (عليه السلام) من إلقاء خطبته الشريفة ، قرأ في وجوه الناس نوعًا من التخاذل والتباطؤ عن الاستجابة لندائه وخطابه ، فسكتوا جميعًا ، ولم ينطقوا بكلمة واحدة بالموافقة ، وهذا التثاقل والتخاذل قرأهُ أيضاً الصحابي الجليل عَدي بن حاتِم الطائي الذي كان مذهولًا مما يرى من هذا موقف ضعيف ومتخاذل ، فقام ووقف في وسطهم فقال : أنا عَدي بن حاتِم - سبحانَ اللهِ - ما أقبحُ هذا المقام (١١) : (ألا تجيبونَ إمامَكم ؟ وابن بنتِ نبيَكم ؟ أينَ خطباءُ مُضر ، أين المسلمونَ ؟ أينَ الخواضونَ من أهل المِصْرَ الذينَ ألسنتُهم كالمخاريقِ في الدّعة ؟ فإذا جدَّ الجدُّ فروّاغون كالثعالب ، أما تخافونَ مقتَ اللهِ ، ولا عيبَها وعارَها) ، ثُمَ استدار ووجه وجهه الى الإمام الحَسن (عليه السلام) فقال (١٢) : (أصابَ اللهُ بكَ المراشدَ، وجنبكَ المكارهَ ، ووفقكَ لما يُحْمَدُ وُردهُ وصدرهُ ، وقد سمعنا مقالتكَ ، وانتهينا إلى أمركَ ، وسمعنا لكَ ، وأطعناكَ فيما قلتَ ورأيتَ ، وقال : هذا وجهي الى معسكرنا ، فمن أحب أنْ يوافي فليوافِ) ، ثم خرج من المسجد (١٣) : (ودابته بالباب فركبها ومضى الى النُخيلة ، وأمر غلامه أنْ يلحقه بما يصلحه، وكان المثل الأول للمجاهد المطيع ، وهو إذ ذاك أولُ الناسِ عسكرًا)، فالتحق به الف مقاتلٍ من قبيلةِ طيّءٍ لا يعصون له أمرًا (١٤) .

عودة الى خطبة الإمام الحَسن (عليه السلام) ، فقد أكد الإمام أنَّ الله سبحانه وتعالى فرض الجهادَ في سبيله ، لدفع المخاطر عن الإسلام والمسلمين ، والجهادُ يتطلب القتال بالسيف والرمح والنبال ، وهذا يعني أنَّ هناك سيكون قتلى وجرحى وأسرى ، وهذا ما يكرهه الناس ، ولكنه فرضٌ من الله عليهم ، ليدفعوا الشرَّ عن دينهم وبلادهم وأنفسهم وأبنائهم ، فإن لم يقاتلوا ، أي لم يجاهدوا سيحتلُ العدو أرضهم ، ويقتل رجالهم ، ويسبي نساءهم وأبناهم ، وسلبُ أموالهم ، فالذي يُقتلُ في سبيلِ الله يعدُ شهيدًا ، وله من الله أجرٌ عظيمٌ ، يدخله الجنة مع الأنبياء والصالحين ، فالإمام الحَسن (عليه السلام) أشار لهم أنَّ معاوية قادمٌ لقتل رجالكم وسبي نساءكم وسلب أموالكم ، فماذا ستفعلون ، هل أنتم مستعدون للجهادِ وحربِ معاوية ، وإفشال

مخططه باحتلال الكوفة ، وإذلال أهلها ، وذكرهم بقوله تعالى : { كتب عليكم القتال وهو كرهٌ لكم } ، ثُـمَ حثَّهم على الصبر على ما يكرهون ، لحماية دينهم وبلادهم وعوائلهم ، وذلك من خلال قوله تعالى : { اصبروا أنَّ الله مع الصابرين } ، فمن يصبر على جهادِ عدوه وهو على الحقّ ، سيجد الله ناصرًا له ، وقديمًا قالوا : من صبرَ ظفر ، وقال لهم لا ينالُ الانسان ما يطلب ، ويحب بالتمني ، وإنَّما بالعمل والجهاد والصبر على الأهوال والمكاره ، وقال لهم : لا يفوتني أنْ ألفتَ نظرَكم الى أنَّ بينكم مَنْ يتجسس عليكم لصالح معاوية ابن أبي سفيان ، وإلا فمن هو الذي أبلغ معاوية بأنَّنا على استعدادٍ لحربه ، وجيشنا جاهزٌ لقتاله ، فتحرك وجمع جيشه واستعد لحربكم ، ليس أمامكم سوى دفع الشرّ بالتصدي لمعاوية وقتاله ، وذلك من خلال تجمعكم في معسكر النُخيلة وبدء الاستعدادات والتحضيرات للمسير الى معاوية ، لرد كيدهِ الى نحره بسيوفكم ورماحكم ، لأنَّ الطغاةَ والظالمين لا يردعهم وازعٌ دينيٌ أو وازعٌ انسانيٌ ، وفي المعسكر سنتشاور ونتبادل الآراء ، ونتصرف على وفق ما يتطلبه الموقف .

الهوامش :

١- الفتوح : ٢ / ٣

٢- الخصائص الفاطمية : ٢ / ٥٧٤

٣- خطب الإمام الحسن دراسة لغوية : ٨١

٤- شرح نهج البلاغة : ٨ / ٢٧٩ ، وينظر المصدر نفسه : ١ / ١٠٠

٥- خطب الإمام الحسن دراسة لغوية : ٨٣

٦- مقاتل الطالبيين : ٣٨

٧- إشارة الى قوله تعالى في سورة البقرة ، الآية : ٢١٦ { كُتِبَ عليكُم القتالُ ، وهوَ كرهٌ لكُم } .

٨- سورة الأنفال ، الآية : ٤٦

٩- أراد بـ حتى ننظر وتنظروا ، قوله تعالى في سورة هود ، الآية : ١٢٢ { وانتظروا إنا منتظرون } .

١٠- أراد بـ حتى ننظر وتنظروا قوله تعالى في سورة الأنفال ؛ الآية : ٤٨ { إني أرى ما لا ترون } .

١١- مقاتل الطالبيين : ٣٩ ، وشرح نهج البلاغة : ١٦ / ٢٢٩ ــ ٢٣٠

١٢- شرح نهج البلاغة : ٤ / ١٤

١٣- المصدر السابق والصفحة نفسها

١٤- تاريخ اليعقوبي : ٢ / ١٧

الخطبة العشرون

بعد اليأس من مواصلة الحرب

في الخطبة السابقة خطب الإمام الحَسن عليه السلام في جيشه ودعاهم الى التوجه الى معسكر النُخيلة والتجمع فيه ـ للتعبئة العسكرية تحضيرًا للحرب ، واستعدادًا لقتال معاوية بن أبي سفيان ، وإفشال مخططه في احتلال العراق ، ولكنَّ الإمام الحَسن (عليه السلام) قرأ في وجوههم التكاسل والتخاذل ـ وضعف الهمة والحماس ، وعدم رغبتهم في مواصلة القتال ، فضلًا عن تهافتهم ورغبتهم في السلام ، وهذا الموقف الغريب والعجيب ، هو الذي أثار حفيظة الصحابي الجليل عَدي بن حاتِم الطائي فقال ما قال ، إذ لم يلتحق بالمعسكر إلا أعدادٍ قليلةٍ ، كان أولُهم عَدي بن حاتِم الطائي بألفِ مقاتلٍ من قومه ، وهذا الضَعف والانكسار والتخاذل ليس جديدًا عليهم، فقد خذلوا أبيه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من قبل ذلك ، وخطب فيهم مرة ثانية فقال (١) : (يا أهلُ الكوفةِ : مُنيتُ منكم بثلاثٍ واثنتينِ ، صمٌّ : ذوو أسماعٍ ، وبكمٌ : ذو كلامٍ ، وعميٌ : ذوو أبصارٍ ، لا أحرارُ صُدَّقٍ عند اللقاءِ ، ولا أخوانُ ثقةٍ عند البلاءِ) ، فالثلاث هي عدم استفادتهم من حواسِهم ، والاثنتين هي ضعفُهم وهوانهم ، ولم يقل الإمام خمسة بل فرق بينها ، وقال ثلاثة واثنين ، وقد لفتتْ هذه التقسيمات نظر الدكتور مهدي صالح سلطان الشمري فعلقَ قائلًا (٢) : (لذلك لم يقل خمسة ، وفرّقَ جملَ الإثباتِ ، من جمل النفي ، مع أنَّ الشكوى كانت من الاثنين معًا) ، وذكر البلاذري في كتابه أنساب الأشراف ، أنَّ الامام الحسن (عليه السلام) ، لما رأى تباطؤهم وتثاقلهم وتكاسلهم عن النهوض معه الى حرب معاوية بن أبي سفيان ، خطب فيهم فقال (٣) : (يا أهل العراق أنتم الذين أكرهتم أبي على القتال والحكومة، ثم اختلفتم عليه !! وقد أتاني أهلُ الشرف منكم ، قد أَتَوْا معاوية فبايعوه ، فحسبي منكم لا تغروني في ديني ونفسي !!) ، وبعد هذه الكلمة المقتضبة عبر الإمام الحسن عليه السلام عن خيبته ، وما صار إليه مجتمع العراق ، في ظل هذ الموقف الهش ، لذا لا يتمكن من مواصلة نهج الإمام علي في حرب معاوية ، وذلك بعد أن رأى خيانة بعض أتباعه ، وقد صارحهم بذلك وخاطبهم قائلًا (٤) : (... هذا كتاب قيس بن سعد يخبرني بأنَّ أهلَ الشرفِ

منكم ، قد صاروا الى معاوية ، أما والله ، ما هذا بمنكرٍ منكم ، لأنَّكم أنتم الذين أكرهتم أبي يوم صفّين على الحكمين ، فلما أمضى الحكومة ، وقبل منكم اختلفتم ، ثم دعاكم الى قتال معاوية ثانية فتوانيتم ، ثم صار ما صار إليه من كرامة الله إياهُ ، ثم أنَّكم بايعتموني طائعين غير مكرهين ، فأخذتُ بيعتكم ، وخرجتُ في وجهي هذا ، واللهُ يعلمُ ما نويتُ فيه ، فكان منكم إليَ ما كان ، يا أهل العراقِ فحسبي منكم ، لا تغروني في ديني ، فإنّي مُسَلّمٌ هذا الأمر الى معاوية) ، وقد نظم الامام الحَسن خيبته فيهم ببيتين من الشعر فقال (٥) :

لئن ساءَني دهرٌ عزمتُ تصبّرا وكلِّ بلاءٍ لا يدومُ يسـيرُ

وإنْ سرَّني لم ابتهج بسـرُورهِ وكلِّ سرورٍ لا يدومُ حقيرُ

والآن جاء دور الإمام الحسن عليه السلام ، فقال (٦) : (يا عجبًا من قومٍ لا حياءَ لهُم ، ولا دين مرة بعد مرة ، ولو سلمتُ الى معاوية الأمر ، فأيمَ الله لا ترونَ فرجًا أبدًا مع بني أمية ، والله ليسومونكم (٧) سوءَ العذاب ، حتى تتمنوا أنْ يلي عليكُم حبشيًا ، ولو وجدتُ أعوانًا ما سلمتُ له الأمر لأنَّهُ محرمٌ على بني أمية فأفٍ (٨) ، وترحاً (٩) يا عبيد الله) .

تحليل خطبة الإمام الحَسن عليه السلام

لقد ابتليَ الإمام الحَسن عليه السلام بأتباعٍ متلونين لا ثباتَ لهم على رأي وموقفٍ ، وموقفهم هذا ليس جديدًا عليهم ، بل اتخذوا ذات الموقف من قبل ع أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) حتى قال لهم(١٠) : (قاتلكُم الله ، لقد ملأتُم قلبي قيحاً (١١) ، وشحنتُم صدري غيظاً)، وأعاد الإمام الحسن ما قاله الإمام علي بصيغة أخرى ، فقال : (يا عجباً من قومٍ لا حياءَ لهم ، ولا دينٍ مرةً بعد مرةٍ) ، ابدى الإمام الحَسن تعجبه من موقفهم المتخاذل بامتعاضٍ وألمٍ ، لأنَّهُ موقفٌ مخزٍ ومخجلٍ ؛ فقال لهم : ألا تستحون من أنفسكُم ، لقد فقدتُم الحياء ، ومن يفقد الحياءَ ، فقد رجولته وقيمته الإنسانية ، وقالوا في المثل : إنْ لمْ تستحِ أفعلْ ما تشاء ، وقد فعلوها وراسلوا معاوية بالمبايعة مقابل حفنةٍ من الدراهمَ والدنانير ، وأكد الإمام الحَسن لهم أنَّ موقفهم المَعيب هذا قد تكرر عدةُ مراتٍ مع أبيه الإمام علي ومعه ، فانتم

لا دين لكم ، لأنَّ صاحب الدين له التزامٌ عقائدي ، ولا يتصرف من تلقاء نفسه ، وأضاف الإمام الحَسن عليه السلام ، وهو يقسم بالله مرتين : (لو سلمتُ الى معاوية الأمر ، فأيمَ الله لا ترون فرجًا أبدًا مع بني أمية ، والله ليسومونكم سوءَ العذاب) ، وقال لهم لو سلمتُ الأمرَ جدلًا الى معاوية ؛ اقسمُ بالله العظيم ، إنَّهُم سيسومنكم بالسوط والسيف ، ويذلونكم في عيشكم ، ويمتهنون كرامتكم ، ويقتلون رجالكم ، ويهدمون بيوتكم حتى تركعوا أمامهم أذلاءَ طائعين ، وسوف لا ولن تزَوْا مع حكم الامويين خيرًا ابدًا ، وهذا هو بئسَ ما شتريتمُوه لأنفسكم بحفنةٍ من الدراهم والدنانير ، ستذهبُ ويبقى عارُها عالقًا بكم ، وهذه عاقبةُ من لا يُحْسنُ التصرف والاختيار ، وأضاف أيضاً (حتى تتمنَّوْا أنْ يلي عليكُم حبشيًا) ، الأماني أحلامٌ قد تتحقق ، وقد لا تتحقق، فالإمام الحَسن يقول لهم : قد خذلتموني ، لأسلمَ الأمرَ لمعاوية ، لحصولكم على بضعةِ دراهمَ ودنانير ، سوف ستندمون أبدَ الدهر ، وتعيشون الأماني الميتة ، حتى تتمنوا لو كان الذي يحكمُكُم عبدًا حبشيًا وليس أمويًا ، وهنا لابدَّ من الإشارة الى نقطة مهمة جدًا ، قصدها الإمام الحَسن وأشار اليها بالإيماء دون ذكر التفاصيل ، وهي ((الحاكم الحبشي)) ، العرب في جاهليتها ، وحتى في صدر الإسلام ، كانوا ينظرون الى الأحباش على أنَّهم خدمٌ لهم ؛ يباعون ويشرون في أسواقِ النخاسة ليس أكثر ، ويستنكفون منهم بسببِ ضعة نفوسهم فضلًا عن لون بشرتهم الأسود ، فكيف يكون من يستنكفون منه حاكمًا عليهم، في ظل ظلم بني أمية الجائر ، ستتمنون أنْ يحكمكم عبدًا أسودًا حبشيًا ، ولا يحكمكم أمويٌ ظالمٌ جائرٌ ، ويضيف الامام الحَسن ، وهو حزينٌ لما آلتْ اليه كلمةُ قومه فخاطبهم ، والألم يعتصر قلبه قائلًا : (ولو وجدتُ أعوانًا ، ما سلمتُ لهُ الأمرَ ، لأنَّهُ محرمٌ على بني أمية) ، لو وجد الإمام الحسن عليه رجالًا شجعان أشداء مخلصين لله ولرسوله ، وللإمام الحسن لصال بهم على معاوية صولة الحق على الباطل ، ولكن ... فاتفق مع معاوية على الصُلح ، والتنازل عن السلطة الدنيوية ، وهو يعرفُ حقَّ المعرفة أنَّ أمارة المسلمين محرمةٌ على الأمويين بنصِ الحديث الشريف (١٢) : (لعن الله الراكب والقائد والسائق) ، قال النبي مُحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ذلك بعد أن رأى أبا سفيان مقبلًا ؛ ومعاوية يقوده ، ويزيد أخو معاوية يسوق به ، ومعاوية ملعون بنص الحديث الشريف فكيف يكون حاكمًا على المسلمين ، وهو من

حارب رسول الله في المواضعِ كافة ، ومن بعد رسول الله حارب وصيه وخليفته الإمام علي في المواضعِ كافة ، فقد ذكر ذلك عبدالله بن جعفر الطيار(رضي الله عنه) لمعاوية حينما دعاه لبيعة يزيد بالخلافة فقال له :(١٣): (لقد أجبرناكَ وأباكَ على الإسلامِ ، حتى أدخلناكما كارهين غير طائعين) ولكنَّ ما حدث هو واقع حال ذلك لتفرق كلمة أهل الكوفة ، وخذلناهم للإمام الحَسن ، وعدم محاربة معاوية بن أبي سفيان الملعون على لسان رسول الله، ثم ختم خطبته بقوله : (فأفٍ لكم وترحاً يا عبيد الله) ؛ كلمة أفٍ في اللغة العربية معناها تبًا وقبحًا لكم ، والترحُ هو خلاف الفرح ، والقيحُ هو الخراج الأصفر الذي يخرجُ من الجرح ، ويكون لونه أصفرًا ؛ ويسمى باللغة العامية ((الجراحة)) ، لأنّكم فعلًا عبيدٌ لا تستحقون المكارم ، وقال لهم : يا عبيد الله من باب النكاية ؛ لأنَّهم لو كانوا عبيدًا لله ما خذلوا إمامهم وابن بنت نبيهم .

الهوامش :

١- شرح نهج البلاغة : ٧ / ٤٩

٢- خطب الإمام الحَسن دراسة لغوية : ٩٦

٣- أنساب الاشراف للبلاذري : ٣ / ٣٩

٤- موسوعة عبدالله بن عباس : ٤ / ٣٤٨

٥- مناقب آل ابي طالب : ٣ : ١٩٧

٦- بحار الأنوار : ٤٤ / ٤٤ ؛ الخرائج والجرائح : ٢ / ٥٧٥

٧- يسومونكم : يذيقونكم

٨- أفٍ لكم : تباً وقبحاً لكم

٩- ترحا : الحزن المصحوب بألم وهو عكس الفرح .

١٠- شرح نهج البلاغة : ١ / ٧٠

١١- القيح: هو خراجٌ يصيب الجروح، لونه أصفر، يسمى باللغة العامية (الجراحة).

١٢- تاريخ الطبري : ٨ / ١٥٨

١٣- الإمامة والسياسة : ١٤

الخطبة الحادية والعشرون

الصُلح مع معاوية بن أبي سُفيان

بعد أنْ استعد الطرفان لاستئناف الحرب ، وتهيأ الجيشان لمعاودة القتال مرةً ثانيةً ، بدأ بعضُ قادة جيش الإمام الحَسن عليه بالتثاقلِ والتباطءِ والتكاسلِ في الاستعداد بشكلٍ جادٍ ، بل ذهب الأمرُ الى أبعد من ذلك إذ بدأ بعضُهم يراسل معاوية سرًا ، وستجيب لطلبه ، بعد أنْ أغراهم بالمال ووعدهم بأنَّهُ سيوليهم مناصبَ في الولاياتِ الإسلاميةِ ، بإغراءاتٍ سالَ لها لعابُ الخونةِ والكفارِ والمنفاقِين ، فأبدوا موافقةً مبطنةً ، ظاهرها أنَّهم مع الحَسن ، وباطنها أنَّهم مع معاوية ، فيما كان معسكر معاوية يزدادُ عددًا وقوة ، ومن جانب آخر يُراسل معاوية الإمام الحَسن يطلب الصُلح ، ولو فكرَ قليلًا قادةُ جيشِ الإمام الحَسن ، لوجدوا النصر يرفرفُ فوق رؤوسهم ، والغنائمَ والمناصبَ أمامهم ، ولأكلوا من فوقِهم ومن تحتِهم ، ولكنَّ الله لا يحبُّ الخيرَ للخائنين والمنافقين ، فقد كان معاوية محصورًا في مأزقٍ لا خلاصَ لهُ منهُ إلا بالصلح ، فقد كان معاوية بين المطرقةِ والسندانِ ، الرومُ من الجبهة الشمالية يريدون احتلال الشام واسقاط حكم معاوية ، ومن الشرق جيش الإمام الحَسن عليه السلام يريد القضاءُ على تمرده ، فضلًا عن الخوارج يتربصون لقتله ؛ هنا استعمل معاوية مكره ودهائه ، وكان سلاحَهُ الكذِبَ والخديعة والافتراء ، ونجح في استخدامها نجاحًا كبيرًا ، فالروم تراجعوا بعد الصُلح ، لانَّهم علموا اذا توحد جيش العراق وجيش الشام ، لا طاقة لجيشهم على رده ، وجيش العراق بعد الصُلح أصبح بإمرة معاوية ، وتحصن من الخوارج ببناءِ مقصُورةٍ يُصلي بها ، بهذه الرُؤية وفي هذا الوضع بعث معاوية رسالة للإمام الحسن يطلب الصُلح ، والإمام الحَسن نظر الى قومه فوجد روحُ الانكسارِ قد غلبتهم ، فاجتمع بهم وشاورهم في الأمر ، وألقى هذه الخطبة فقال لهم (١):

(نحنُ حزبُ اللهِ المفلحُون (٢) ، وعترةُ رسولِهِ المطهرُون ، وأهلُ بيتهِ الطيبُون (٣) ، وأحدُ الثقلينِ اللذينِ خلفهما رسولُ اللهِ فيكم (٤) ، فطاعتُنا مقرونةٌ بطاعةِ اِلله ، (٥) { فإنْ تنازعتُمْ في شيءٍ فردُوهُ الى اللهِ والرسول}،

وأنَّ معاويةَ دعانا الى أمرٍ ليسَ فيهِ عـزةٌ ولا نصفةٌ ، فإنْ وافقتُم رددناهُ عليهِ، وخاصمناهُ الى اللهِ تعالى بظُبى السيوفِ (٦) ، وإنْ أبيتُم قبلنا) .

تحليل الخطبة :

بعد أنْ اجتمعَ الإمام الحَسن (عليه السلام) بقادة جيشه ، وشاورهم في الأمر ، عرض عليهم ما جاء في رسالة معاوية إليه ، لأنَّهُ لم يسمع منهم رأيًا سديدًا ، ولا قولًا صريحًا ، فأعلنها صريحة لهم في هذه الخطبة ، مؤكدًا لهم بعد أنْ استوحى هذا معنى قوله تعالى (٧) : { أولئكَ حزبُ اللهِ ، ألا إنَّ حزبَ الله هُمُ المفلحُونَ } ، وأنَّهُ من أهل البيت ، الذين هم عدل القرآن الكريم، والثقل الثاني في حديث الثقلين في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٨) : (ايّها الناس : إنَّي تركتُ فيكُم ما أنْ أخذتم به ، لن تضلوا، كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي) ، فإنْ تخليتُم عنا فإنَّكُم الى الضلالة متجهون، وفيها غارقون ، لذا عليكم طاعتنا ، والتزام أوامرنا ، فإنَّ طاعتنا مقرونة بطاعة الله ورسوله ، وطاعتنا مفروضة عليكم ، لأنَّ من لم يطعْ الله ورسوله، فقد ضلَّ وغرق في ضلالته التي ستؤولُ به الى نار جهنم ، واذا عنَّ لكُم أمرٌ طارئٌ ، ولم تقدروا على إيجاد الحل له ، فعودوا الى الله والرسول ، ستجدون الحل ، وبما أنَّ أهل البيت هم الامتداد الحقيقي لرسول الله ، ستجدون الحل عندهم ، لذلك أصبحت طاعة أهل البيت أمرًا مفروضًا واجبُ التطبيق على المسلمين كافة ، وأقول لكم : قد وردتني رسالة من معاوية بن أبي سفيان ، يدعونا الى صُلحٍ لا عزةَ لكم فيه ، ولا كرامة ، فإن كنتم سيفي الذي أقاتل به ، أردُ عليه ما يريد بظبى سيوفكم القاطعة ، وقد قال أبو تمام في معنى ظُبَى السيوف (٩) :

أمانيًا سلبتَهُمْ نجحَ هاجسُـــها ظُبَى السيوفِ وأطراف القنا السُّلَبُ

يقول الشاعر أبو تمام وأدتُ أحلامُ الأعداء في صدورهم ، بحد السيوف القاطعة والرماح الطاعنة ، وقبل أبا تمام كان الإمام الحَسن يريد أنْ يأدَ أحلام معاوية في صدره إنْ أطاعه قادة جيشه ولكن .. ، وقال الإمام الحسن لهم : إنْ تخاذلتم وتثاقلتم ، قبلنا عرض معاوية ، وعند ذلك ستكونون له بئس الرعية يسوسكم كيفما يشاء .

الهوامش :

١- تذكرة الخواص : ٢٥٩ ، سيرة أعلام النبلاء : ٣ / ٤٦١
٢- إشارة الى الآية الكريمة (٢٢) من سورة المجادلة .
٣- العِترة ما يتركه الرجل المتوفي من البنين والبنات .
٤- الثقلين : إشارة الى حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام : (ايّها الناس : إنَّي تركت فيكم ما أن أخذتم به ؛ لن تضلوا ؛ كتاب الله ؛ وعترتي أهل بيتي) ، ينابيع المودة : ١ / ٣٧
٥- سورة النساء ، الآية : ٥٩
٦- ظُبَى السيوف : شفرات السيوف القاطعة
٧- سورة المجادلة ، الآية : ٢٢
٨- ينابيع المودة : ١ / ٣٧
٩- ديوان أبي تمام الطائي : ١٦

الخطبة الثانية والعشرون

الصلح مع معاوية بن أبي سفيان

لما رأى الإمام الحَسن عليه السلام التخاذلَ قد تسربَ من نفوسِ القادةِ الى نفوسِ الجنود ، يأسَ منهم ، وعلم أنَّهم لن يحاربوا معاوية ، ولن يقاتلوه، فكان مُضطرًا لقبول الصلح عن غير قناعةٍ منه ، وعدم رضاً ، ولكنَّه كان أمام الأمر الواقع الذي فُرِضَ عليه ، فقام فيهم خطيبًا فقال (١) :

(أما بعدُ أيُّها الناس : فإنَّ اللهَ هدى أولَكُم بأولِنا ؛ وحقنَ دماءَكُم بآخرِنا، وكانتْ لي في رقابكُم بيعةٌ تحاربُونَ منْ حاربتُ ، وتسالمُونَ منْ سالمتُ ، وقد سالمتُ معاويةَ ، وبايعتُهُ فبايعُوهُ ، إنَّ لهذا الأمرِ مدةٌ ، والدُّنيا دُوَلٌ ، وإنَّ اللهَ تعالى قالَ لنبيهِ صلى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلم (٢) : {وإنْ أدري لعلَّهُ فتنةٌ لكُم ومتاعٌ الى حين} .

تحليل الخطبة :

خطبةٌ قصيرةٌ ومختصرةٌ جدًا ، ولكنَّها غنيةٌ بالأفكارِ والمعاني ، فقد عاد الإمام الحَسن عليه السلام بالناس الى الظهور الأول للإسلام ، وكيف أخرج الله تعالى الناسَ من الظلماتِ وهي عبادةُ الأوثان والأصنام الى النور، وهو دين الإسلام ، وعبادة الله وحده لا شريك ، وأولنا هو رسولُ الله مُحمّدٍ (عليه الصلاة والسلام) الذي أرسله الله الى الناسِ كافة ، ليهديهم الى السراط المستقيم ، فهو هاديًا وبشيرًا ، هداكم الى الإيمان ، وبشركم بالجنة ، ما أشبه اليوم بالأمس ، فقد حقن الله دماءكم من القتلِ بأخرنا ، وهو أنا الحَسن بن علي بن أبي طالب ، وابن رسول الله ، لقد بايعتموني بالخلافة على أنْ تحاربوا من أحارب ، وتسالموا من أسالم ، ولكنكم تثاقلتم ، ولم أجد لكم عزمًا ، والعدو يتربص بكم الدوائر يريد أن ينقض عليكم ، ليسفك دماءكم فحقنتُها بقبول الصلح مع معاوية مضطرًا ، وعن غير قناعة مني ، لذلك بايعته وسلمته الأمر ، لأحافظ على حياتكم ، ولكي تأمنوا على أرواحكم فبايعُوه ، وإنَّ أمر حكومته لأجلٍ محددٍ ينتهي بوفاته ، ويعود الأمرُ لنا ، وقد قال الله تعالى لنبيه الكريم : إنَّ هذا الأمرُ فتنةٌ ومتاعٌ الى حين .

الهوامش :

١- الكامل في التاريخ : ٣ / ٢٧٣ ، البداية والنهاية : ٨ / ١٩ ، جمهرة خطب العرب : ٢ / ١٢ ، تذكرة الخواص : ٢٥٩

٢- سورة الأنبياء ؛ الآية : ١١١

الخطبة الثالثة والعشرون

بعد توقيع معاهدة الصُلح مع معاوية

بعد أنْ تمَّ توقيعُ معاهدة الصُلح بين الإمام الحَسن (عليه السلام) ومعاوية بن ابي سفيان ، وتسليم أمور الدولة الإسلامية الى معاوية ، كَثُرَ القال والقيل في صوف أهل العراق ، الذين هَم انصار الامام الحَسن ، ولوضع النقاط على الحروفِ وتوضيح أسبابَ الصُلح ، ارتقى الامام الحَسن المنبر وقال(١):

بعد أنْ حمدَ اللهَ واثنى عليهِ قال : (أيُّها الناس أنَّ أكيسَ الكُيّسِ (٢) ، وأنَّ أحمقَ الحُمق الفجُور(٣) ، وإنَّكُم لو طلبتُمْ رجلًا جدهُ رسولُ الله صلى اللهُ عليه واله وسلم ، ما بينَ جابلق (٤) وجابرص (٥) ، ما وجدتمُوهُ غيري ، وغير أخي الحُسين ، وقد علِمتُم إنَّ اللهَ تعالى هداكُم بجدي مُحمّد ، وأنقذكُم من الضلالةِ ، ورفعكُم من الجهالةِ ، وأعـزَّكُم بعد الذلّةِ ، وكثركُم بعد القلّةِ ، وأنَّ معاويةَ نازعني على حقٍّ هو لي دونَهُ ، فنظرتُ صلاحَ الأمةِ ، وقد كنتُم بايعتمُوني على أنْ تسالمُوا من سالمتُ ، وتحاربُوا من حاربتُ ، وأنَّ معاويةَ واضعُ الحربِ بيني وبينَهُ ، وقد بايعتُهُ ـ ورأيتُ أنَّما حقنُ الدماءِ ، خيرٌ من سفكِها ، ولم أردْ بذلكَ إلا صلاحَكُم وبقائَكُم (٦) ، { وإنْ أدري لعلَّهُ فتنةٌ لكُم ومتاعٌ الى حينٍ } .

تحليل الخطبة :

رضى الناسُ غايةٌ لا تدرك ، سواءٌ كان الأمرُ بالحقّ أو الباطلِ ، فإنَّ منْ كانوا بالأمس يطالبون بإيقاف الحرب واللجوء الى السلام ، هم أنفسهم يعترضون على الصلح ، وكان أهلُ الشام فرحين بالصلح ، وأهل العراق تائهين بين الرفضِ والقبولِ ، وقد كثر في صفوفهم القال والقيل ، مما استدعى الإمام الحَسن (عليه السلام) أنْ يرتقي المنبر ، ويخطبُ فيهم موضحًا لهم أسباب قبول الصلح ، فالإمام الحَسن (عليه السلام) ، كان يهدف من وراء الصلح عدة أهداف ، أولها حقنُ دماء المسلمين من الطرفين ، وثانيهما توحيد عقيدة المسلمين التي أصبحت شطرين ، شطرٌ مع الحَسن ، وشطرٌ مع معاوية ، وقد قام الإعلام الأموي المعادي لأهلِ البيتِ ، بدورٍ

سيءٍ وذلك من خلال الافتراء والكذب تشويه سمعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في نفوس المسلمين ، وبالذات أهل الشام الذين كانوا منقطعين عن الصحابة ، ولا يفقهون من الإسلام إلا قليلاً ، فقد أوهمهم معاوية بن أبي سفيان ، بإنَّ علي بن أبي طالب قد أفسد دين مُحمّد ، لذا كان على الإمام الحَسن (عليه السلام) أنْ يعلن أهدافه من الصلح ، ليعرف الجميع أسباب الصلح ، وهي كما يأتي (٧) :

١- توحيد شقي البلاد الإسلامية من خلال توحيد أهل العراق مع أهل الشام على المحبة والمودة بدلًا من البغضِ والكراهيةِ ، وكذلك عدم الاقتتال فيما بينهم .
٢- يفكر الإمام الحَسن بتوصيل مشروع الإمام علي الى النصف الثاني من الأمة الإسلامية التي تقف الى جانب معاوية ، لأنَّها جاهلةٌ بعليٍ ابن أبي طالب (عليه السلام) ، ولا تعرف عنه شيئًا ، وهو الهادي بعد النبي ، بل تعتقدُ بضوء اعلام معاوية ، أنَّهُ مفسدٌ في الدين ، ويجب البراءة منه ، وقد تحولوا الى جيشٍ يحاربه ، ويريد قتله وقتل كل من هو على دين علي ، وهو دين مُحمّد (٨) .
٣- ارجاع هيبة الأمة الإسلامية في قلوب أعدائها من الروم وغيرهم .
٤- انقاذ الكوفة ، وهي عاصمة مشروع النهضة الاحيائية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ورجالاتها من الإرهاب الداخلي الذي يقوده الخوارج المنشقين من جيش الإمام علي ، عن طريق الاغتيالات ، وتصفية الجسدية .

يؤكد الإمام الحَسن عليه السلام ، بوجوب أنْ يكونَ الرجل ذا عقلٍ متزنٍ، ويتصرف أمام المعضلاتِ بهدوءٍ وحكمةٍ من غير تسرعٍ أو طيشٍ ، ليعرف أينَ يضع قدمه من المعضلة ، ويقول للمسلمين من أهل الكوفة لو بحثتم وطلبتم ما بين أقصى المغرب ((جابلق)) وأقصى المشرق ((جابرص)) رجلًا جدَّهُ رسول الله ، فلن تجدوا غيري ، وغير أخي الحُسين ، ويريد الامام الحَسن بهذا أنَّهُ هو سيد شباب أهل الجنة ، ومن يكون سيد شباب أهل الجنة ، هو أحقُ المسلمين بقيادة المسلمين من غيره ، ومع ذلك نازعه معاوية بن أبي سفيان قيادة الدولة الإسلامية ، وهو من الطلقاءِ ، وطليقٌ بامتيازٍ ؛ لأنَّهُ طليقٌ بنُ طليقٍ بن طليقةٍ ، أي أنَّهُ أسيرٌ ، هو وأمُّهُ وأبيهِ

أسيران ، وهم من أسرى فتح مكة ، دخلوا في الإسلام مكرهين غير طائعين، وقد منَّ عليهم رسول الله فأطلق سراحهم ، وبدلاً من أنْ يحفظ معاوية اليد البيضاء لرسول الله عليه وعلى أمه وأبيه ، وجدناهُ ينازع ابنه الامام الحسن على خلافة جده رسول الله .

يشير الامام الحَسن عليه السلام الى جاهليةِ قُريشٍ قبل الإسلام ، حينما كانوا يعبدون الاوثان والاصنام ، وهم غارقون في الشركِ والضلالةِ ، فبعثَ اللهُ فيهم جدَّهُ رسول الله ؛ الذي أخرجهم من الظلمات الى النور ؛ وأعزَّهم بعد أنْ كانوا أذلةٌ ، فزاد عددهم بعد أنْ كانَ عددُهم محدودًا وقليلًا ؛ ومع ذلك يقف معاوية ندًا للإمام الحَسن يصارعه على زعامة المسلمين ، وقال الإمام الحَسن : لما رأيتكم تثاقلتم عن قتال معاوية ، ودبَّ فيكم الهَوان والضَعْف ، وكنتم متخاذلين تفضلون الحياة الدُّنيا على الآخرة ، أشفقتُ عليكم، ونظرتُ الى صلاحِ أمةِ المسلمين ، وحقنِ دماؤهم ، وسبق لكم أنْ بايعتموني على أنْ تحاربوا من أحارب ، وهو معاوية ، وأنْ تسالموا من أسالم ، والآن بعد أنْ وضحت الرؤية ، وبانَ ضعفكم وتثاقلكم عن قتال معاوية الذي فرض الحرب علينا ، قد بايعته لأحقنَ دماءكم ، وهو خيرٌ لكم من سفكِها ، وما أدري ما يريدُ اللهُ بكم بعد تخاذلكم عن نصرنا ، واجبرتمونا على قبول الصلح مع معاوية .

الهوامش :

١- تاريخ الطبري ٥ / ١٦٣ ، الكامل في التاريخ : ٣ / ٢٧٣ ، جمهرة خطب العرب : ٢ / ١٢ ، الفتوح : ٤ / ٢٩٣ ، بحار الانوار : ٤٤ / ٦٥

٢- الكيس : العاقل

٣- الفاجر : الفاسق وفاسد الأخلاق

٤- جابلق : مدينة تقع في أقصى المغرب ، وأهلها من ذرية عادٍ ، وجابرص : مدينة أهلها من ذريةِ ثمودَ ، وفي كلتا المدينتين بقيةٌ باقيةٌ من ذريةِ موسى عليه السلام ، ينظر معجم البلدان ، مادتي : جابلق وجابرص .

٥- جابرص : هي مدينة تقع بأقصى المشرق ، يقول اليهودُ فيها ذريةُ موسى عليه السلام ، ممن هربوا من حرب طالوت ، ينظر معجم البلدان ؛ مادة : جابرص .
٦- سورة الأنبياء ، الآية : ١١١
٧- تعريف بكتاب الإمام الحَسن في مواجهة الانشقاق الأموي : ١٦
٨- المصدر السابق نفسه : ٣٦

الخطبة الرابعة والعشرون
خطبة أخرى بعد الصُلح مع معاوية

استمر القال والقيل حول الصلح الذي تم بين الإمام الحَسن (عليه السلام) ومعاوية بن أبي سفيان ، ومعه بدأ عدد من رجالاتِ قُريشٍ يتطاولون على أهل البيتِ ، ويعلنون بغضَهم وحقدَهم الدفين على الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) جهرًا ، بحميةٍ عصبية جاهليةٍ ، بغضًا وحقدًا ، لأنَّهُ قتل رجالَهم الصناديد ، ونكسَ أبطالهم المشركين في وقعة بدر (١) ووقعة الخندق (٢) ، لأنَّهم كانوا معارضين لله ورسوله وللإسلام ، وأعداءً لهم ، وهذه الأحقادِ الجاهلية المخزونة في قلوبهم السوداء ، كان عليهم أنْ يتناسوها، لأنَّ هؤلاء المقتولين مشركين ، قتلوا بأمرٍ من الله ورسوله ، لأنَّهم حادوا الله ورسوله وشاقوهما ، ولكنَّ ورثتهم من الطلقاءِ ، الذين لم يتغلغل الإيمان في قلوبهم ، لأنّهم دخلوا الإسلام كُرهًا ورغمًا عنهم ، وليسَ طوعًا ، وظنّوا ظنَّ الجاهلية أنَّ لهم ثأرًا في عنقِ الإمام علي ، هذا من جانبٍ ، ومن جانب آخر انحرافُ قُريشٍ وزعمائها ، وتحللهم من بيعة الغدير، وعدم التزامهم بوصية رسول الله ، وحجبهم الخلافة عن صاحبها الشرعي ، ومن جهة أخرى تسلقَ الطلقاءُ وأبناءُ الطلقاءِ الى سدة حكم الدولة الإسلامية في عهد عثمان بن عفان الأموي ، وهذا ما جعلهم يجاهرون ببغض الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأهل بيت النبي ، ووجد هؤلاء المنحرفون عن أهل البيت في معاهدة صُلح الامام الحَسن مع معاوية الشرخُ الذي نفثوا من خلاله سمومِ أحقادِهم السوداء على أمير المؤمنين وولديه الحَسن والحُسين (عليهم الصلاة والسلام) ، وكان لابدَّ من الردِّ على هذه الشرذمة الضالة ، وايقافها عند حدود الاخلاق والأدب ، فاعتلى الامام الحَسن (عليه السلام) المنبر وخاطبهم قائلًا (٣) :

(الحمدُ للهِ الذي توحدَ في ملكهِ ، وتفردَ في ربوبيتِهِ ، يُؤتي المُلكَ من يشاءُ ، وينزعهُ عمَّنْ يشاءُ (٤) ، والحمدُ للهِ ، أكرمَ بنا مُؤمنكُم ، وأخرج من الشركِ أولكُم ، وحقنَ دماءِ آخركُم ، فبلاؤنا عندكُم قديمًا وحديثًا أحسنُ البلاءِ(٥) ، إنْ شكرتم أو كفرتم .

أيها الناس : إنَّ ربَّ عليٍ ، كانَ أعلمُ بعليٍ ، حيثُ قبضَهُ إليهِ ، ولقد اختصَهُ بفضلٍ لم تعتدُوا مثله ، ولم تجدوا مثلَ سابقتهِ ، فهيهاتَ طالما قلبتُم لهُ الأمورَ حتى أعلاهُ الله عليكُم ، وهو صاحبكُم وعدوكُم في بدر وأخواتِها جرعَكُم رنقًا (٦) ، وسقاكُم علقًا (٧) ، وأذلَّ رقابكُم وأشرَقكُم (٨) بريقكُم ، فلستُم بملومين على بغضِهِ ، وأيم الله لا ترى أمةُ مُحمّدٍ خفضًا ، ما كانتْ سادتُهُم وقادتُهُم بني أمية ، ولقد وجه اللهُ اليكم فتنةً لنْ تصدروا عنها حتى تهلكُوا لطاعتكُم طواغيتكُم (٩) ، وانضوائكُم (١٠) الى شياطينكُم ، فعند الله أحتسب ما مضى ، وما ينتظر من سوءِ دعتكُم (١١) ، وحيفِ (١٢) حكمكُم).

تحليل الخطبة :

الإمام الحسن (عليه السلام) : حمدَ اللهَ واثنى عليه ، قاراً ومُقِراً أنّهُ واحدٌ أحدٌ ، وأنَّهُ لا رَبَّ غيرهُ ، بيده أمورَ كلِّ شيءٍ ، يتصرفُ كيفما يشاءُ، فهو يُعطي من يُريد ، ويمنعُ عمّن يُريد ، وينزعُ عمّن يُريد ، الحمدُ والشكرُ لله الذي أكرم المؤمنين بنا ، وأخرجَ أولكُم من ظُلمِ الشركِ ، وهداكُم الى نور اليقين ، وبعد ذلك حقنَ دماءَ اخركُم ، وهذه إشارة الى يوم فتح مكة ، حين وقعَ بنو أمية والمشركين كافةً أسرى في قبضةِ النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وهم يومئذ أعداءٌ للهِ ولرسولِهِ ، وكان بإمكانهِ أنْ يقتلَهُم ويتخلصُ من شرِّهم وكيدهم ، ولكنَّهُ المبعوثُ رحمةً للعالمين ، أبت أخلاقه العظيمة أنْ يقتلهم ويهرق دماؤهُم ، فعفا عنهُم وسماهم الطلقاء ، وفي الوقت نفسه حرمَ عليهم خلافته ، وإمامةِ المسلمين ، ولا يهمه الأمر شيئًا إنْ شكروا أم كفروا ، وهذه مستنبطة من قوله تعالى (١٣) { ومن شكر فإنَّما يشكرُ لنفسهِ، ومن كفرَ فإنَّ اللهَ غنيٌ حميدٌ } والشكر هو الهداية ، والكفر هو الضلالة ، فقد قال تعالى (١٤) : { فمنْ اهتدى فإنَّما يهتديَ لنفسهِ ومن ضلَّ فإنَّما يضلُّ عليها } ، ذلك لأنَّ الرسلَ والأنبياءَ هم مبلغون عن الله ، وأما ايمانُ الناسِ وضلالهم فحسابه على الله الذي قال (١٥) : { ما على الرسول إلا البلاغ } ، فعليٌ هو أفضل السبّق الى الله .

بعد ذلكَ انتقل الى صلبِ الخطبة ، المتمثل بالدفاع عن أبيه أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال : إنّ الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق علي بن أبي طالب ، وهوَ أعرفُ به ، أوجدَهُ في الحياةِ

الدُّنيا بقدرٍ ، وقبضهُ اليه بأجلٍ ، فقد كرمَهُ الله ، وفضله على جميع خلقه باستثناءِ رسوله الكريم ، وله من الخصالِ الطيبةِ والحسنةِ ، لو أردتم أنْ تعدوها ، سوف لا تقدرون عليها ولكنَّ الله أحصاها ، وذكر معظمها في القرآن الكريم ، حتى أنَّ عمر بن الخطاب قال (١٦) : لقد أُعطيَ علي بن أبي طالب ثلاثُ خصالٍ ، لأنْ تكونَ لي خصلةً منها ، أحبُ اليَ من أنْ أعطى حُمرَ النعم ، وكان عبدالله بن عمر بن الخطاب يتمنى لو كانتْ له خصلةٌ واحدةٌ من خصالِ علي بن ابي طالب ، لكانت عنده خيرٌ من حُمرِ النعم(١٧)، ولو بحثتُم ليلًا ونهارًا على أنْ تجدوا مثل سابقته ، فلنْ تجدوا ، فقد روى عبدالله ابن عباس أنَّ (١٨) : (السُّبَّقُ ثلاثةٌ : السابقُ الى موسى يُوشع بن نون ، والسابقُ الى عيسى صاحب ياسين ، والسابقُ الى مُحمّدٍ علي بن أبي طالب) ، فهيهاتَ هيهاتَ ، أي من المستحيل أنْ تصلوا الى منزلتهِ ومرتبتهِ، فقد أعلاه عليكُم ، ورفعهُ فوقكُم ، وأما قوله : (وهو صاحبكُم وعدوكُم في بدرٍ وأخواتِها جرعَكُم رنقًا وسقاكُم علقًا ، وأذلَّ رقابكُم وأشرَقكُم بريقكُم) ، فصاحبكم تعني هو منكم ، أي من قُريشٍ ، وعدوكم وإنْ كنتم من قُريشٍ ، ذلك لأنَّهُ كان على الإيمان ، وأنتم مشركون ، فقتل أبطالكُم الصناديد ، وأردى شجعناكُم ، ونكسَ راياتكُم ، وجعلكُم تشربون الماء كدرًا وطينًا ، وسقاكُم بدلًا من الماءِ دماً ، وأذلَّ كبرياءَكُم حين فررتم من أرض بدرٍ لا تلون على شيءٍ ، وجعلكُم تغصون بماءِ ريقكُم ، خوفًا وهلعًا من سيفه ذي الفقار ، لذلك فأنا لا ألومكم على بغضِ أبي ، ولكنْ والله لن ترَوْا خيرًا ، ما دمتُم عبيدًا لطواغيتَ بني أمية وشياطينهم ، وهذا المعنى مستوحى من قوله تعالى (١٩) : { فريقًا هدى وفريقًا حقَّ عليهم الضلالةَ إنَّهُم اتخذوا الشياطينَ أولياءَ من دونِ الله } ، ومع كلِّ ما تقدم ، أقول حسبي الله ونعم الوكيل ، واحتسبُ عند الله ما مضى ، وما تنتظره الامة من ظلمكُم وسوء معاملتكُم لها .

الهوامش :

١- في معركة بدر قتل الإمام علي الوليدَ بن عتبة خال معاوية ، وشارك في قتل عتبة جدّ معاوية لأمه هند ، كما شارك في قتل شيبة عم أمه ، فضلاً عن قتله حنظلة بن أبي سفيان شقيق معاوية الذي أراد في تلك اللحظات الحاسمة أنْ يغتال الإمام علي .

٢- في معركة الخندق فشل أبطال قُريشٍ ورجالها في عبور الخندق باستثناء عمرو بن ود العامري بطل أبطال قُريشٍ ، فخرج اليه الامام علي وقتله.
٣- جمهرة خطب العرب : ٢ / ١٠٣ ، شرح نهج البلاغة : ٤ / ١٠
٤- إشارة الى قوله تعالى في الآية الكريمة ((٢٦)) من سورة آل عمران { قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك عمن تشاء } .
٥- البلاء من الاضداد فهو مُنحة ومِحنة ، وقد أراد الإمام الحسن (عليه السلام) الوجه الأول ، وهو المُنحة .
٦- رنقًا : كدرًا
٧- علقًا : دمًا
٨- اشرقكم : الشرق هو أنْ يغصَّ الانسان بالماء .
٩- الطواغيت : رؤوس الضلالة
١٠- انضوائكم : انضمامكم
١١- الدعة : الدفع العنيف
١٢- الحيف : الظلم
١٣- سورة لقمان ، الآية : ١٢
١٤- سورة يونس ، الآية : ١٠٨
١٥- سورة المائدة ، الآية : ٩٩
١٦- المستدرك : ٣ / ١٢٥
١٧- كفاية الطالب : ٥٢
١٨- مجمع الزوائد للهيثمي : ٩ / ١٠٢
١٩- سورة الأعراف ؛ الآية : ٣٠

الخطبة الخامسة والعشرون

بعد الصُلح والعودة الى ساباط المدائن

بعد أنْ توقيع معاهدة الصلح بين الامام الحَسن (عليه السلام) ومعاوية بن أبي سفيان ، وتسليم مقاليد الحكم لمعاوية ، قرر الامام الحَسن العودة الى المدينة المنورة ، وفي طريق عودته ، وحينما وصل الى ساباط المدائن ، اجتمع حوله المسلمون يسألونه عن الصلح وأبعاده ، وهم بينَ راضٍ عن الصلح ورافضٍ له ، لذلك صعد المنبر ، والقى عليهم خطبة ، شرح لهم فيها أهداف الصلح ، وما يترتب عليه من أمور ، فقال لهم : السلامة فيما تكرهون، وانتم مجتمعون ، خيرٌ لكم مما تحبون ، وانتم أشتاتًا متفرقون ، فقال (١) :

(الحمدُ لله ؛ كلَّما حمده حامدٌ ؛ وأشهدُ أنْ لا اله إلا الله ؛ كلَّما شهد شاهدٌ؛ وأشهدُ أنَّ مُحمَّداً رسول الله ؛ أرسله بالحقّ ؛ واتمنه على الوحي ؛ أما بعدُ : فوالله أنّي لأرجو أنْ أكون قد أصبحتُ بحمد الله ومَنِّهِ ؛ وأنا أنصحُ خلقِ الله لخلقه ؛ وما أصبحتُ محتملاً على مسلمٍ ضغينةٍ (٢) ؛ ولا مريداً (٣) له سُوءاً ولا غائلةٍ (٤) ؛ ألا وأنَّ ما تكرهون في الجماعةِ خيرٌ لكم ممّا تحبون في الفرقة ؛ ألا وأنّي ناظرٌ لكم خيراً من نظركم لأنفسِكم ؛ فلا تخالفوا أمري؛ ولا تردوا عليّ أمري ؛ ولا تردوا علي رأيي ؛ غفرَ الله لي ولكم ؛ وأرشدني وإياكُم لما فيه المحبةِ والرضا) .

تحليل الخطبة :

بعد أنْ حمد الله واثنى عليه ، وتشهد الشهادتين : أشهدُ أنْ لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأنَّ مُحمّدًا عبده ورسوله وأمين وحيه ، أرسلهُ بالحقّ هاديًا وبشيرًا ، ليخرجكم من الظلمات الى النور ، الامام الحَسن (عليه السلام) في هذه الخطبة يرجو الله سبحانه وتعالى أنْ يمُنَّ عليهِ بفضلهِ ، وهو حاصلٌ فعلًا ، وذلك بعد أنْ أخلى عنقه من مسؤولية إدارة دفة الحكم ، وترك الحكم ، ومع ذلك فإنَّ قلبهُ أبيضٌ ، لا يحمل حقدًا ولا ضغينةً على أيّ واحدٍ مهما قرُبَ أو بعُد ، ومع ذلك يبقى الناصحُ الأمين للأمة ، لأنَّهُ هو إمامها الشرعي ، ذلك لأنَّهُ سيد شباب أهل الجنة إنْ قام بالأمرِ أو لم يقُم ،

ونصحيتي لكم أنْ تكونوا تحتَ خيمةِ الجماعةِ والتوحدِ على الرغم مما تكرهون ، فهو خيرٌ لكم من أنْ تكونوا أفرادًا متشتتين ومتفرقين ، وأنّي اخترتُ لكم الخيرَ أفضل ممّا تختارون أنتم لأنفسكم ، لذلك عليكم طاعتي لأنَّي وليُ امركم بالدين ، فلا تخرجوا عن طاعتي وتعصوا أمري ، وتخالفوا رأيي ، فتضيعون بين مخالب الظالمين من رجال الحكم الأموي ، وختم خطبته بالدعاء له ولهم ، بأنْ يغفر الله ذنوب الجميع ، ويهديهم لما فيه الخير.

الهوامش :

١- مقاتل الطالبيين : ٧١ – ٧٢ ، كشف الغمَّة : ١ / ١٣٧ – ١٣٨ ، جمهرة خطب العرب : ٢ / ١٠

٢- الضغينة : الكراهية بحقد

٣- ولا مريدا : ولا أضمرُ

٤- غائلة : خيانة

الخطبة السادسة والعشرون
بعد أنْ طعنوهُ ونهبوا رحالهُ

في طريق عودة الإمام الحَسن (عليه السلام) الى المدينة المنورة ، ولما وصل قريبًا من المدائن حطَّ رحاله في منطقة ساباط المدائن (١) ، وفي هذا المكان هجم نفرٌ ضالٌ على سرادقِ الإمام الحَسن الذي كان يقيم فيه ، فنهبوا ما فيه من أمتعة ، حتى تجرأ أحدهم لينهب البساط الذي كان الامام الحسن عليه السلام جالس (٢) ، حدث ذلك في ليلةٍ داجيةٍ شديدةِ الظلمةِ ، إذْ كمُنَ الجراح بن سنان الأسدي ، أحد بني النضر بن قُعين في مُظلم ساباط، فطعنه بمغول (٣) في فخذه حتى وصلت الطعنة الى العظم ، فنزف نزفًا شديدًا واشتدت به العلة (٤) ، فأمسك الإمام الحَسن (عليه السلام) برقبة الجراح حتى وقعا معًا على الأرضِ ، وقام أصحاب الإمام بقتل الجراح ، ومضى الحسن مثخنًا بالجراح حتى دخل المدائن (٥) حيثُ تم نقلَهُ الى دار والي المدائن سعد بن مسعود ، ابن عم المختار الثقفي ، وأحضروا جراحاً فدواهُ (٦) ، وبهذه المناسبة المؤلمة القى الإمام الحَسن خطبة وعظية قصيرة قال فيها (٧) :

(يا أهل العراقِ : اتقوا الله فينا ، فإنا أمراؤُكم وضيفانكم ، ونحنُ أهلَ البيتِ الذي قال الله عزَّ وجلَّ فينا (٨) : { إنَّما يريدُ اللهُ ليذهبَ عنكم الرّجسَ أهلَ البيتِ ويطهركم تطهيراً } .

تحليل الخطبة :

بعدما تعرض الإمام الحسن عليه السلام لمحاولة اغتيالٍ من الخارجي الجراح بن سنان الأسدي ، وبعد أنْ تجاوز مرحلة الخطر ، ارتقى المنبر في خطبة قصيرة جاء فيها - الخطاب موجه لأهل العراق - قال فيها أيها الناس : إنْ كنتم مُسلمين خافوا من عقاب الله ، فنحنُ أهلَ البيتِ ، نزلتْ فينا آية التطهير (٩) ، ولنا آية المودة (١٠) ، ونحنُ أصحابَ الكساءِ (١١) ، وأنا وأخي الحُسين سيدا شباب أهل الجنة (١٢) ، ألا تخافون عقاب الله ، والنبيُ

أوصى بنا خيرًا (١٣) ، ثم نزل من المنبر ، لأنَّ حالته الصحية لا تسمح له بالمزيد .

الهوامش :

١- ساباط تعني السقيفة التي تقع بين حائطين وهي نافذة من الطرفين ، سُميت بذلك لكثرةِ ظلالِ أشجارها حتى لا تكاد الشمس تنفذ اليها ، معجم البلدان : مادة ساباط
٢- تاريخ الطبري : ٥ / ١٥٩ ، ٧ / ١٦٨
٣- المُغْول : الخنجر المسموم
٤- تاريخ اليعقوبي : ٢ / ١٩١ ، المحبر : ١٩
٥- الأخبار الطوال : ٢١٧
٦- مصباح المجتهد : ٧٤٩ ، زاد المعاد : ٣٥
٧- تاريخ الطبري : ٥ / ١٦٥ ، ينابيع المودة : ٢ / ٤٢٣ ، تذكرة الخواص : ٢٦٠
٨- سورة الأحزاب ، الآية : ٣٣
٩- الآية السابقة
١٠- سورة الشورى ، الآية : ٢٣
١١- ينابيع المودة : ١ / ١٢٥
١٢- ينابيع المودة : ١ / ١٩٤
١٣- ينابيع المودة : ١ / ١٢٧

الخطبة السابعة والعشرون

الرد على معاوية بعد أنْ استفزه

هذه الخطبة أُلقيتْ بعد أنْ استفزَ معاوية بن أبي سفيان الإمام الحَسن (عليه السلام) ، في محاولةٍ بائسةٍ ويائسةٍ ، أرادَ أنْ يجعل لبني أمية موضعَ قدمٍ في مكارمِ الأخلاقِ ، وهم خلوٌ منها ، وهم الشجرةُ الملعونة في القرآن، فارتقى المنبر ليُعَرِّفَ الناس من هُم أهلُ بيتِ النبي ، وماهي مكانتهم عند الله ورسوله وفي القرآن الكريم والحديث الشريف ، ويفندُ ادعاء معاوية ؛ وفي الوقت نفسه يُعرِضُ بمعاوية والبيتِ الأموي ، وهذه الخطبة هي أطولُ خطب الإمام الحَسن قال فيها (١) :

(الحمدُ لله المُسْتَحْمَدُ بالألاءِ ، وتتابعُ النعماءِ ، وصارفُ الشدائدَ والبلاءَ عند الفهماءِ وغيرِ الفهماءِ (٢) المُذعنين من عبادهِ ، لامتناعه بجلاله وكبرياءِه وعلوه عن لحوقِ الأوهامِ ببقائهِ ، المرتفعُ عن كنهِ ظنانةِ المخلوقين، ومِنْ أنْ يحيطَ بمكنونِ غيبهِ روايات عقول الرائيين ، وأشهدُ أنْ لا اله إلا الله وحده في ربوبيته ووجوده ووحدانيته ، صمدًا لا شريك له ، فردًا لا ظهير له ، وأشهدُ أنَّ مُحمّدًا عبدهُ ورسوله ، اصطفاه وانتجبه ، وبعثه داعيًا الى الحقّ ، وسراجًا منيرًا ؛ فنصحَ الأمة ، وصدع بالرسالة ، وأبانَ لهم درجاتُ العمالةِ (٣) ، شهادةٌ عليها أموتُ وأحشرُ ، وبها في الأحلة(٤) أقربُ وأصبرُ .

وأقولُ معشرَ الخلائقِ ، فاسمعوا ولكُم أفئدةٌ ، وأسماعٌ فعُوا ، إنا أهلُ البيتِ ، أكرمنا اللهُ بالإسلامِ ، واختارنا واصطفانا واجتبانا ، فأذهبَ عنا الرجسَ وطهرنا تطهيرًا (٥) ، والرجسُ هو الشكُ ، فلا نشكُ في اللهِ الحقّ ودينهِ أبدًا ؛ وطهرنا من كلِّ أحنٍ وغيةٍ (٦) ، مُخْلَصِينَ الى آدمَ نعمةً منهُ ، لم يفترقْ الناسُ قطْ فرقتينِ ، إلا جعلنا اللهُ في خيرِها ، فأدتْ الأمورُ ، وأفضتْ الدهورُ ، الى أنْ بعثَ اللهُ مُحمّدًا (صلى الله عليه وآله وسلم) للنبوةِ، واختارهُ للرسالة وأنزلَ عليهِ كتابَهُ ثم أمرَهُ بالدعاءِ الى اللهِ عزَّ وجلَّ ، فكان أبي (عليه السلام) أول من استجابَ للهِ تعالى ولرسولهِ ، وأول من آمنَ

وصدقَ رسولهُ ، وقد قال اللهُ تعالى في كتابهِ المنزل على نبيهِ المُرسـل(٧): {أ فمنْ كانَ على بينةٍ من ربهِ ويتلوهُ شاهدٌ منهُ} ، فرسولُ اللهِ على بينةٍ من ربهِ وأبي الذي يتلوهُ ، وهو شاهدٌ منهُ ، وقد قال لهُ رسولُ الله حينَ أمرَهُ انْ يَسِيرَ الى مكةَ والموسمِ ببراءة (٨) : (سِرْ بها يا علي فانّي أمرتُ أنْ لا يسيرُ بها إلا أنا ، أو رجلٌ مني ، وأنتَ هُوَ يا علي) ، فعليٌ من رسولِ اللهِ؛ والرسول منه ، وقال لهُ نبيُ اللهِ حين قضى بينهُ وبينَ أخيهِ جعفر بن أبي طالب ، ومولاه زيد بن حارثة ، في ابنةِ حمزة (٩) : (أما أنتَ يا عليُ فمني وأنا منك ، وأنتَ وليُ كلَّ مؤمنٍ بعدي) ، فصدق أبي رسولَ اللهِ ، ووقاهُ بنفسهِ ، ثم لم يزلْ رسولُ اللهِ في كلِّ موطنٍ يقدمهُ ولكلِّ شديدةٍ يرسلهُ ، ثقةٌ منهُ وطمأنينةٌ اليهِ ، لعلمهِ بنصيحتِهِ للهِ ولرسولهِ (صلى الله عليه وآله وسلم).

وأنَّهُ أقربُ المقربينَ من اللهِ ورسولِهِ ، وقد قال اللهُ عـزَّ وجلَّ (١٠) : { والسَّابقُونَ السّابقُون ۞ أولئكَ المقربُونَ } ، وكانَ أبي هُوَ أسبقُ السَّابقينَ الى الله عـزَّ وجلَّ والى رسوله ، وأقربُ الأقربينَ ، قال تعالى (١١) : { لا يستوي منكم مَنْ أنفقَ قبلَ الفتحِ ؛ وقاتلَ أولئكَ أعظمُ درجةً } ؛ فأبي كانَ أولُهُم إسلامًا وإيمانًا ، وأولُهُم الى اللهِ ورسولِهِ هجرةً ولحُوقًا ، وأولُهُم على وجدِهِ وسعةَ نفقةٍ ، قال سبحانهُ (١٢) : { والذينَ جاءُوا من بعدِهم ، يقولونَ ربنا أغفرْ لنا ، ولإخوانِنا الذينَ سبقُونا بالإيمانِ ، ولا تجعلْ في قلوبِنا غِلاً للذينَ آمنوا ، ربَّنا إنَّكَ رؤوفٌ رحيمٌ } ؛ فالناسُ من جميعِ الأممِ يستغفرونَ لهُ بسبقِهِ إياهُم بالأيمانِ بنبيهِ ، وذلكَ انَّهُ لم يسبقْهُ الى الايمانِ أحدٌ ، وقد قال الله تعالى (١٣) : { والسّابقُون الاولُونَ من المهاجرينَ والانصارِ والذين اتبعُوهُم بإحسانٍ } ، فهو سابقُ جميعَ السابقينَ ، فكما أنَّ الله عـزَّ وجلَّ فضلَ السابقينَ على المتخلفينَ والمتأخرينَ ، فكذلكَ فضلَ سابقَ السابقينَ على السابقينَ ، وقد قال اللهُ عَـزَّ وجلَّ (١٤) : { أ جعلتُمْ سقايةَ الحاجِ وعمارةَ المسجدِ الحرامِ كمنْ آمنَ باللهِ واليومِ الآخرِ } ، فكانَ أبي المؤمنُ باِلله واليومِ الآخر ، والمجاهدُ في سبيلِ اللهِ حقّاً ، وفيهِ نزلتْ هذهِ الآية ، وكانَ من استجابَ لرسولِ اللهِ عمهُ حمزة ؛ وجعفر ابن عمهِ ؛ فقُتِلا شهيدينِ ، في قتلى كثيرةٍ معهما من أصحابِ رسولِ الله ، فجعلَ اللهُ حمزةَ سيد الشهداء من بينهِم، وجعلَ لجعفرٍ جناحينِ يطيرُ بهما مع الملائكة كيف يشاء من بينهِم ، وذلكَ لمكانهما من رسول الله ، ومنزلتهما وقرابتهما من رسول الله ، وصلى

رسول الله على حمزةَ سبعينَ صلاةٍ من بينَ الشهداءِ الذين استشهدوا معه ، وكذلك جعل الله تعالى لنساءِ النبي ، للمحسنةِ منهُنَ أجرينِ ، وللمسيئةِ منهُن وزرينِ ، لمكانهما من رسول الله ، وجعلَ الصلاةَ في مسجدِ رسولِ الله بألفِ صلاةٍ في سائر المساجد الى مسجدِ خليلهِ إبراهيم عليه السلام بمكةَ ، وذلك لمكان رسول الله من ربه ، وفرضَ الله عـزَّ وجلَّ الصلاةَ على نبيهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) على كافةِ المؤمنينَ ، فقالوا يا رسول الله كيفَ الصلاةُ عليكَ ، فقال (١٥) : (قولُوا اللهُمَ صلِ على مُحمّدٍ وآل مُحمّدٍ) ، فحقَّ على كلِّ مسلمٍ أنْ يصليَ علينا مع النبي فريضةَ واجبةً ، وأحلَّ الله تعالى خُمسَ الغنيمةِ لرسولِ اللهِ وأوجبها له في كتابهِ ، وأوجبتْ لنا من ذلكَ ما أوجبَ لهُ، وحرمَ عليه الصدقة وحرمها علينا معه ، فأدخلنا - فلله الحمد – فيما أدخل فيه نبيه ، وأخرجنا مما أخرجه منه ونزهَهُ عنه ، كرامةً أكرمنا الله عـزَّ وجلَّ بها ، وفضيلةً فضلنا بها على سائرِ العبادِ ، فقال تعالى لمُحمّدٍ حين جَحدَهُ كفرةُ أهلَ الكتابِ وحاجُوهُ (١٦) : { فقلْ تعالُوا ندعُو أبناءَنا وأبناءَكم ونساءَنا ونساءَكم وأنفسنا وأنفسكم ، ثم نبتهلْ ، فنجعلَ لعنةَ اللهِ على الكاذبين}، فأخرجَ رسولُ اللهِ من الأنفسِ معهُ أبي ، ومن البنينَ إيايَ وأخي، ومن النساءِ أمي فاطمة من الناسِ جميعاً ، فنحنُ أهلُهُ ودمُهُ ونفسُهُ ونحنُ منهُ وهُوَ منا .

وقد قال تعالى (١٧) : { إنَّمَا يريدُ اللهُ ليذهبَ الرجسَ عنكُم أهلَ البيتِ ويطهرُكُم تطهيرًا } ؛ ولما نزلتْ آيةُ التطهيرِ جمعنا رسولُ الله أنا وأخي وأمي وأبي فجللنا ونفسهِ بكساءٍ لأمِ سلمة خيبري (١٨) ، وذلكَ في حجرتِها ويومِها فقال (١٩) : (اللهم هؤلاء أهلُ بيتي ، وهؤلاء أهلي وعِترتي ، فأذهبْ عنهم الرجسَ وطهرهم تطهيرًا) فقالت أم سلمة (رضي الله عنها) : أ أدخلْ معهم يا رسول الله ؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله : يرحمكِ الله أنتِ على خيرٍ والى خيرٍ ، وما أرضاني عنك ، ولكنَّها خاصةً لي ولهم .

ثم مكثَ رسولُ الله بعد ذلك بقيةَ عمرِهِ ، حتى قبضهُ الله اليه ، يأتينا كلَّ يومٍ عندَ طلوعِ الفجرِ فيقولُ (٢٠) : (الصلاةُ يرحمكم الله إنَّما يريدُ الله ليذهبَ عنكم الرجسَ أهلَ البيتِ ويطهركم تطهيرًا) ، وأمرَ رسولُ الله بسدِّ الأبوابِ الشارعةِ (٢١) في مسجدهِ غيرَ بابنا فكلموهُ فقال : (إنّي لم أسدْ

أبوابَكم ، وأفتحُ بابَ عليٍ من تلقاءِ نفسي ، ولكنْ أتبعُ ما يُوحى اليَ ، وإنَّ اللهَ أمرَ بسدِّها وفتحُ بابه ، فلم يكنْ بعد ذلكَ أحدٌ تصيبهُ جنابةً في مسجدِ رسولِ الله ، ويُولدُ فيهِ الأولادُ غيرَ رسول الله ، وأبي علي بن أبي طالب تكرمةً من الله تعالى لنا ، وفضلًا اختصنا بهِ على جميعِ الناس ، وهذا بابُ أبي قرينُ بابَ رسول الله ، وذلك أنَّ الله أمرَ نبيه أنْ يبني مسجدَهُ ، فبنى فيه عشرة (بيوت) تسعةٍ لبنيهِ وأزواجهِ ، وعاشرها وهو متوسطها لأبي فهو لبسبيلٍ مقيمٍ ، والبيتُ هو المسجدُ المُطهر ، وهو الذي قال الله تعالى ((أهلُ البيتِ)) ، فنحنُ أهلُ البيتِ ، ونحنُ الذين أذهبَ الله عنا الرجسَ وطهرنا تطهيرًا .

أيها الناسُ : إنّي لو قمتُ حولًا فحولًا أذكرُ الذي أعطانا الله عزَّ وجلَّ وخصنا به من الفضل في كتابهِ ، وعلى لسانِ نبيه صلى الله عليه وآله ، لم أُحصهِ وأنا ابنُ النبي النذير البشير ، السراج المنير ، الذي جعلهُ الله رحمةً للعالمين ، وأنَّ معاويةَ بن صخرٍ زعمَ أنّي رأيتهُ للخلافةِ أهلًا ، ولم أرَ نفسي لها أهلًا ، فكذبَ معاوية وأيمَ اللهِ لأنا أولى الناسِ بالناسِ في كتابِ الله وعلى لسانِ رسول الله صلى الله عليه واله ، غير إنا لمْ نزلْ أهلَ البيتِ مُخيفين مظلومين ، فالله بيننا وبينَ من ظلمنا حقنا ، ونزلَ على رقابنا ، وحملَ الناسَ على أكتافِنا ، ومنعنا سهمِنا في كتابِ الله من الفيءِ والغنائم (٢٢) ، ومنعَ أمنا فاطمة إرثها من أبيها (٢٣) ، إنا لا نُسمي أحدًا ، ولكنْ أقسمْ باللهِ قسمًا تاليًا ، لو أنَّ الناسَ سمعوا قولَ الله عزَّ وجلَّ ورسوله ، لأعطتهُم السماءُ قطرَها ، والأرضُ بركتَها ، ولما اختلفَ في هذهِ الأمةِ سيفان ، ولأكلوها خضراءَ خضرةٍ الى يومِ القيامةِ ، وما طمعتَ فيها يا معاوية ، ولكنَّها لما أخرجتْ سالفًا من معدنِها ، وزُحْزِحَتْ عن قواعدِها ، تنازعتْها قُريشٌ بينها ، وترامتْها ترامي الكرة ، حتى طمعتَ فيها أنتَ يا معاوية وأصحابكَ من بعدك ، وقد قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله (٢٤) : (ما ولتْ أمةٌ أمرَها رجلاً قطْ ، وفيهُم من هُوَ أعلمُ منهُ ، إلا يُزالُ أمرُها يذهبُ سفالًا (٢٥) ، حتى يرجِعُوا الى ما تركُوا .

وقد تركتْ بنُو إسرائيل ، وكانوا أصحابَ موسى عليه السلام ، وهارون أخاه وخليفته ووزيره ، وعكفُوا على العجلِ ، وأطاعُوا فيه

لسامريَهم ، وهم يعلمونَ أنَّهُ خليفة موسى (٢٦) ، وقد سمعتْ هذه الأمة رسول الله صلى الله عليه واله ، يقول ذلك لأبي عليه السلام (٢٧) : (إنَّهُ مني بمنزلةِ هارونَ من موسى إلا أنَّهُ لا نبيَ بعدي) ، وقد رَأوا رسول الله صلى الله عليه واله ، حينَ نصبهُ لهُم بغديرِ خُم (٢٨) ، وسمعُوهُ ونادى لهُ بالولايةِ ثم أمرَهم ، أنْ يبلغَ الشاهدَ منهُم الغائبَ ، وقد خرج رسول الله حذارًا من قومه الى الغارِ ، لما أجمعوا أنْ يمكروا به وهو يدعُوهم ، ولما لم يجدْ عليهِم أعوانًا ولو وجدَ عليهم أعوانًا لجاهدَهم ، وقد كفّ أبي يدهُ ، وناشدهُم واستغاثَ أصحابهُ ، فلم يُغَثْ ولم يُنْصَرْ ، ولو وجدَ عليهِم أعواناً ما أجابهم، وقد جُعِلَ في سعة كما جُعِلَ النبيُ في سعة .

وقد خذلتني الأمةُ ، وبايعتك يا ابن حرب ، ولو وجدتُ عليك أعوانًا يخلصُون ما بايعتكَ ، وقد جعلَ الله عزَّ وجلَّ هارون في سِعةٍ حينَ استضعفه قومه وعادوه ، كذلك أنا وأبي في سِعة حينَ تركتنا الأمة ، وبايعتْ غيرنا ، ولم نجدْ عليهِم أعوانًا وإنَّما هي السننُ والأمثالُ تتبعُ بعضها بعضًا .

أيها الناس : إنَّكم لو التمستُم بينَ المشرقِ والمغربِ رجلًا جدهُ رسول الله ، وأبوه وصي رسول الله ، لم تجدوه غيري وغير أخي ، فاتقُوا اللهَ ولا تضلوا بعد البيان ، وكيفَ بكم وأنى لكُمْ ذلك ، وأنّي قد بايعتُ هذا (٢٩) : {وإنْ أدري لعلَّهُ فتنةٌ لكُم ومتاعٌ الى حين } .

أيها الناسُ : أنَّهُ لا يُعابُ أحدٌ بتركِ حقّهِ ، وإنَّما يُعابُ أنْ يأخذَ ما ليسَ لهُ ، وكلٌّ صوابٍ نافعٍ ، وكلّ خطأٍ ضارٍ لأهلهِ ، وقد كانت القضيةُ (٣٠) : {ففهمناها سليمانَ } ؛ فنفعتْ سليمان ، ولم تضرْ داود ، فأما القرابة فقد نفعتْ المُشرك ، وهي والله للمؤمن أنفعُ ، قال رسول الله صلى الله عليه واله لعمهِ أبي طالب ، وهو في الموت (٣١) : (قل لا اله الا الله) اشفعُ لكَ بها يوم القيامة ؛ وليس ذلك لأحدٍ من الناس كلهم غيرَ شيخنا - أعني أبي طالب – يقول الله عزَّ وجلَّ (٣٢) : { وليس التوبة للذين يعملون السيئاتِ حتى إذا حضر أحدهم الموت قال أني تبتُ الآنْ ، ولا الذين يموتونَ وهم كفارٌ أولئكَ اعتدنا لهم عذاباً أليماً } .

أيّها الناسُ : اسمعُوا وعُوا واتقُوا الله وراجعُوا ، هيهاتَ منكُم الرجعةَ الى الحقِّ وقد صارعكم النكُوص (٣٣) ، وخامرَكم (٣٤) الطُغيان والجحُود(٣٥) : { أنلزمْكُمُوها وأنتُم لها كارهُون } .

(٣٦) : { والسلامُ على من اتبعَ الهُدى } .

تحليل الخطبة :

بعد توقيع معاهدة الصلح بين الإمام الحَسن (عليه السلام) ومعاوية ابن أبي سفيان ، وضعت الحرب أوزارها ، ولما استتب الأمر لمعاوية ، بدأ بالانقلاب التدريجي على معاهدة الصُلح وصولاً الى نقضها بالكامل ، وأخذ يسُوسَ المسلمين بالقوةِ تارةً بالتهديد تارة أخرى ، وأخرى بالوعيد وثالثة بمنع العطاءِ ، حتى وصلت به الصلافة والوقاحة الى سبِّ الإمام على بن أبي طالب على منابرِ المسلمين ، علمًا أنَّ أحدَ بنود معاهدة الصلح أنْ لا يُشتم الإمام علي ؛ ولا يتعرض بسوءٍ ، ومعاويةُ هو أولُ من سنَّ هذه السنة السيئة ، وأمر بسبّ أصحابِ رسول الله ، ممن يوالون أهلَ البيتِ (عليهم السلام) ، وهذا مما ولد موجةً من الاستياءِ والغضبِ والسخطِ على معاوية وعصابته بين المسلمين الذين يعرفون حقيقة معاوية ، وجذوره المعادية للإسلام وأهل البيت ، أما الآخرون من أهل الشام والبلدان المفتوحة ، فإنّهم وبحكم الإعلام الأموي المعادي لأهل البيت يؤمنون بما يقوله معاوية ، لأنَّهُ بنظرهم هو وليُ أمر المسلمين ، إذ كان معاوية يختم خطبه بالقول (٣٧) : (اللهم أنَّ أبا ترابٍ يعني عليًا ألحدَ في دينك ، وصدَّ عن سبيلك ، فالعنهُ لعنًا وبيلًا ، وعذبه عذابًا أليمًا .... وكتب بذلك الى الآفاق ، فكانت هذه الكلمات يشار بها على المنابر) ، وتمادى معاوية في غيه أكثر من ذلك ، فكتب الى ولاته وعماله على الأمصار (٣٨) : (أنْ برئتْ الذمةُ ممن روى شيئًا عن فضلِ أبي تراب وأهل بيته ، فقامتْ الخطباءُ في كلِّ كورة (٣٩) وعلى المنابرِ يلعنون الإمام علي ويبرأون منه ويقعون فيه ، وفي أهل بيته) ، ولما تفاقم الأمرُ ، وأصبح سبُّ الإمام علي بن أبي طالب على منابر الأمويين لا يحتملُ ولا يطاقُ ، ذهب عبدالله بن عباس الى الشام وقال لمعاوية (٤٠) : (ألا تكفُ عن شتمِ هذا الرجل ؟ فقال : ما كنتُ لأفعل حتى يربو عليهِ الصغير ، ويهرمُ فيه الكبير) ، حتى أنَّ بعض بني أمية لم يعد يتحملْ هذا فقال لمعاوية (٤١):

(فلو كففتَ عن لعنِ هذا الرجل ؟ فقال لا والله حتى يربو عليه الصغير ، ويهرم عليه الكبير ، ولا يُذكرُ لهُ ذاكرًا فضلًا) ، وقد بلغ الأمرُ أنْ يوصي معاوية المغيرة بن شعبة (٤٢) : (ولستُ تاركًا إيصاءك بخصلةٍ ، لا تترك شتمَ علي) .

هنا بلغ السيل الزُبي ، ولم يعد الأمر يحتملْ ، يسبُّ الإمام علي بن أبي طالب ويشتم على منابر المسلمين ، والمسلمين لا حولَ لهم ولا قوة لردع معاوية / وما قام الإسلام إلا بسيف علي وجهاده ، وكتاب الله ، القرآن الكريم يصدح عالياً باسمه ، ويشهد بدوره ، والحَسن والحُسين أحياءٌ ، ولا يكون لهم دور في الذبِّ عن أبيهم أمير المؤمنين ، فانتفضا غضبًا ، وارتقى الإمام الحَسن المنبر ، وألقى خطبةً عصماءَ هي أطولُ خطبه على الاطلاق ، ليرد بها على معاوية الصاعَ صاعين ، ويكشف الحقيقة التي أخفاها معاوية عن المسلمين ، ويجهلها أهل الشام والمسلمون من الأمصار المفتوحة عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وجهاده بين يدي رسول الله ، فضلًا عن دور معاوية وأبيه أبي سفيان ، المعادي للإسلام ، مُنذُ البعثة النبوية الشريفة الى هذا اليوم ، هذه الخطبة تتكون من عدة مقاطع سنتحدث عن كلِّ مقطعٍ منها بالتفصيل :

المقطع الأول : وهو الاستهلال :

بدأ الامام الحسن خطبته بالحمدِ على آلاءِ الباري عزَّ وجلَّ ، وما أعطى من نعمٍ وأجزل ، وبما صرفه عن عباده من المصائبِ والبلاءِ ، وهو المرتفعُ فوقهم بجلالهِ وكبرياءِهِ ، فاللهُ أكبرُ مما تحيطُ به العقول وأسمى ، ولا يحيطُ بمكنونِ علمه غيره ، وشهد أنْ لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وهو الفردُ الصمدُ ، وأنّ مُحمّدًا عبده ورسوله ، بعثهُ الله بالحقِّ ليكون للناسِ سراجًا منيرًا ، وداعيًا الى الله ، ناصحًا للأمةِ ، ليخرجهم من الظلمات الى النور ، وأنا - الحَسن – أحيا وأموت على هاتين الشهادتين.

وخاطب المسلمين بالقول المباشر ، وطلب منهم الاستماع لقوله واستيعابه وفهمه ، وقال لهم : أنَّ الله منحَكم أسماعٌ وأفئدةٌ ، فالله سبحانَهُ وتعالى حينما جعل الإنسان سميعاً ، أراد منه أنْ يسمع الكلامَ ، ليعرفَ الحقَّ

من الباطل ، وأما الافئدةُ فهي العقول التي من واجبِها تميزُ الصالحَ من الطالح ، والتزامُ الصالح والابتعاد عن غير الصالح ، فبأسماعكم وعقولكم، عليكم أنْ تعرفوا إنا أهلَ بيتِ النبي ، أكرمنا الله بالإسلام ، والقرآن الكريم نزل في بيوتنا ، لذلك اختارنا الله من بين خلقه ، واصطفانا على سائر عباده، فقال (٤٣) : { إنَّ الله اصطفى آدمَ ونوحاً وألَ إبراهيمَ وآل عمران على العالمين ، ذُرِيةً بعضُها من بعضٍ واللهُ سميعٌ عليمٌ } ، ونحن آل إبراهيم ، وذرية إسماعيل ، وتبعًا لهذا الاختيار المبارك والاصطفاء ، طهرنا الله من الأرجاس والأدناس والشك ، وجعلنا من عباده المخلَصين فقال (٤٤) : { إنَّما يريدُ اللهُ ليذهبَ عنكُم الرجسَ أهلَ البيتِ ويطهركم تطهيرًا } ، فنحنُ أهل بيت النبي الطاهرين ، لا شائبة فينا ولا عيب ، فنزلت هذه الآية الكريمة ، فأرادها رسول الله أنْ تكون خالصة لنا ، من غير أنْ يُشْرَكنا فيها أحدٌ من المسلمين ، فقال في حديثِ الكساء ، وقد روته السيدة أم سلمة قائلةً (٤٥) : (دعا النبيُ علياً ؛ وفاطمة ؛ وحسنًا وحسينًا ، وعليٌ خلفَ ظهرِهِ ؛ فجللهم بكساءٍ ، ثم قال هؤلاء أهل بيتي ، فاذهبْ اللهم عنهم الرجسَ وطهرهم تطهيرًا) ، وأوضح الإمام الحَسن معنى الرجس وقال : أنَّهُ الشك في الله ودينه ، ونحن أهل بيت الله لا نشك بالله طرفةَ عينٍ ، ولا نشركُ به أبدًا ، فنحنُ أهلُ البيت مطهرين ومصطفين من كلَّ الشوائب ، لا نقص فينا ولا عيب ، قلوبنا نقيةٌ خاليةٌ من الأحقادِ والحسد والكراهيةِ ، حتى يتصلُ نسبنا بآدم ، وعندما قسم الله الناس الى فرقتين ، جعلنا في أحسن الفرقتين فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (٤٦) : (إنَّ الله اصطفى من ولدِ إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من إسماعيل كنانة ، واصطفى من كنانة قُريشًا، واصطفى من قُريشٍ بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم) ؛ فنحنُ أولادُ محمّدٍ (عليه الصلاة والسلام) ، فأينَّما كان كُنا ، وحينما بعث الله مُحمّدًا بالرسالة ليخرج الناس من الظلمات الى النور ، والدعوة الى عبادة الله وحده لا شريك له ، ونبذ عبادة الأصنام والأوثان ، كان أبي أولَ من استجاب لدعوته وصدَّقهُ ، علماً أنَّ أبي عليًا لم يسجدْ لصنمٍ أو وثنٍ قط ؛ حتى قِيلَ عنهُ ((كرم الله وجهه)) (٤٧) ، وقد أكد هذه الحقيقة القرآن الكريم في قوله تعالى (٤٨) : { أ فمنْ كانَ على بينةٍ من أمرِهِ ، ويتلُوهُ شاهدٌ منهُ } ، فالذي كان على بينةٍ من ربه ، هو رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ،

وعلي بن أبي طالب هو الشاهد الذي كان يتلو القرآن الكريم ، بعد شهر رمضان من السنة التاسعة للهجرة ، أراد رسول الله أداءَ فريضةَ الحجّ ، ثم تراجعَ بوحيٍ من الله (٤٩) ولما نزلتْ سورة براءة ، وهي الاسم الثاني لسورة التوبة (٥٠) وفيها براءةٌ من المشركين ، وكان النبي قد عاد من عمرةِ الجعرانةِ قبل أيامٍ (٥١) بعث أبا بكر على الحجّ ، فأقبل الحجيجُ معه حتى كانوا بالعرج (٥٢) ولما بانَ الفجرُ ، نهضَ أبو بكر ليكبر ، فسمع الرغوةَ خلفَ ظهره ، فتوقف عن التكبير ، فقال : هذه رغوةُ ناقةِ رسول الله الجدعا(٥٣) ، فلعلَّهُ يكون رسول الله ، فنصلي معه ، فإذا هو عليٌّ عليها ، فقال أبو بكر : أميرٌ أم رسولٌ ؟ قال : رسولٌ أرسلني رسولُ الله ببراءة أقرؤُها على الناس في مواقف الحج ، وأُأَذِنُ بها في المسجد الحرام ، لأنَّ رسول الله قال لعلي (٥٤) : سِرْ بها يا علي ، فإني أمرتُ أنْ لا يسيرُ بها إلا أنا ، أو رجلٌ مني ، وأنتَ هو يا علي ، فلحق على أبي بكر على ظهرِ ناقةِ رسول الله العضباء ، حتى أدركه بذي الحُليفة فأخذها منه ، وقيل أنَّ أبا بكر رجع ، فقال هلْ نزلَ فيَ شيءٌ ، فقال رسول الله لا ، إلا خيراً ، ولكن لا يُؤدي عني إلا أنا أو رجلٌ مني ، وقال رسول الله لأبي علي بن أبي طالب(٥٥) : (أنتَ مني ، وأنا منك) ، وأبي هو أول من صدَّق رسول الله واستجاب لدعوته ، ووقاهُ بنفسه ، وباتَ على فراشه ليلة هجرته من مكة الى المدينة ، فأوحى الله الى جبرائيل وميكائيل : إنّي آخيتُ بينكما ، وجعلت عمر أحدِكما أطولُ من عمرِ صاحبه ؛ فأيكما يؤثر أخاهُ عمره ، فكلاهما كرها الموت ، فأوحى اليهما أنّي آخيتُ بين عليٍ وليي وبين محمّدٍ نبيي ، فآثر عليٌ حياته لنبيي ، فرقد على فراش النبي ، يقيه بمهجته ، اهبطا الى الأرض واحفظاه من عدوه ، فهبطا فجلس جبرائيل عند رأسه ، وميكائيل عند رجليه ، وجعل جبرائيل يقول : بخٍ بخٍ من مثلك يا ابن أبي طالب ! والله عزَّ وجلَّ يباهي بك الملائكة (٥٦) ، فأنزل الله تعالى قوله (٥٧) : { ومن الناسِ من يشري حياته ، ابتغاء مرضاتِ الله } ، فقال الإمام علي في ذلك شعراً يفتخرُ به (٥٨) :

وقيتُ بنفسي خيرَ من وطئَ الحَصى ومنْ طافَ بالبيتِ العتيقِ وبالحجرِ

مُحمّدٌ لما خافَ أنْ يَمْكروا بـــــــهِ فوقاهُ ربي ذو الجلالِ من المكـرِ

وبتُ أراعيهم متى ينشروننـــــــي وقدْ وطنتُ على القتلِ والأســـرِ
وباتَ رسولُ اللهِ في الغارِ آمنـــــاً هناكَ وفي حفظِ الالهِ وفي ســـترِ
أقامَ ثلاثاً ثم زُمَتْ قلائـــــــــصٌ قلائصُ يفرينَ الحصى أينما يفرِي
أردتُ به نصرَ الالهِ تبتـــــــــلاً وأضمرتُهُ حتى أوسَدَ في قبـــرِي

وكانَ أبي مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في المواطنِ كافة، وكان ساعده القوي على كلِّ مهمةٍ ، يعتمده ويقدمه لكلِّ عقبةٍ شديدةٍ تعترضه، وهو مطمئنٌ اليه ، ونصيحته لله ورسوله .

المقطع الثاني من الخطبة

بعد أنْ فرغ من المطع الأول من الخطبة ، انتقل الى القطع الثاني منها، وهو من أجمل الانتقالات حتى لا يكاد المستمعُ أنْ يشعرَ بالانتقال لشدة ارتباط المقطع الثاني بالأول وكأنَّهُ جزءٌ منه ، وفعلاً إنَّ هذا المقطع يمثلُ امتداداً للمقطع الذي سبقه ، وقد ابتدأ هذا المقطع بقوله كان أبي : (أقربُ المقربينَ من اللهِ ورسولِهِ) ، وقد قال اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه الكريم:(٥٩): { والسابقونَ السابقونَ ۞ أولئكَ هُمُ المقربونَ } ، ولو عدنا الى القران الكريم، وقرأنا الآيات الكريمات (٦٠): { وكنتُمْ أزواجًا ثلاثة۞ فأصحابُ الميمنةِ ما أصحابُ الميمنةِ ۞ وأصحابُ المشئمةِ ما أصحابُ المشئمةِ ۞ والسابقُونَ السابقُونَ ۞ أولئكَ هُمُ المقربُون } نستبينُ من قوله تعالى أنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالى قسمَ الناسَ على ثلاثةِ أصنافٍ هم : الصنف الأول هم (أصحابُ الميمنةِ ما أصحابُ الميمنةِ) ، والصنف الثاني هُم (المشئمةِ ما أصحابُ المشئمةِ) ، والصنف الثالث وهم قِمَةَ الهرمِ وهُم : (السابقُون السابقُون) ، فالصنفُ الأولُ هُم أهل الايمانِ والطاعةِ ، وهُم أصحابُ الميمنةِ ، لأنَّ اليمينَ خيرٌ من الشمالِ ، والصنفُ الثاني هُم العصاةُ لأوامرِ الله عزَّ وجلَّ ، وهُم المشركُون والمنافقُون ، وكنى عنهم بأصحابِ المشئمةِ ، ولم يقلْ أصحابُ الشمال ؛ لأنَّ المشئمةَ مأخوذة من الشؤم ، والصنفُ الثالثُ ، هم السابقُون السابقُون ، أولئك هم المقربُون ، وهُم قمة هرم أهلِ الميمنةِ ، فهُم منهُم وعلى رأسهم ، ولكنَّهم أعلى منهم درجةً ، وأرفعُ مقامًا ، إذاَ من هُم السابقُون السابقُون ؟ هنا بيتُ القصيدِ في خطبة

الامام الحسن في قوله : (رجلٌ لم يسبقْهُ أحدٌ) ؛ اختلف المفسرون في تفسيرِهم لهذه الآية الكريمة ، فالإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول أنَّها (٦١) : (فيَّ نزلتْ) ، وقال عبدالله بن عباس : هم السابقون للهجرة، وقيل الى الصلوات الخمس عن علي ، وقيل الى الجهاد عن الضحاك ، وقيل الى التوبة وأعمال البر عن سعيد بن جُبير ، وقيل الى ما دعا الله اليه عن ابن كيسان ، فيما قال الإمام أبو جعفر محمد الباقر (عليه السلام) فهو : (السابقُون أربعةٌ : ابن آدم المقتول ، وسابقٌ في أمةِ موسى ، وهو مؤمنُ آلِ فرعونَ ، وسابقٌ في أمةِ عيسى ، وهو حبيبُ النجار ، والسابقُ في أمةِ محمّدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو عليُ بن أبي طالب (عليه السلام)(٦٢) وهو أفضلهم ، وأعلاهم درجةً ومقاماً ، ونلحظ هنا الإمام الباقر (عليه السلام) يؤكد ما قاله جده أمير المؤمنين في أنَّ الآية نزلت في الإمام علي (عليه السلام) ، وتفسير أهل البيت (عليهم السلام) ، هو المعول عليه ، لأنَّهم عدلُ القرآنِ الكريم ، وعندما نمعن النظر في التفاسير التي سبقت تفسير الإمام محمد الباقر (عليه السلام) ، نجدها لا تنهض بقوة أمام تفسير أبي جعفر الباقر (عليه السلام) ، وذلك لاستخدامها فعل التمريض (قيل) الذي يحمل بين طياته ٨٠% من الشك ، وما قاله أبو جعفر هو عين اليقين الذي لا يأتيه الباطل ، والسابقُون كما قلنا هم قمة هرم أهل الإيمان والطاعة ، ومعروفٌ لدى الجميع أنَّ القمة لا تتسع لأكثرِ من واحدٍ ، والواحدُ هو أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وروى عبدالله ابن عباس أيضاً عن النبي محمد (عليه الصلاة والسلام) قوله (٦٣) : (السُّبَّقُ ثلاثةٌ : السابقُ الى موسى يوشع بن نون ، والسابقُ الى عيسى صاحب ياسين ، والسابقُ الى محمّد علي ابن أبي طالب) ، نلحظ هنا أنَّ ابن عباس لم يذكر السابق ابن آدم ، وذكر صاحب ياسين بدلا من حبيب النجار ، وأما قول الإمام الحسن عليه السلام : (ولا يدركه الآخرون) ، أراد أنَّ الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) كان متفوقًا في الايمان والطاعة لله سبحانه ، وبأعماله كافة ، على كل من سبقه من المسلمين والمؤمنين ، وأما الآية الكريمة التي جاء بها الامام الحسن عليه السلام في قوله : وأقرب الأقربين قال تعالى : { لا يستوي منكم مَنْ أنفقَ قبلَ الفتحِ وقاتلَ أولئكَ أعظمُ درجةً}، فقد (٦٤) ؛ (افتخر طلحة بن شيبة من بني عبد الدار ، والعباس بن

عبدالمطلب، وعلي بن أبي طالب ، فقال طلحة : معي مفتاح البيت ! وقال العباس : أنا صاحبُ السقاية ، وقال علي : لقد صليت الى القبلة ستة اشهر قبل الناس ، أنا صاحبُ الجهاد !) فنزل الوحي بالفصل في ذلك (٦٥) : {أجعلتُمْ سقايةَ الحاجِ وعمارةَ المسجدِ الحرامِ كمنْ آمنَ باللهِ واليومِ الآخرِ وجاهدَ في سبيلِ اللهِ لا يستوُون عندَ اللهِ } ، فعليٌ آمن وصدَّق قبل فتح مكة، وطلحة والعباس ممن أسلم بعد فتح مكة ؛ فأبي أقدمهم اسلامًا أولُهم إيماناً ، فهل يستوون ؟ والمسلمون الذين من بعده ومن مختلف الأمم يدعون له بالخير ، لأنَّهُ لم يسبقه أحدٌ الى الإيمان ، فهو سابقٌ للسابقين كافة ، فالله فضل السابقين على المتأخرين ، وفضله على السابقين ، وممن استجاب لله ورسوله حمزة بن عبدالمطلب وجعفر بن أبي طالب ، فقتلا شهيدين في نصرة الله ورسوله ، فكان حمزة سيد الشهداء ، وجعفر لُقِبَ بالطيار بعد أن قطع المشركون يديه في معركة مؤتة في السنة الرابعة من الهجرة ، فاستبدلهما له بجناحين يطير بهما في الجنة مع الملائكة ، وميز رسول الله حمزة عن الشهداء كافة ، فصلى عليه سبعين صلاة ، هذا من ناحية رجال أهل البيت ، أما النساء وبالتحديد نساء النبي عليه الصلاة والسلام ، جعل للمؤمنة المطيعة لله ورسوله أجرين ، بزيادةِ أجر عن المسلمةِ المؤمنة الأخرى ، ومثلُ الثواب العقاب ، فجعل على المسيئةِ منهن وزرين من العذابِ ، تكريمًا لرسول الله ، فقد جعل الله الصلاة في المسجد النبوي تعدل الف صلاة عن الصلاة في المساجد الأخرى باستثناء المسجد الحرام ، فضلًا عن ذلك فرضَ الله سبحانه وتعالى الصلاة على النبي على كلِّ مُسلمٍ ومسلمةٍ، ومَنْ لا يُصلي على النبي ، لا ايمانَ لهُ ، وأحبَّ رسول الله هذه المزية ، وأراد أنْ يشركه فيها أهل بيته ، إذ كان المسلمون يقولون : (صلى الله عليه وسلم) فناهم النبي عنها وقال لهم (٦٦) : (لا تصلوا عليّ الصلاة البتراء / قالوا : وما الصلاة البتراء يا رسول الله ؟ قال : تقولون : اللهم صلِ على مُحمّدٍ وتسكتون ، بل قولوا : اللهم صلَ على مُحمّدٍ وعلى آلِ مُحمّد) ، وقد جعلها النبيُ فريضةً واجبةً على كلِّ مُسلمٍ ومُسلمةٍ ، فمَنْ لمْ يصلِ على آلِ البيتِ مع النبي ، لا تُقبلُ صلاته ، وقد أحسن الشافعي حينما نظمها شعرًا فقال (٦٧) :

يا آلَ بيتَ رسول الله حُبُّكُـمُ فرضٌ من الله في القرآنِ أنزلَـهُ

يكفيكُمُ من عظيمِ الفخرِ أنَّكمُ من لم يُصلِّ عليكُمُ لا صلاةَ لَهُ

يقول الإمام الحسن (عليه السلام) لم يكتفِ النبي بذلك ، فأدخلنا معه في خُمس الغنيمةِ مما يفيءُ به اللهُ على المسلمين ، وأوجبها لنا ، كما أوجبها الله للرسول في القرآن الكريم ، وحرم الله الصدقةَ على رسوله الكريم ، فحرم الرسولُ علينا الصدقة بأمرٍ من الله ، وأخرجنا ونزهنا مما أخرجه منه ونزهه عنه ، كرامةً أكرمنا الله عزَّ وجلَّ بها ؛ وجعلها لنا فضيلةً على سائر المسلمين ، وحينما حجده أهل الكتاب من نصارى نجران وحاجوه ، أمر النصارى أنْ يخرجوا مع عوائلهم الأقربين للمباهلة فأخرجنا معه فقال تعالى(٦٨) : { فقل تعالوا ندعو أبناءَنا وأبناءَكم ونساءَنا ونساءَكم وأنفسنا وأنفسكُم ثم نبتهلْ فنجعل لعنة الله على الكاذبين } ، فمن الأنفس أخرج رسول الله معه أبي علي ، ومن الأبناءِ أنا وأخي الحُسين ومن النساءِ أمي فاطمة من الناس جميعاً ، فمن هذا المنطلق دمُ رسول الله هو دمُنا ، ولحمه لحمنا، ونفسه هي نفسنا ، فهومنا ونحنُ منه ، وكانت أيةُ التطهيرُ لنا ، وخاصة بنا(٦٩) : { إنَّمَا يريدُ اللهُ ليذهبَ الرجسَ عنكُم أهلَ البيتِ ويطهرُكُم تطهيراً}، ولما نزلتْ آيةُ التطهيرِ جمعنا رسولُ الله أنا وأخي وأمي وأبي فجللنا ونفسهِ بكساءٍ لأمِ سلمة خيبري ، وذلكَ في حجرتِها ويومِها فقال (٧٠) : (اللهم هؤلاء أهل بيتي ، وهؤلاء أهلي وعترتي ، فأذهبْ عنهم الرجسَ وطهرهم تطهيرًا) فقالت أم سلمة (رضي الله عنها) : أ أدخلْ معهم يا رسول الله ؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله : يرحمكِ الله أنتِ على خيرٍ والى خيرٍ ، وما أرضاني عنك ، ولكنَّها خاصةً لي ولهم) ، وظل رسول الله عليه الصلاة والسلام الى أنْ قبضه الله اليه ، في فجرِ كلِّ يومٍ يقفُ على بابنا وينادي برفيعِ الصوتِ : (الصلاةُ يرحمكم الله ، إنَّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرًا) ، وكانت كلُّ بيوت النبي والصحابة أبوابها مشرعةً الى المسجد النبوي الشريف ، ولما كان يحدث في البيوت ما يحدث ، أمر اللهُ رسوله الكريم بغلقِ الأبوابِ كافة باستثناء أبوابه وباب بيتنا ، وكان عدد البيوت المستثناة عشرة منها تسعةٌ للنبي والعاشرةُ لنا ، وحاج بعض الصحابة النبي على استثناء بابنا ، فردهم النبي قائلًا : الأمرُ من الله وليس مني فافحمهم ، وكان بيتنا يقع في وسطِ بيوتِ النبي .

المقطع الثالث من الخطبة :

بعد أن قدم الإمام الحَسن (عليه السلام) عرضاً شاملاً ومفصلاً عن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وأهل البيت الطيبين الطاهرين الكرام ، ومكانتهم عند الله ورسوله ، وفند كلَّ ما قاله معاوية بن أبي سفيان فيهم ، قال الإمام الحَسن (عليه السلام) : لو حدثتكم حولًا كامًل ، لمّا انتهتْ فضائلُ عليٍ وأهلِ البيتِ ، ثم انتقل الشق الثاني من الخطبة ؛ وهو مخصصٌ لتعريةِ معاوية فضحه أمام المسلمين ليعرف القاصي منهم والداني أنَّ معاوية وأباهُ أبا سفيان لم يكونا مسلمين قط ، بل هُما قطبا الكفر والشرك والنفاق ، وهما ممن حارب الله ورسوله منذ اللحظات الأولى للإسلام ، مفندًا قول معاوية أنَّ الحَسن ليسَ مؤهلًا لخلافة المسلمين ، وأنَّ الحَسن يرى أنَّ معاوية هو المؤهل للخلافة ، فهذا محضُ كَذِبٍ وافتراءٍ ، وليسَ لهُ من الصحةِ شيئًا ، وأقسمُ بالله العظيم ، أنا أولى الناس بالخلافة في كتاب الله القرآن الكريم ، وعلى لسان رسول الله ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عني وعن أخي الحُسين (٧١) : (ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا)؛ فالإمامةُ تعيينٌ من اللهِ ؛ وليسَ بالانتخابِ أو الشورى أو الوصيةِ ، فإمامُ المسلمين هو خليفتهم ، فضلًا عن كوني أنا وأخي الحُسين سيدا شبابِ أهلِ الجنةِ على لسانِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآلهِ وسلم (٧٢) : (الحَسن والحُسين سيدا شبابِ أهلِ الجنةِ) ؛ فمنْ يُصلحُ للإمامة المسلمين ، والخلافة عليهم ؛ سيد شباب أهل الجنة ، أم الطليقُ بن الطليقِ ، والطلقاء محرمةُ عليهم الإمامةِ والخلافةِ ؟ لكنَّ ظلمونا في السقيفة ، واغتصبوا حقنا وحرمونا من إرث رسول الله ، وحملوا الناس على أكتافنا ، ومنعونا الفيءَ والغنائم ؛ وصادروا ظلمًا واجحافًا فدكًا من أمي فاطمة بنت محمد ، وكان الله عزَّ وجلَّ قد أخبر نبيه بما سنلاقي من بعده ؛ فهم يتربصون بنا منذ زمن النبي منتظرين اللحظة المناسبة للإنقاض علينا ، في قوله تعالى (٧٣) : { وما مُحمّدٌ إلا رسولٌ قد خلتْ من قبلهِ الرُّسلُ أفإنْ ماتَ أو قُتِلَ انقلبتُمْ على أعقابِكُمْ } ، وفعلاً حدثَ الانقلابُ ، ورسولُ اللهِ مُسجىً ، لم يُغسلْ ، ولم يُدفنْ بعد ، فتلقفوا خلافته ، ونحنُ مشغولونَ بتجهيزِهِ ، ولو طبقوا ما أوصاهُم بهِ رسولُ اللهِ ، وبما اختارهُ لهُم من خليفةٍ من بعده في يوم الغدير ، لدرتْ عليهم السماءُ والأرضُ خيرًا وفيرًا ؛ لا يعدُ ولا يُحصى ، لكانوا يدًا قويةً

واحدةً ، ولما حدثَ خلافٌ بين سيفينِ من سيوفِ المسلمين ، ولكنْ تركُ الخليفة الشرعي ، واختيار بديلاً عنه ، هو الذي شجعك وجعلك تطمع بها ، وأنتَ لستَ من أهلِها ولا أهلًا لها ؛ وقد قال رسول الله : (ما ولتْ أمةٌ أمرَها رجلاً قطْ ، وفيهُم من هُوَ أعلمُ منهُ ، إلا يُزالُ أمرُها ويذهبُ سفالًا ، حتى يرجِعُوا الى ما تركُوا) ، وقد سبقكم الى هذا مثل هذا الموقف بنو إسرائيل أصحاب موسى (عليه السلام) ، وذلك حينما ذهب موسى الى ميقات ربه ، وخلف عليهم وزيره وأخاه هارون ، ولكنهم تركوا هارون وأطاعوا السامري الذي أخرجَ لهم عجلاً (٧٤) : { فأخْرَجَ لهُم عِجْلاً جَسَداً لهُ خَوَارٌ فقالُوا هذا إلهِكُم وإلهُ موُسى } ، وقد سمعتُ رسول الله يقول لأبي : أنَّهُ منه بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي ، اذ كان هارون وزيرًا لموسى ونبيًا شريكًا له في الرسالة ، وأما أبي فهو وزير وليس بنبي ، فقد نصبه رسول الله اماماً لهم وخليفة عليهم من بعده في غدير خم ، ونادى فيهم برفيع صوت ، مَنْ كنتُ مولاهُ فعليٌ مولاهُ ، وليبلغ الشاهد منهم الغائب ، ولكنهم نبذوا وصيةَ رسول الله وراءَ ظهورهم ، وجاءوا برجلٍ ليس من أهلها ، ولما أشتد الأمر بمكة وتعرض النبي لشتى أنواع المعارضة والعذاب، لم يجد ناصراً ينصره ، ولاسيما بعد وفاة عمه أبي طالب ، (٧٥): (نزلَ جبرئيلُ ليلةَ ماتَ أبو طالب ، وقال : يا مُحمّد أخرجْ من مكةَ فما لكَ بها من ناصرٍ بعدَ أبي طالب) ، ولما استعد للهجرة ، خاف على نفسه القتل، أمره الله أنْ يخرج متخفيًا في الليل ، وأنْ يبيتَ علي على فراشه ، وفعلاً بات أبي على فراشه ووقى النبي بنفسه ، فقال الله (٧٦) : (أنّي آخيتُ بين عليٍ وليي ، وبين محمّدٍ نبيي ، فآثر عليٌ حياته لنبيي ، فرقد على فراش النبي ، يقيه بمهجته) ، فنزل قوله تعالى : { ومن الناس من يشري حياته ابتغاء مرضات الله } ، ولو وجد رسول الله من أصحابه سندًا له وعونًا ، لجاهدهم ولكنَّهُ لم يجدْ من ينصرهُ على الرغم من مناشدته اياهم واستغاثته بهم ، ومثلما خذلوا رسول الله ، ولم يجاهدوا معه ، فقد خذلوني ، وبايعوك يا ابن حربٍ ، ولو وجدت عليك مخلصين ما بايعتك ، وقد جعلني الله وأبي في سعة ، لما تخلت عنا الأمة وبايعت غيرنا ، ولم تنهض معنا لمحاربة الباطل .

ثم التفت الإمام الحَسن (عليه السلام) الى المخاطبين وقال لهم : لو بحثتُم في مشارقِ الأرضِ ومغاربها عن رجلٍ جدُّهُ رسول الله ، وأبوه وزيرُ رسول الله ووصيه ، فلن تجدوا أحدًا غيري وغير أخي الحُسين ، فاتقوا الله لكي لا تضلوا بعد أنْ هداكم للإيمان ، ومعرفة الحقَّ وأهله ، وخافوا الله فينا على أنفسكم وأولادكم وأموالكم ، وكيف لكُم معرفة الحقّ من الباطل ، وقد بايعتُ هذا (٧٧) ، ولعل ما يجري هو فتنة لكم ومتاع مؤقت .

أيها الناس : ليسَ المعيبُ في الأمر أنْ اتركَ حقي في الخلافة ، ولكنَّ المعيبَ في الأمر أنْ يأخذ حقي من لا يستحقه على مرأى ومسمعٍ من المسلمين ، ولا يحركوا ساكناً ، والخطأ يضرُ أهله ولا يتجاوزهم ، ولنا أسوةٌ في قوله تعالى (٧٨) : { ففهمناها سليمان } ؛ فقد أفادت سليمان فيما أبدى من رأيٍ ، ولكنَّها لم تضرْ داود ، وهذه الحالة أو القضية قسماً بالله انفعُ للمؤمن ، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعمه أبي طالب ، وهو على فراش الموت : ((قل لا اله إلا الله)) ، أشفعُ لك بها يوم القيامة، ولم يقلْ رسول الله ذلك لأحدٍ ، قبل شيخنا أبي طالب ولا بعده ، هذه الكلمة في ظاهرها للجاهل أنَّ أبا طالب لم يكن مسلماً ، كيف لا يكون مسلماً ، وهو حامي رسول الله وناصره ، وموته سببًا في هجرته من مكة الى المدينة ، ولكنْ كان القصدُ منها ، إذا كان المؤمنُ على فراشِ الموتِ عليه أنْ ينطق الشهادتين ، قبل أن تفارق روحه جسده ، وهذا هو الجاري في السنة النبوية الشريفة الى اليوم والى يوم يبعثون ، يطلبُ من المُحتضر أنْ يتشهدَ ويقول ((لا اله إلا الله ، محمد رسول الله)) لتكون خاتمة أقواله يوم الحساب ، كما يُفهم للوهلة الأولى من الآية الكريمة (٧٩) : { وليس التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال أني تبت الآن ولا للذين يموتون وهم كفار أولئك لهم عذاباً أليماً } ، أنها نزلت في أبي طالب كما يشيعه الإعلام المعادي لأهل البيت ، وإنَّما كانت الآية الكريمة مختصة بالمشركين والمنافقين من المستهزئين الذين يقولون : نلعب ونلهو وعند حضور الموت نقول ألان نحن تبنا الى الله ونحن مؤمنون ، هؤلاء المشركون والمنافقون ، هم كفارٌ ويموتون وهم كفارٌ ، مصيرهم يؤول بهم نار جهنم خالدين فيها ، ولهم من الله عذاب اليم .

وختم خطبته الشريفة قائلًا : اسمعوا الكلام واستوعبوه ، وخافوا الله وراجعوا أنفسكم يوم يأتيكم يوم لا مرد له من الله ، ومن المستحيلِ أن تعودوا لرشدكم والى الحقِّ وقد غلبكم الباطل ، بعد أنْ خذلتم الحقَّ وخالطكم الطغيان، وجحود النعمة ، وانتم راغبون في ذلك ، أ نجبركم على التزام الحقَّ ، والابتعاد عن الباطل ، وأنتم في الباطل تعيشون ، والسلام على من اتبع الهدى ، أي السلام على من عرفّ الحقَّ وعمل به ، ورحمة الله وبركاته.

الهوامش :

١- حلية الأبرار : ١ / ٢٥٣ ، أمالي الطوسي : ٥٦١ ، سيرة الأئمة : ٥٣٢ ، بحار الانوار : ١٠ / ١٣٨ ، الاحتجاج : ٦٦/٢
٢- الفهماء : هم حملة الفهم ومبلغوه للناس ، والساعون لنشره ، والفهماء هم ورثةُ الأنبياء . من النت
٣- العمالة : أجر العامل وثوابه
٤- الأحلة : جمع حلة ، وهم أهل الحلال دون الحرام
٥- إشارة الى آية التطهير من سورة الأحزاب ، الآية : ٣٣
٦- إحن وغية : أحقاد وضلال
٧- سورة هود ، الآية : ١٧
٨- براءة : المقصود بها سورة براءة ، وينظر بحار الأنوار : ١٠ / ١٤٠
٩- مسند أحمد بن حنبل : ١ / ٩٨
١٠- سورة الواقعة ، الآية : ٥٦
١١- سورة الحديد ، الآيتان : ٥٣ ــ ٥٤
١٢- سورة الحجر ، الآية : ٤٧ ؛ الغل : الحقد
١٣- سورة التوبة ، الآية : ١٠٠
١٤- سورة التوبة ، الآية : ١٩
١٥- ينابيع المودة : ١ / ١١
١٦- سورة آل عمران ، الآية : ٦١
١٧- سورة الأحزاب ، الآية : ٣٣
١٨- أم سلمة : هي أم المؤمنين (رضي الله عنها) ، اسمها هند بنت أبي أمية بن المُغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشية ، تزوجها رسول

الله سنة ٣ هـ ، وهي من المهاجراتِ إلى الحبشة ، توفيتْ بعد سماعِها خبر نعي الإمام الحُسين عليه السلام ، الإصابة في تمييز الصحابة : ٤٥٨/٤ وما بعدها .

١٩- ينابيع المودة : ١ / ١٢٦

٢٠- سورة الأحزاب ، الآية : ٣٣

٢١- الشارعة : الأبواب المتجهة أبوابها نحو مسجد رسول الله

٢٢- الفيء : خراج الغنيمة

٢٣- فدك : ملكٌ خاصٌ خالصٌ للرسول الله ، أهداهُ لفاطمة الزهراء ، ولكنَّ أبا بكر بعد وفاة النبي استرجع الهدية غصبًا عنها ، وماتت وهي ساخطة عليه .

٢٤- بحار الأنوار : ١٠ / ١٤٣

٢٥- سَفالًا : انحدارًا ، والسفالةُ أسوءُ أنواعِ الانحدار ، وهي شريكةُ الانحطاط في سوء المرتبة .

٢٦- سورة الأعراف ، الآية : ١٤٨ ونصها { واتخذ قوم موسى من بعده عجلًا له خوار } .

٢٧- ينابيع المودة : ١ / ٦٧

٢٨- غدير خُم : غدير ماء يقع في الجحفة على بعد ١٥٠ كم تقريبًا من مكة ؛ ينظر معجم البلدان : مادة خُم ، وهي اليوم موضع احرامٌ للمسلمين قبل دخول مكة للحج أو العمرة .

٢٩- سورة الأنبياء ، الآية : ١١١

٣٠- سورة الأنبياء ، الآية : ٧٩

٣١- صحيح ابن حبان : ١٤ / ١٦٧ رقم الحديث : ٦٢٧٠

٣٢- سورة النساء ، الآية : ١٨

٣٣- النكوص : الإحجام عن الشيء ، والرجوع عنه بالسلب .

٣٤- خامر : خالط

٣٥- سورة هود ، الآية : ٢٨

٣٦- سورة طه ، الآية : ٤٧

٣٧- شرح نهج البلاغة : ٤ / ٥٦ ــ ٥٧

٣٨- شرح نهج البلاغة : ١١ / ٢٤

٣٩- الكورة : المدن الصغيرة والمتوسطة التابعة للأمصار المفتوحة .
٤٠- شرح نهج البلاغة : ١٣ / ٢٢٢
٤١- شرح نهج البلاغة : ٤ / ٥٧
٤٢- تاريخ الطبري : ٥ / ٢٥٣ ، الكامل في التاريخ : ٣ / ٢٣٤
٤٣- سورة آل عمران ، الآيتان : ٣٣- ٣٤
٤٤- سورة الأحزاب ، الآية : ٣٣
٤٥- ينابيع المودة : ١ / ١٢٥
٤٦- صحيح مسلم : ١١ / ٣٨٠ ، أمالي المفيد : ٢١٦
٤٧- غذاء الألباب : ١ : ٢٣
٤٨- سورة هود ؛ الآية : ١٧
٤٩- من النت
٥٠- مجمع البيان : ٥ / ٥ وما بعدها فيما يتعلق بسورة التوبة ((براءة)) ، وينظر ينابيع المودة : ١ / ١٠٢
٥١- الجعرانة : موضع يقع بين مكة والطائف ، يبعد عن مكة من ناحية الشمال ثمانيةَ عشرَ ميلاً ، ينظر معجم البلدان مادة الجعرانة .
٥٢- العرج : عرجَ بالمكان ، نزل فيه
٥٣- الجدعاء : هي ناقة رسول الله العضباء
٥٤- ينظر ينابيع المودة : ١/ ١٠٢ ، مجمع البيان : ٥ / ٥
٥٥- ينابيع المودة : ١ / ٦٤
٥٦- ينابيع المودة : ١ / ١٠٦ ــ ١٠٧
٥٧- سورة البقرة ، الآية : ٢٠٧
٥٨- ديوان الإمام علي : ٥٧
٥٩- سورة الواقعة ، الآيتان : ١٠ ــ ١١
٦٠- سورة الواقعة ، الآيات : ٧ ــ ١١
٦١- عيون أخبار الرضا : ٥٤٩
٦٢- مجمع البيان : ٩ / ٢٧٦ ــ ٢٧٧
٦٣- مجمع الزوائد : ٩ / ١٠٢
٦٤- ينابيع المودة : ١/ ١٠٧
٦٥- سورة الحديد ، الآية : ٥٧

٦٦- ينابيع المودة : ١ / ١١
٦٧- ديوان الشافعي : ١٠٦
٦٨- سورة آل عمران ، الآية : ٦١
٦٩- سورة الأحزاب ؛ الآية : ٢٢
٧٠- ينابيع المودة : ١ / ١٢٦
٧١- أمالي الصدوق : علل الشرائع : ١ / ٢١١
٧٢- سنن الترمذي : ٥ / ٦٥٦ ؛ ٥ / ٦٦١
٧٣- سورة آل عمران ، الآية : ١٤٤
٧٤- سورة طه ، الآية : ٨٨
٧٥- أبو طالب حامي الرسول وناصره : ٢٠٦
٧٦- ينابيع المودة : ١ / ١٠٦ – ١٠٧
٧٧- قال هذا ولم يقل اسمه ((معاوية)) تحقيراً له
٧٨- سورة الأنبياء ، الآية : ٧٩
٧٩- سورة النساء ، الآية : ١٨

الخطبة الثامنة والعشرون
الرد على معاوية بن أبي سفيان وعصابته

اجتمع في مجلس معاوية بن أبي سفيان في دمشق الشام شرذمةٌ من المنافقين بزعامة معاوية ، وهم عمرو بن العاص ، والوليد بن عُقبة ، وعُتبة بن أبي سفيان ، والمُغيرة بن شعبة ، وقد غاب عنهم مروان بن الحكم ، ولا نعرف سبب غيابه لعل له عذرٌ ونحنُ نلوم ؟ وكان جدول اجتماعهم يتضمن سبُّ الامام علي بن أبي طالب وشتمه والنيل منه أمام وجوه أهل الشام ، وكان اجتماعهم هذا متزامنًا مع حضور الامام الحَسن (عليه السلام) في الشام ، فسمعهم يشتمون أمير المؤمنين ويسبونه ، وهم في فرحٍ بهيجٍ ، فردَّ عليهم كيدهم ، ليسوئهم أمام أهل الشام ، ويفضحهم ويفسد عليهم أفراحهم ، فارتقى المنبر ليرد عليهم فقال (١) :

بعد أنْ حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله الأمين وآل بيته الطاهرين فقال : (أما بعد يا معاوية : فما هؤلاء شتموني ، ولكنَّك شتمتني فُحشًا أَلِفْتَهُ ، وسوءِ رأيٍ عُرفتَ به ، وخُلقًا سيئًا شبتَ عليه ، عداوةً منك لمُحمّدٍ وأهله ، ولكنْ اسمع يا معاوية واسمعوا ، فلأقولن فيك وفيهم ما هو دون ما فيكم ، أنشدَكم الله أيها الرهطُ (٢) : أتعلمون أنَّ الذي شتمتمُوه (٣) منذ اليوم صلى القبلتين كلتيهما ، وأنتَ يا معاوية بهما كافرٌ تراها ضلالة ، وتعبدُ اللاتَ والعُزى ، وانشدكم الله هل تعلمون أنَّهُ بايع البيعتين كلتيهما ، بيعةِ الفتحِ وبيعةِ الرضوانِ (٤) ، وأنتَ يا معاوية بأحدِهما كافرٌ ، وبالأخرى ناكثٌ ، وأنشدكم الله هل تعلمون أنَّهُ أول الناسِ ايمانًا ، وأنَّك يا معاوية وأباك من المؤلفة قلوبهم ، تسرون الكفرَ ، وتظهرون الإسلام ، وتستمالون بالأموال ، وأنشدكم الله ألستم تعلمون أنَّهُ صاحبُ راية رسول الله صلى الله عليه وآله ، يوم بدر وأنَّ راية المشركين مع معاوية ومع أبيه ، ثم لقيكم يوم أحدٍ ويوم الأحزابِ ومعه راية رسول الله ، ومعك ومع أبيك رايةُ المشركين، وفي كل ذلك يفتحُ الله له ، ويفلجُ (٥) حجته ، وينصرُ دعوته ، ويصدقُ حديثه ، ورسول الله صلى الله عليه وآله ، في تلك المواطن كلِّها عنه راضٍ، وعليك وعلى أبيك ساخطٍ ، وأنشدك الله يا معاوية أتذكر يومًا جاءَ أبوكَ على

جملٍ أحمرٍ ، وأنت تسوقه ، وأخوكَ عُتبة هذا يقوده ، فرأكم رسول الله فقال(٦) : (اللهم العن الراكب والقائد والسائق) ، أتنسى يا معاوية الشعر الذي كتبته الى أبيك - لما هم أنْ يُسلم - تنهاهُ عن ذلك :

يا صخرُ لا تسلمنْ يوماً فتفضحنا بعد الذين ببدرٍ أصبحوا مزقـــــا (٧)
خالي وعمي وعمُّ الأم ثالثهـــــم وحنظلَ الخير قد أهدى لنا الأرقــا (٨)
لا تركننْ الى أمرٍ تكلفنـــــــــا والراقصاتُ به في مكة الخرقـــا (٩)
فالموتُ أهونُ من قولِ الغداة لقد حادَ ابنُ حربٍ عن العُزى إذا فرقا (١٠)

والله لما أخفيتَ من أمرك أكبر مما أبديت ، وأنشدكم الله أيها الرهطُ أتعلمون أنَّ عليًا حرم الشهوات على نفسه بين أصحابِ رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأنزل الله فيه (١١) : { يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيباتِ ما احلَّ لكم } ، وأنَّ رسول الله بعث أكابر أصحابه الى بني قُريظة ، فنزلوا من حصنِهم فهزموا ، فبعث عليًا بالراية فاستنزلهم على حكمِ الله وحكمِ رسوله، وفعل في خيبر مثلها .

يا معاوية : أظنك لا تعلم أنّي أعلمُ ما دعا به عليك رسول الله ؛ لما أراد أنْ يكتبَ كتاباً الى بني جُذيمة ؛ فبعث إليك [ابن عباس ؛ فوجدك تأكل ؛ ثم بعثه اليك مرة أخرى ؛ فوجدك تأكل ؛ فدعا عليك رسول الله بجوعك] ونهمك الى أنْ تموت .

وأنتم أيها الرهطُ : ألا تعلمون أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله ، لعنَ أبا سفيان في سبعة مواطن لا تستطيعون ردها ، أولُها يوم لقي رسول الله خارجًا من مكة الى الطائف يدعو ثقيفًا الى الدين ، فوقع به وسبَّهُ وسفههُ وشتمهُ وكذبهُ وتوَّعده ، وهمَ أنْ يبطش به ، فلعنه الله ورسوله ، وصرف عنه ، والثانية يوم العِير (١٢) إذ عرض لها رسول الله وهي جائية من الشام، فطردها أبو سفيان وساحل بها (١٣) ، فلم يظفر المسلمون بها ، ولعنه رسول الله ودعا عليه ، فكانت وقعة بدرٍ لأجلها ، والثالثة يوم أحدٍ ، حيثُ وقف تحتَ الجبلِ ، وسول الله صلى الله عليه وآله في أعلاه ، وهو ينادي ((أعلُ هُبل)) مرارًا ، فلعنه رسول الله عشرُ مراتِ ، ولعنه المسلمون ، والرابعة يوم جاءَ بالأحزابِ وغطفان واليهود ، فلعنه رسول الله وابتهل ، والخامسة يوم جاءَ أبو سفيان في قُريش ، فصدوا رسول الله عن المسجد والهديَ معكوفاً (١٤) أنْ يبلغ محله ذلك يوم الحديبية ، فلعن رسول الله أبا سفيان ،

ولعن القادةَ والأتباعَ ، وقال ملعونون كلُّهم ، وليس فيهم من يُؤمن ، فقيل يا رسول لله : أ فما يُرجى الإسلام لأحدٍ منهم فكيف باللعنة ؟ فقال : لا تصيب اللعنة أحداً من الأتباعِ ، وأما القادةَ فلا يُفلح منهم ، والسادسة يوم الجملِ الأحمر (١٥) ، والسابعة يوم وقفوا لرسول الله في العَقبة (١٦) ليستنفروا ناقته، وكانوا أثني عشر رجلاً منهم أبا سفيان ، فهذا معاوية .

وأما أنت يا ابنُ العاص ، فإنَّ أمرك مشتركٌ ، وضعتك أمكَ مجهولًا عن عهرٍ وسفاحٍ ، فتحاكم فيك أربعةٌ من قُريشٍ (١٧) ، فغلبَ عليكَ جزارُها(١٨) ألأمهم حسبًا ، وأخبثهم منصبًا ، ثم قام أبوك فقال : أنا شانئ مُحمّد الأبتر ، فأنزل الله فيه ما أنزل (١٩) ، وقاتلت رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع المشاهد وهجوته وآذيته ، وكدته كيدك كله ، وكنتَ من أشد الناس له تكذيبًا وعداوة ، ثم خرجت تريدُ النجاشي مع أصحاب السفينة، لتأتي بجعفرٍ وأصحابه الى أهل مكة (٢٠) ، فلما أخطأك ما رجوت ، ورجعكَ اللهُ خائبًا ، وأكذبك واشيًا جعلتَ حسدك على صاحبك عُمارة بن الوليد (٢١)، فوشيت به الى النجاشي حسدًا لما ارتكب من حليلته ، ففضحك الله وفضح صاحبك ، فأنت عدو بني هاشم في الجاهلية والإسلام ، ثم أنَّك تعلم وكل هؤلاء الرهط يعلمون ، أنك هجوتَ رسول الله بسبعين بيتًا ، فقال رسول الله: اللهم اني لا أقول الشعر ولا ينبغي لي (٢٢) ، اللهم العنهُ بكل حرفٍ ألفَ لعنةٍ ، فعليك إذن من الله ما لا يُحصى من اللعن ، وأما ما ذكرت من أمر عثمان ، فأنت من سعرتَ عليه الدُّنيا نارًا ، ثم لحقت بفلسطين ، فلما أتاك قتله قلت : ((أنا أبو عبدالله إذا نكأتْ القرحةُ (٢٣) أدميتها)) ، ثم حسبت نفسك الى معاوية ، وبعتَ دينك بدنياك ، فلسنا نلومك على بغضٍ ، ولا نعاتبك على ودٍّ ، وبالله ما نصرتَ عثمانَ حيًا ، ولا غضبت له مقتولًا ، ويحكَ يا ابن العاص ، ألستَ القائل في بني هاشم لما خرجت من مكة الى النجاشي :

تقولُ ابنتي : أينَ هذا الرحيلِ ... وما السيرُ مني بمستنكـــــــرِ
فقلتُ ذريني فأنّي امـــــرؤٌ ... أريدُ النجاشي في جعفـــــــرِ
لأكويهِ عندهُ كيَّـــــــــةً ... أقيمُ بها نخوةِ الأصعـــــــــرِ(٢٤)
وشأني مُحمّد من بينهـــــم ... وأقولُ فيهِ بالمنكـــــــــــرِ
وأجري الى عتبةَ جاهـــــداً ... ولو كانَ كالذهبِ الأحمـــــــرِ(٢٥)
ولا أنثني عن بني هاشـــمٍ ... وما اسطعتُ في الغيب والمحضرِ

فإنْ قبلَ العتبِ مني لـــــــهُ وإلا نويتُ له مشفـــــــــــري

فهذا جوابي لك فهل سمعته ؟

وأما انت يا وليد (٢٦) ؛ فوالله ما ألومك على بغضِ عليٍ ، وقد جلدكَ ثمانين جلدةً في الخمر (٢٧) ، وقتل أباكَ بين يدي رسول الله صبرًا (٢٨) ، وانتَ الذي سماهُ الفاسق ، وسما عليًا المؤمن ، حيث تفاخرتما ، فقلتَ لهُ : أسكتْ يا علي ، فأنا أشجعُ منك جنانًا ، وأطولُ منك لسانًا ، فقال لكَ أسكت يا وليد فأنا مؤمنٌ ، وأنت فاسقٌ ، فأنزل الله تعالى في الموافقة قوله (٢٩) : {أفمنْ كان مؤمنًا كمنْ كان فاسقًا لا يستوون } ، ثم أنزل فيك على الموافقة قوله (٣٠) : { إنْ جاءَكم فاسقٌ بنبأٍ فتبينوا } ، ويحك يا وليد مهمًا نسيت فلا تنسى قول الشاعر فيك وفيه (٣١) :

أنزل الله (والكتاب عزيز) في علي وفي الوليد قرآنا
فتبوا الوليد إذ ذاك فســـقاً وعلي إذ ذاك متبوأ ايمانا
ليس من كان مؤمناً –عمرك الله- كمن كان فاسقاً خوانـــا
سوف يدعى الوليد بعد قليل وعلي على الحساب عيانـا
فعلي يجزى بذلك جنانـــا ووليد يجزى بذاك هوانـــا
ربِّ جد لعقبة بن أبـــــان لابس في بلادنا تبـــــــانا (٣٢)

وما أنت وقُريشٍ ، إنَّما أنتَ عِلجٌ (٣٣) ، من أهل صَفُورية (٣٤) ، وأقسم بالله ، لأنتَ أكبرُ في الميلادِ ، وأسنُ ممنْ تُدعى إليه .

وأما أنت يا عُتبة ؛ فوالله ما أنت بحصيفٍ (٣٥) فأجيبك ، ولا عاقلٍ فأحاورك وأعاتبك ، وما عندك خيرٌ يُرجى ، ولا شرٌّ يُتقى ، وما عقلكَ وعقلُ أمتك إلا سواءٌ ، وما يضرُ عليًا لو سببته على رؤوسِ الأشهاد ؟ وأما وعيدكَ إيايَ بالقتل ، فهلا قتلتَ اللحياني (٣٦) إذ وجدته على فراشك ؟ أما تستحي من قولِ نصر بن الحجاج (٣٧) فيك :

يا للرجال وحادث الأزمانِ ولسبة تخزي أبا سفيان
نبئتُ عتبة خانه في عرسه جنسٌ لئيمُ الأصلِ لحيانِ (٣٨)

وبعد هذا ما أربأ بنفسي عن ذكرهِ لفحشهِ ، فكيفَ يخافُ أحدٌ سيفكَ ولم تقتلْ فاضِحّكّ ، وكيف ألومك على بُغضِ عليٍ ، وقد قتلَ خالكَ الوليد (٣٩) مبارزةً يومَ بدرٍ ، وشرك حمزة في قتل جدك عتبة (٤٠) ، وأوحدك من أخيك حنظلة (٤١) ، في مقامٍ واحدٍ .

وأما أنت يا مُغيرة (٤٢) فلم تكن بخليقٍ أنْ تقع في هذا وشبهه ، وإنّما مثلُكَ مِثلَ البعوضةِ إذ قالتْ للنخلةِ ((استمسكي فإني طائرةٌ عنك)) فقالت النخلةُ وهلْ علمتُ بك واقفةً عليَ ، فأعلمُ بك طائرةً عني ، والله ما نشُعر بعداوتك ايانا ، ولا اغتممنا إذ علمنا بها ، ولا يشقُ علينا كلامك ، وإنْ حدَّ الله في الزنا لثابتٌ عليك ، ولقد درأ عمرَ عنك حقًا لله سائلَهُ عنه ، ولقد سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، هل ينظر الرجل الى المرأة يريد أنْ يتزوجها ، فقال لا بأس بذلك يا مُغيرة ما لم ينوِ الزّنا لعلمه بأنَّك زانٍ ، وأما فخرُكم علينا بالإمارة ، فإنَّ الله تعالى يقول (٤٣) : {وإذا أردنا أنْ نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقَّ عليها القولَ فدمرناها تدميراً}.

تحليل الخطبة :

عمرُو بن العاص ، والوليدُ بن عقبة ، وعتبةُ بن أبي سفيان ، والمغيرةُ بن شعبة ، هم بطانة معاوية ، اجتمعوا في مجلسه بالشام وبحضوره ، فشتموا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ونالوا منه ، ومعاويةُ يسمع وهو فرحٌ مسرورٌ ، وكان في المجلس وجوهُ أهلِ الشام ورؤساء القبائل فضلًا عن تواجد الإمام الحَسن عليه السلام ، وقد ظنَّ معاوية أنَّ الحَسن (عليه السلام) لن يستطيع أنْ يرد على عمرو ابن العاص ، والمغيرة بن شعبة لأنَّهما من دهاةِ العرب ، ومن شياطينِ الإنسِ ، فنهض الحَسن من مكانه كالجبلِ الشامخ ـ وصعد أعواد المنبر ليرد على هذا النفر الضال من عصابة معاوية .

الرد على معاوية :

بدأً بمعاوية كبيرهم ، وزعيم عصابتهم ، الذي هيأ لهم الفرصة لشتم الإمام علي وسبَّهُ ، فالتفت إليه ، وقال له سأعرفك بقدر نفسك أنْ لم تكن تعرف قدرها ، أو نسيت ماضيك المخزي ، فقدم لنا الإمام الحَسن موازنةً رائعةً بين الإمام علي ومعاوية الطليق ، هي كما يأتي :

علي بن أبي طالب	معاوية بن أبي سفيان
- صلى القبلتين مع النبي	- كافرٌ يعبدُ اللاتَ والعزى
- بايع البيعتين : الفتحُ والرضوان	- كافرٌ بالأولى ، ناكثٌ بالثانية
- أولُ الناسِ ايمانًا	- منافقٌ يُسرُ الكفرَ ويُظهرُ الإسلام
- صاحبُ رايةَ رسول الله	- صاحبُ رايةَ المنافقين والمشركين
في كلِّ المواضعِ نصرَهُ الله	في كلِّ المواضعِ أخزاهُ الله
- رسولُ الله له محبٌّ	- رسول الله عليه ساخطٌ
- رسول الله عنهُ راضٍ	- رسولُ الله لعنهُ ولعنَ أباهُ
- علي حرمَ على نفســـــــــهِ الشهوات	- دعا عليه الرسول الله ألا يشبع لأنَّهُ نهم يحب الأكل
- انتصرَ على بني قريظة بعد أن هزموا كبار الصحابة	- لعن رسول الله أباك في سبعةِ مواطن
- فتح خيبر بعد أنْ انهزم كبار الصحابة	

الرد على عمرو بن العاص

ثم التفت الى شيطانهم عمرو بن العاص وداهيتهم ـ وقال له : تاريخك مخزٍ فأنت ابنٌ غير شرعي ، وُلِدْتَ من الزّنا سفاحًا ، لعاهرةٍ من صاحباتِ الراياتِ الحمراء ، تعاورَها أربعةُ رجالٍ في طهرٍ واحدٍ فعلقتْ بك ، والأربعةُ هم : أبو لهب بن عبد المطلب ، وأمية بن خلف السهمي ، وأبو جهل هشام بن المغيرة ، وأبو سفيان صخر بن حرب ، وكلِّ واحدٍ منهم ادعاك لنفسه ، ولكنَّ ديوثَ أمِّكَ وقوادها العاصُ بن وائل السهمي ، كان له الفراش ، فسبقهم اليكَ بتأييدٍ من أمّك ، ومَنْ يَدَعي أنَّهُ أبوك ، وأنت تُنسبُ إليه ، هو شانئُ رسول الله ومبغضهِ ، فيه نزل قوله تعالى في سورةِ الكوثر { إنا اعطيناكَ الكوثرَ ۞ فصلِّ لربكَ وانحرْ ۞ إنَّ شانئكَ هو الأبتر } ، ولا تنسى إنَّك سفيرُ قريشٍ الى النجاشي ، لتعيدَ مهاجري الحبشة الى مكة ، وكنت خائنًا لصديقك عُمارة ابن الوليد ، فوشيتَ به عند النجاشي فقتله ، وأنت عدو بني هاشم ، هجوتَ رسول الله بقصيدةٍ قوامها سبعين بيتًا ، فقال رسولُ الله : اللهمَ أنّي لا أقولُ الشعر ولا ينبغي لي قوله ، ولكنْ العنهُ بكلِّ حرفٍ قالهُ الفَ لعنةٍ ، فعليكَ من الله من اللعنِ ما لا يعدُ ولا يُحصى ، وأنت

من سعرتَ الدُّنيا على عثمان ، ثم سافرت الى فلسطين تألبُ أهلها وأهل مصر عليه ليقتلوه .

الرد على الوليد بن عُقبة

ماذا أقولُ فيك يا وليد ، قسمًا باللهِ العظيم ، أنَّي لا ألومكَ على شتمكَ أمير المؤمنين وسيّدِهِ ، لأنَّ الإمام علي قام بقتلِ أبيك عُقبة صبرًا بين يدي رسول الله بأمرٍ منه ، ذلك لأنَّ أباكَ كان من المستهزئين برسول الله ، وأما أنتَ فقد أقامَ عليك الحدَّ ، لشربك الخمرة والصلاة في المسلمين وأنت مخمور سكرانٌ ، فجلدك ثمانين جلدةً بأمرِ أخيك عثمان ، إذ كان الوليدُ وعثمانُ أخوينِ من أمٍّ واحدةٍ ، فضلًا عن كونك فاسقًا ، فقد سمى الله عليًا بالمومن ، وسماك بالفاسق ، حين تفاخرت على أبي ، فقلت : أسكتْ يا علي ، فأنا أشجع منك جنانًا ؛ وأطولُ منك لسانًا ، فرد عليك أبي قائلاً : أسكتْ يا وليد: فأنا مؤمنٌ ، وأنت فاسقٌ ، فنزل قوله تعالى : { أ فمنْ كان مؤمنًا ، كمنْ كان فاسقاً ، لا يستوون } ؛ ثم أكد الله سبحانه أنك فاسقٌ بقوله : { إنْ جاءَكم فاسقٌ بنبأ فتبينوا أنْ تصيبوا قومًا بجهالة } ، وأكيد أنك لا تنسى ما قاله فيك حسان بن ثابت :

أنزل الله - والكتاب عزيزٌ - في علي وفي الوليد قرآنا
فتبوأ الوليد إذ ذاك فسقا وعليٌ إذ ذاك متبوأً ايمانا

وختم كلامه الموجه للوليد فقال له : انتَ لست من العرب ولا من قريش فأنت عُلجٌ من كفارِ العجم ، جاءُوا بك عبدًا من صَفُورية من نواحي الأردن ، فقد قال طلحة والزبير للوليد بن عقبة (٤٤) : (ما أهل صفورا وقريش) ؛ فيما قال العباس بن عبدالمطلب (٤٥) : وأنت امرؤٌ من أهل صفور نازحٌ ، فما لك فينا من حميم تناسبُهْ ، وقد أنزل الرحمنُ أنَّكَ فاسقٌ ، فما لك في الإسلام سهمُ تطالبُهْ ، ثم بعد ذلك تبنتك بني أمية لتكون في عدادهم ، واقسمُ قسمًا جازمًا ، أنَّ الذي جعلوهُ أباك ، وتُدعى إليه ، أنت أكبرُ منه عمرًا ، فهل يصحُ أنْ يكون الأبنُ أسنُ من أبيه ، فهذا أنت.

الرد على عتبة بن أبي سفيان

عُتبة بن أبي سفيان ، هو الشقيق الأصغر لمعاوية ، كان شخصية ضعيفة طائشة ، ذو سلوكٍ سيءٍ ، منحرفُ الأخلاق والدين ، لا يُعرفُ له

رجاحةَ عقلِ ، ولا تصرفٍ سليمِ ، فقال له الإمام كيف أحاورُ سفيهًا لا عقل له ، وليس عندهُ خيرٌ يرتجى ، ولا شرٌّ يتقى ، فعقلك وعقلُ أمَتك بمستوى واحد ، لذا لا يضرُ أمير المؤمنين إنْ سببته على رؤوس الأشهاد ، فالجميع يعرفون من هو علي ، ومن هو عُتبة ، لذلك سقط العتابُ عنك ، ولكنّ سأرد عليك بواحدةٍ فقط ، وهي أنك تهددني وتوعدني بالقتل يا ابن أبي سفيان ، أما تستحي من قولك هذا ، فلو كنتَ رجلًا شريفًا ، لقتلتَ اللحياني الذي وجدته فوق امرأتك ، وعلى فراشك ؟ ولا ألومُ الشاعر الذي قال فيك :

يا للرجال وحادث الأزمانِ ولسبة تخزي أبا سـفيان
نبئتُ عتبة خانه في عرسه جنسٌ لئيمُ الأصلِ لحيانِ

الرد على المُغيرة بن شعبة

وأنت يا مُغيرة كان الأجدرُ بك أنْ لا تقع في مثل هذا الموقف وأمثاله ، لدهائك ومعرفتك بالأمور ، وحسن تصرفك ، ولكنَّك كنتَ هنا أخفُ من ريشةٍ في مهبِ ريحٍ ، لا وزنَ لك ولا قيمة ، وكنتَ مثل تلك البعوضة التي حطتْ على نخلةٍ ، ولما أرادت أنْ تطيرَ قالت للنخلة : تمسكي جيدًا سوف أطيرُ عنك ، فقالت لها النخلة : ما شعرت بك حينما حططتِ ، فكيف أشعرُ بك عندما تطيرين ، هذا التشبيه بين النخلة والبعوضة ، هو تشبيه بليغ ، أراد الإمام الحَسن (عليه السلام) بالنخلة الطويلة أبيه أمير المؤمنين صاحب الشأن العالي ، رفيع الدرجات والصفات ، والبعوضة هو المُغيرة بن شعبة ، وهو حقيرُ الصفات والمواصفات ، خسيسُ الأخلاق ، سيءُ الطباع ، وقال يا مُغيرة : أشتمتنا أم لم تشتمنا ، فإنَّنا لا نعيرُ لكَ اهتمامًا، لأنّك زانٍ وكان يجب أنْ يُقامَ عليك حدَّ الزّنا ، لأنَّهُ حدٌّ من حدودِ الله ، ومن كبائر الذنوب ، ولكنَّ عمر ابن الخطاب درأ عنك العقاب ، عندما عطل هذا الحدَّ من الحدود ، وأعلمْ أنَّكَ نجوتَ من عقاب الدُّنيا ، ولكنَّ الله سوف يحاسبك به ، أنت وصاحبك يوم القيامة ، ولا تنسى أنَّك سألتَ رسول الله ، هل ينظر الرجل الى المرأة التي يريدُ أنْ يتزوجها ؟ وكان رسول الله يعلمُ أنَّك لا تريد الزواج منها ، بل تريدُ الزّنا ، فقال لك : لا بأس في ذلك يا مُغيرة ما لم تنوِ الزّنا ، وأما فخرك عليَ بالأمارة ، فإنَّ الله سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم { وإذا أردنا أنْ نُهلك قريةً أمرنا مترفيها ، ففسقوا فيها

فحقَّ عليها القولَ فدمرناها تدميراً } ، والقرية المقصودة هي دولتكم ومترفيها هم أنتم سفهاؤها .

ونزل عن أعوادِ المنبر .

الهوامش :

١- تذكرة الخواص : ٢٦٠ ، الاحتجاج : ٢ / ٢٢

٢- الرهط : الجماعة الحاضرين

٣- شتمتموه : هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

٤- بيعة الفتح : هي بيعةُ فتح مكة ، وبيعةُ الرضوان : هي البيعة التي تمت في غزوة الحديبية ، فقد بايع المسلمون رسول الله ، وعاهدوه على الموت ، وعدم الفرار من العدو ، كان ذلك في السنة السادسة من الهجرة ، ينظر كتاب السيرة : ٢٦٩/٢

٥- يفلج : ينصر

٦- مجمع الزوائد : ١ / ١١٣

٧- مزقًا : أراد عتبة وشيبة والوليد الذين مزقتهم سيوف علي وحمزة وعبيدة.

٨- حنظل : مرخم حنظلة ؛ وهو أخو معاوية ، لما رأى مقتل عتبة وشيبة والوليد ؛ أخذته الحمية الجاهلية ، فهجم على الإمام علي يريد اغتياله ثأرًا لهم ، ولكنَّ الإمام علي كان يقظًا فقتله .

٩- الراقصات : الإبل التي تحمل الحجيج والمتجهة الى مكة

١٠- حادَ : تحولَ

١١- سورة المائدة ، الآية : ٨٧

- ما بين العضادتين إضافة من كتاب الإمام الحَسن بن علي عليه السلام للشيخ محمد آل ياسين : ١٦٩

١٢- يوم العِير : العِير القافلة التي تحمل التجارة ، وهي عِير قُريشٍ القادمة من الشام وهي تحمل تجارتهم .

١٣- ساحل بها : غير طريقه المعتاد واتجه بها الى طريق ساحل البحر الأحمر

١٤- الهَدْي : الذبائح التي تهدى للكعبة في الحج

١٥- الجمل الأحمر : هو الجمل الذي كان يركبه أبو سفيان ، لاحظ الهامش : ٦
١٦- العقبة : في غزوة العقبة أراد أبو سفيان ومعه اثني عشر صحابيًا اغتيال النبي ، وذلك من خلال استفزاز ناقته لترميه من أعلى الجبل الى الوادي ، وأبو سفيان واحد منهم وزعيمهم .
١٧- الأربعة : هم أبو لهب بن عبدالمطلب ، وأمية بن خلف الجُمحي ، وهشام بن المُغيرة المخزومي ، المشهور بأبي جهل ؛ وأبو سفيان صخر بن حرب الأموي .
١٨- جزارُها : قوّادُها وديوثُها العاص بن وائل السهمي .
١٩- إشارة الى سورة الكوثر { إنا أعطيناك الكوثر ۞ فصلِّ لربك وانحر ۞ إنَّ شانئك هو الأبتر } .
٢٠- جعفر : هو جعفر الطيار بن أبي طالب .
٢١- عُمارة بن الوليد : هو أخو خالد بن الوليد ، كان سفيراً لقُريشٍ الى النجاشي مع عمرو بن العاص ، فمكر به ابن العاص فقتله النجاشي .
٢٢- إشارة الى سورة ياسين ؛ الآية : ٧٠ : { وما علمناهُ الشعرَ وما ينبغي له } .
٢٣- نكأ القرحة : قشرها قبل أن تبرأ فتدمي من جديد .
٢٤- الأصعر : إمالة الخد من الكبر
٢٥- عُـتبة : هو عتبة بن غزوان أحد المهاجرين الى الحبشة مع جعفر الطيار .
٢٦- الوليد بن عُقبة : أخو عثمان بن عفان من أمه .
٢٧- كان الوليد واليا على الكوفة في خلافة عثمان ، وكان يقيم الصلاة وهو مخمور ، جلده الإمام علي ثمانين جلدة بأمر عثمان بن عفان.
٢٨- قتله علي بن ابي طالب بعد أنْ جيءَ به أسيرًا بأمرٍ من رسول الله ، لأنَّهُ كان من المستهزئين به ، وممن يؤذونه بقوارص الكلام .
٢٩- سورة السجدة ، الآية : ١٨
٣٠- سورة الحجرات ، الآية : ٦

٣١- القطعة للشاعر حسان بن ثابت ، أخلت بها رواية الديوان ، والتخريج من شعراء الغدير : ٥٦
٣٢- أبان : جد الوليد بن عقبة بن أبان .
٣٣- عِلجٌ : مفرد علوج ، وهم كُفار العجم .
٣٤- صَفُورية : بلدةٌ من نواحي الأردن ، معجم البلدان مادة صفورية .
٣٥- حصيف : حكيمٌ مكتملُ العقلِ
٣٦- اللحياني : نسبة الى حي اللحيان ، وهُم من قبيلة هُذيل .
٣٧- نصر بن الحجاج شاعر من أهل المدينة المنورة .
٣٨- عرسه : زوج الرجل
٣٩- الوليد : هو الوليد بن عتبة قتله الإمام علي في معركة بدر مبارزةً ، وهو خال معاوية
٤٠- عُتبة بن ربيعة : هو جد معاوية لأمه هند ؛ قتل يوم بدر ، قتله الحمزة .
٤١- حنظلة : أخو معاوية وعتبة ، قتله الإمام علي في معركة بدر ، بعد أنْ أراد اغتيال الإمام علي .
٤٢- المُغيرة : هو المُغيرة بن شعبة ، أحد دهاة العرب وشياطينهم .
٤٣- سورة الإسراء ، الآية : ١٧
٤٤- أخبار الجمل : ٨
٤٥- أخبار الجمل : ٦

الخطبة التاسعة والعشرون

وفادة الإمام الحسن عليه السلام الى معاوية

وفد الامام الحسن بن علي عليهما السلام الى معاوية بن أبي سفيان ، فقال عمرو بن العاص لمعاوية (١) : يا أمير المؤمنين إنَّ الحسن لفهٌ (٢) فلو حملته على المنبر فتكلم وسمع الناس كلامه عابوه وسقط في عيونهم ، ففعل، فصعد المنبر الإمام الحسن (عليه السلام) وتكلم وأحسن ، ثم قال : أيها الناس لو طلبتم ابناَ لنبيكم ما بين لابتيها (٣) ، لم تجدوه غيري وغير أخي ، وإنْ أدري لعله فتنةٌ ومتاع الى حين ، فساء ذلك عمرًا وأراد أن يقطع كلامه ؛ فقال له : أبا محمد : أتصف الرُطب ؟ فقال أجل ، تلحقه الشمال وتخرجه الجنوب ، وتنضجه الشمس ، ويصبغه القمر ، قال أبا محمد ، هل تنعت الخراءة ؟ قال : نعم تُبعد المشي في الأرض الصحصح (٤) حتى تتوارى من القوم ، ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها ولا تستنتج بالقمامة والرُّمة (٥) ولا تبل في الماء الراكد .

في كل وفادة للإمام الحسن (عليه السلام) الى معاوية يحاول معاوية وأذنابه النيل من الإمام الحسن وكسر شوكته امام جلسائهم ليقولوا لهم إنَّ لا يصلح لخلافة المسلمين فتنازل عنها وهذا منطقه فاسمعوه ، ولكنَّ الله في كل مرة يرد كيدهم الى نحورهم ويخرجوا من المجلس وقد خاب فألهم ومسعاهم ليخرج الإمام الحسن منتصرًا بعد أن يُذل كبريائهم امام جلسائهم ، ولا عجب بذلك فهو ابن محمد مصطفى وعلي المرتضى وفاطمة الزهراء ، وكان أشد القوم كَلبا على الحسن هو الدعي عمرو بن العاص الذي ما انفك يدبر الحيل الخسيسة التي تنقلب عليه وبالًا في نهاية الأمر ، ففي احدى الوفادات أراد عمرو أنْ يقول لجلسائه من أهل الشام أنَّ الحسن عيي يستعصي عليه الكلام فيحصر ولا يستطيع النطق ، ليسقط في نظرهم ، ولكنه فات ابن العاص أنَّ الحسن هو قرآن الله الناطق ليس له كفؤ في المنطق والخطاب غير أخيه الإمام الحسين (عليهما السلام) ، فجرت هذه المحاورة التي خرج منها ابن العاص مذمومًا مدحورًا ، بوجه أسود ، فعندما كان الامام الحسن يتكلم كأنَّ

الناس كانوا يستمعون لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) أو لأمير المؤمنين (عليه السلام).

الهوامش :

١- العقد الفريد : ٤ /١٩ – ٢٠
٢- لفه : الكليل اللسان العي في منطقه
٣- اللابتان : الحرتان
٤- الصحصح : الأرض المستوية وهن يكتنفان المدينة
٥- الرُّمة : العظم البالي

الخطبة الثلاثون
خطبها بطلب من أبيه أمير المؤمنين

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لأبنه الإمام الحسن (عليهما السلام) قم فاخطب لأسمع كلامك ، فقام فقال (١) : الحمدُ لله الذي من تكلم سمع كلامه ، ومن سكت علم ما في نفسه ، ومن عاش فعليه رزقه ، ومن مات فإليه معاده ، أما بعد فإنَّ القبور محلتنا ، والقيامة موعدنا ، والله عارضنا، إنَّ عليًا بابٌ من دخله كان مؤمنًا ، ومن خرج عنه كان كافرًا .

فقام إليه عليٌ (عليه السلام) فالتزمه ، فقال : بأبي وأمي (٢) { ذريةٌ بعضها من بعض والله سميع عليم } .

الخطبة تتميز بالإبانة والوضوح وهي تشرح نفسها بنفسها .

الهوامش :

١- كشف الغمة : ١٧١ وقريب من هذه الخطبة ، الخطبة التاسعة من هذا الكتاب .

٢- سورة آل عمران الآية : ٢٤

الخطبة الحادية والثلاثون

خطبة يصف بها أباه أمير المؤمنين

روى الكُليني في الكافي قائلًا أنَّ الامام الحسن بن علي (صلوات الله عليه) خطب الناس فقال (١) : (أيُّها الناس أنا أخبركم عن أخ لي من أعظم الناس في عيني وكان رأس ما عظم به في عيني صغر الدُّنيا في عينيه ، كان خارجًا من سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر إذا وجد ، كان خارجا من سلطان فرجه فلا يستخف عقله ولا رأيه ، كان خارجًا من سلطان الجهالة فلا يمد يده إلا على ثقة لمنفعة ، كان لا يشتهي ولا يتسخط ولا يتبرم ، كان أكثر دهره صمّاتًا ، فإذا قال بذَّ القائلين ، كان لا يدخل في مراء ولا يشارك في دعوى ولا يدلي بحجة حتى يرى قاضيًا ، وكان لا يغفل عن اخوانه ولا يخصُّ نفسه بشيء دونهم ، كان ضعيفًا مستضعفًا فإذا جاء الجد كان ليثًا عاديًا ، كان لا يلوم أحدًا فيما يقع العذر في مثله حتى يرى اعتذارًا ، كان يفعل ما يقول ويفعل ما لا يقول ، كان إذا ابتزه أمران لا يدري أيُّهما أفضل، نظر الى اقربهما الى الهوى ، فخالفه ، طان لا يشكو وجعًا إلا عند يرجو عنده البرء ولا يستشير إلا من يرجو عنده النصيحة ، كان لا يتبرم ولا يتسخط ولا يشتكي ولا ينتقم ولا يغفل عن عدو ، فعليكم بمثل هذه الأخلاق الكريمة إنْ اطقتموها ، فإنَّ لم تطيقوها كلها ، فأخذ القليل خير من ترك الكثير، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

كما روى هذه الخطبة الشريف الرضي في نهج البلاغة برواية أقصر مع اختلاف في بعض العبارات والألفاظ (٢) .

نلحظ أنَّ ثمانية مصادر قديمة عزتها للإمام الحسن (عليه السلام) ، فيما عزاها للإمام علي بن أبي طالب مصدران ، والراي للأغلبية وأنا أرجحه.

علق الكليني الراوية الأول لهذه الخطبة قائلًا (٣) : هذا لو لم يكن المراد من الموصوف أحد الأنبياء أو الأوصياء صلوات الله عليهم أجمعين ،

فليس الأمر من قبيل التكليف بما لا يطاق بل لابدَّ من شدة السعي في المجاهدة، ولا بأس بشدة التكاليف فإنَّها من باب أرباب التربية ، أما ابن ابي الحديد في شرحه لنهج البلاغة قال قوم : المقصود بالأخ هنا أبو ذر الغفاري، فرد قوم آخرون : بأنَّ أبا ذر لم يكن من الموصوفين بالشجاعة والمعروفين بالبسالة ، وقال قوم أخرون : المقصود هو المقداد بن عمرو المعروف بالمقداد بن الأسود ، وكان من أنصار الإمام علي (عليه السلام) وكان شجاعًا مجاهدًا حسن الطريقة ، وقال آخرون : ليس بالإشارة الى أخ معين وهو جار على عادة العرب في الشعر ، قلت لصاحبي ، ويا صاحبي .

وقال العلامة المجلسي (٤) : إنَّ الإمام المجتبى يصف بهذا الخطاب الإمام علي (عليه السلام) ، وأنا أتفق معه .

وقال الباحث حسن جوادي في بحث ألقاه في مؤتمر الإمام الحسن المجتبى التاسع (٥) : (يؤسس الإمام الحسن المجتبى في خطابه الرائع هذا الى منظومة أخلاق سامية ترتقي بالسامعين الى مراقي الكمال ، وتحفيزهم للاستغاثة بالهدى ، والاستعانة بالهدى لبلوغ المرتبة الإنسانية التكاملية التي من أجلها خلق الإنسان) .

الهوامش :

١- الكافي : ٢ / ٢٣٧ ، تحفة العقول عن آل الرسول : ٢٤٥ وهناك مصاد ر اخرى عزتها للإمام الحسن عليه منها : عيون الأخبار لابن قتيبة : ٢ / ٣٨٣ ، تاريخ بغداد : ١٢ / ٣١١ ، ربيع الأبرار للزمخشري : ٢ / ١٥٧ ، تاريخ دمشق : ١٣ / ٢٥٤ ، البداية والنهاية لابن كثير : ٨ / ٤٣ ، المختار من كتاب الأخيار لابن الأثير : ٢ / ١١٤ .

٢- شرح نهج البلاغة : ١٩/ ١٨٤ ، التذكرة الحمدونية : ١ / ٣٩٧

٣- رسالة في حجية الظن : ٤٢٠

٤- شرح أصول الكافي : ٩ / ١٧٠

٥- بحث ألقاه الباحث حسن جوادي في مؤتمر الإمام الحسن المجتبى التاسع الذي نظمته العتبة العباسية المقدسة .

خاتمة الكتاب

الخاتمةُ كلمةٌ روتينيةٌ اعتادَ مؤلفُو الكتب كتابتها في نهايةِ كل كتاب يدونون فيها أبرز ما توصلوا إليه من نتائجٍ في بحوثهم وكتبهم ، إلا أنّي في هذه الخاتمة القصيرة والمختصرة ، أقولُ : أنّي وجدت خطب الإمام الحَسن المجتبى عليه السلام تمثل امتدادًا طبيعيًا لخطب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، لذلك تعد خطب الإمام الحسن (عليه السلام) نهجُ بلاغةٍ ثانٍ؛ فضلًا عن أفكارها المستنبطة والمستحضرة من كتاب الله القرآن الكريم ، ومعظم خطب الإمام الحسن (عليه السلام) تميزت بالقصر والإيجاز ، وفخامة الألفاظ وكثرة المعاني ، كما تميزت بالجرأة والشجاعة لا سيما التي خطبها في دمشق في محضر سلطان جائر ولا عجبَ في ذلك فالإمام الحَسن هو قرآنُ الله الناطق ، وهنا استحضر قوله تعالى في سورة آل عمران : {إنَّ اللهَ اصطفى آدم ونوحًا ، وآل إبراهيم ، وآل عمران على العالمين ، ذريةً بعضُها من بعضٍ } ، فالإمام علي بن أبن أبي طالب من المصطفين الأبرار، وكذلك الحال بالنسبة للإمام الحسن المجتبى هو الآخر من المصطفين الأبرار، فهو مُصطفىً ابن مُصطفىً ، وبما أنَّ الحَسن هو ابن علي ، لذلك فهُما ذريةٌ بعضها من بعض .

نص معاهدة الصلح بين الإمام الحَسن ومعاوية بن أبي سفيان

شروط الصُلح ، كُتِبَتْ هذه المعاهدة في النصف من جمادى الأولى من السنةِ الهجريةِ الواحدةِ بعدَ الأربعين .

- الشرط الأول : تسليمُ الأمرُ الى معاوية على أنْ يعمل بكتابِ الله ، وبسنةِ رسوله (١) ، وبسيرة الخلفاء الصالحين (٢) .
- الشرط الثاني : أنْ يكون الأمرُ للحَسنِ من بعده (٣) ، فإنْ حدث للحَسنِ به حدثٌ فلأخيه الحُسين (٤) ، وليس لمعاوية أنْ يعهد به الى أحدٍ (٥) .
- الشرط الثالث : أنْ يترك معاوية سبَّ أمير المؤمنين ؛ والقنوت عليه في الصلاة (٦) ، وأنْ لا يذكر عليًا إلا بخيرٍ (٧) .
- الشرط الرابع : استثناء ما في بيت مال الكوفة ، وهو خمسة آلاف فلا يشمله تسليم الأمر ، وعلى معاوية أنْ يحمل للحُسين كل عامٍ ألفي ألفَ درهمٍ ، وأنْ يُفضلَ بني هاشمٍ في العطاءِ والصلاتِ على بني عبد شمس، وأنْ يفرق في أولادِ من قُتل مع أمير المؤمنين يوم الجمل ، وأولاد من قُتل معه في بصفَين ألفَ ألفَ درهمٍ ، وأنْ يجعل ذلك من خراج دار أبجرد (٨) .
- الشرط الخامس : على أنَّ الناس آمنون حيث كانوا من أرضِ الله ، في شامهم وفي عراقهم ، وحجازهم ويمنهم ، وأنْ يؤمن الأسود والأحمر ، وأنْ يحتمل معاوية ما يكون من هفواتهم ، وأن لا يتبعَ أحداً بما مضى ، وأنْ لا يأخذ أهل العراق بأحنةٍ (٩) ، وعلى أمانِ أصحابَ عليٍ حيث كانوا ، وأنْ لا ينالَ أحداً من شيعةِ علي بمكروهٍ ، وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم ، وأنْ لا يتعقبَ عليهم شيئًا ، ولا يتعرض لأحدٍ منهم بسوء ، ويوصل لكل ذي حقٍّ حقه ، وعلى ما أصاب أصحابَ عليٍ حيث كانوا (١٠) ، وعلى أنْ لا ينبغي للحَسن بن علي ؛ ولا لأخيه الحُسين (عليهما السلام) ، ولا لأحدٍ من بيتِ رسول الله ، غائلةً سراً ولا جهراً ، ولا يخيفَ أحداً منهم في أفقٍ من الآفاقِ .

شروط معاهدة الصُلح كُتبتْ بخط معاوية ، وختمها بختمه ، وبذل عليها العهود المركبة والأيمان المغلظة ، وأشهد على ذلك جميع رؤساء أهل الشام (١١) .

وكان معاوية قد أرسل الى الحَسن صحيفةً بيضاءَ مختومًا على أسفلها بختمه ، وكتب اليه أنْ اشترطْ في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت ، فهو لك (١٢) .

الهوامش :

١- شرح نهج البلاغة : ٤ / ٨

٢- فتح الباري - شرح صحيح البخاري : ١٥٦ ، البحار : ١٠ / ١١٥

٣- الإصابة : ٢ / ١٢ – ١٣ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي : ١٩٤

٤- عمدة الطالب : ٥٢

٥- شرح نهج البلاغة : ٤ / ٨ ، البحار : ١٠ / ١١٥

٦- أعيان الشيعة : ٤ / ٤٣

٧- مقاتل الطالبيين : ٢٦

٨- الإمامة والسياسة : ٢٠٠ ، تاريخ الطبري : ٦ / ٩٢ ؛ أبجرد : ولاية تقع على حدود الأهواز ، وهي الولاية بالفارسية القديمة ؛ وبالروسية الحديثة .

٩- مقاتل الطالبيين : ٢٦ ، البحار : ١٠ / ١٠١ ، شرح نهج البلاغة : ١٥/٤ ؛ أحنة : هي مفرد إحن وهي الأحقاد .

١٠- تاريخ الطبري : ٦ / ٩٧ ، الكامل في التاريخ : ٣ / ١٦٦

١١- الأخبار الطوال لابن قتيبة الدينوري : ٢١٨

١٢- تاريخ الطبري : ٦ / ٩٣ ، الكامل في التاريخ : ٣/ ١٦٢

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريــم .
- الاحتجاج – للطبرسي ، تحقيق ابراهيم البهادري ، محمد هادي بك ، بإشراف جعفر السبحاني ، منشورات دار الأسوة للطباعة والنشر ، ط ٥ ، قم - ايران ، ١٤٢٤هـ ق .
- أخبار الجمل – لأبي مخنف لوط بن يحيى الغامدي الأزدي (ت١٥٦هـ) تحقيق الشيخ قيس بهجت العطار ؛ ط ١ ، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٧م ، مجمع الامام الحسين عليه السلام العلمي لتحقيق تراث اهل البيت عليهم السلام ، كربلاء المقدسة .
- الارشاد – للشيخ المفيد ، ط٢ ، ١٩٩٣م ، بيروت .
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد ابن عبدالبر ، تحقيق علي محمد البجاوي ، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، القاهرة ، مصر ، (د.ت) .
- أعلام الورى بأعلام الهدى – للطبرسي ، ١٩٧٩م ، بيروت .
- الأمالي – للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣١٨هـ) ، كتبه الوزير الصاحب بن عباد ، تصحيح وتعليق وتقديم الشيخ حسين الأعلمي ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- الأمالي – لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ) ، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة ، نشر دار الثقافة ، ط ١ ، قم ، ١٤١٤هـ .
- الإمام الحسن في مواجهة الانشقاق الأموي (ع) – السيد سامي البدري ، دار الفقه للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م ، قم - ايران .
- الإمامة والسياسة – لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، ط٣ ، ٢٠٠٩م ، لبنان .
- امتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع – لأبي العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر الحسيني العبيدي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- أنساب الأشراف – للبلاذري ، تحقيق المحمودي ، بيروت ، (د.ت) .

- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار – للشيخ محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ) مؤسسة الوفاء في بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، بيروت .
- البداية والنهاية – لابن كثير أبي الفداء الحافظ الدمشقي (ت٧٧٤هـ) ، ط١ ، مكتبة المعارف ببيروت ، ومكتبة النصر بالرياض ، ١٩٦٦م .
- البيان والتبيين ـ للجاحظ ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩م ، مصر .
- تاج العروس من جواهر القاموس ـ للمرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ) ط١، ١٣٠٦هـ ، مصر .
- تاريخ الرسل والملوك – للطبري – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٤ ، دار المعارف ، مصر .
- تخريج أحاديث إحياء علوم الدين – للعراقي وابن السبكي والزبيدي – أبو عبدالله محمود بن محمد الحداد ، دار العاصمة ، ٢٠٠٨م .
- تفسير الرازي ، المشتهر بالتفسير الكبير ، ومفاتيح الغيب – للإمام الجهبذ الرازي ، طبعة دار الفكر . (نت) .
- جامع أحاديث الشيعة – حسين البوجردي ، نشره الشيخ إسماعيل المعزي الملا يزي ، المطبعة العلمية ، ١٤٢٢هـ .
- الجمل وصفّين والنهروان – أبو مخنف الأزدي الكوفي (ت١٥٧هـ) ، جمع وتحقيق حسن حميد السنيد ، دار الإسلام ، دون ذكر مكان الطبع وتاريخه .
- جمهرة خطب العرب في عصور العرب الزاهرة – أحمد زكي صفوت ، المكتبة العلمية ، بيروت - لبنان ، (د.ت) .
- جواهر الكلام في معرفة الإمامة والإمام – للسيد علي الحسيني الميلاني ، مركز الحقائق الإسلامية ، قم – ايران ؛ ١٣٩٢ ش .
- حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار – هاشم البحراني ، تحقيق اشيخ غلام رضا مولانا البروجردي ، ط ١ ، ١٤١١هـ .
- الخرائج والجرائح – للراوندي (ت٥٧٣هـ) ، مؤسسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف ، ١٤٠٩ هـ ، قم - إيران .

- الخصال – للشيخ الصدوق (٣٨١هـ) ، تصحيح وتعليق علي أكبر غفاري ، ١٤٠٣هـ .
- خطب الإمام الحَسن دراسة لغوية – د. مهدي صالح سلطان ، ط ١ ، الناشر مركز الإمام الحسن (ع) للدراسات التخصصية ، العراق - النجف الأشرف ، ٢٠٢٠م .
- الخير والبركة في الكتاب والسنة – للشيخ محمد الريشهري ، تحقيق وترجمة محمد التقديري ، ط ١ ، ٢٠٠٢م .
- دائرة المعارف الإسلامية ـ لجنة الترجمة ، القاهرة ، ١٩٣٣م .
- ديوان أبي تمام – شرح وتعليق د. شاهين عطية ، راجعه الأب العلامى بولس الموصلي ، مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني اللعازارية ، ط١ ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م ، بيروت .
- ديوان أبي طالب – صنعة علي بن حمزة البصري – تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ، بغداد.
- ديوان الإمام علي – جمع وترتيب عبدالعزيز الكرم ، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥م ، بغداد .
- ديوان الشافعي – تحقيق الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م الازهر ، القاهرة .
- ديوان طرفة بن العبد – شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ، بيروت - لبنان .
- ذخائر العُقبى في مناقب ذوي القُربى – محب الدين أبي العباس أحمد ابن عبدالله ن محمد الطبري المكي ، حققه وعلق عليه أكرم البوشي ، وقرأه وقدم له محمود الأرناؤوط ، ط١ ، ١٤١٥هـ .
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية – لابن هشام عبدالرحمن السهيلي (٥٨١هـ) ، تحقيق وشرح عبدالرحمن الوكيل ، مصر .
- زاد المعاد في هدي خير العباد – لابن قيم الجوزية ، حقق نصوصه وأخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط و عبدالقادر الأرنؤوط ، دار عالم الفوائد ، بيروت .

- سنن أبي داود – الامام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي (ت٢٧٥هـ) ، حققه وضبط نصه وشرح أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرناؤوط ، محمد كامل قره بللي ، الرسالة العالمية ، (نت) .
- سنن ابن ماجة – الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني ، ضبط نصها أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، (نت) .
- سنن الترمذي – تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان ، ط٢ ، ١٩٨٣م ، بيروت .
- سيرة الأئمة الإثني عشر ، الحياة الأخلاقية والاجتماعية والسياسية والعلمية لأئمة أهل البيت (ع) ، مهدي البشوالي ، دار الكتاب العربي ، ط ١ ، بيروت لبنان .
- السيرة النبوية - علي بن برهان الدين الحلبي ، ١٣٥١ هـ ، القاهرة .
- شرح نهج البلاغة ـ لابن أبي الحديد ، دار الرشاد الحديثة ، (د.ت) .
- شواهد التنزيل – للحسكاني ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت .
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا - لأبي العباس القلقشندي (ت٨٢١هـ) ، القاهرة .
- صحيح مسلم – دار صادر ، بيروت ، (د . ت) .
- الطبقات الكبرى – محمد بن سعد البصري ، دار صادر ، بيروت .
- العُمدة في محاسن الأدب ونقده ـ ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، ط٤ ، ١٩٧٢م ، الأردن .
- عمرو بن الاطنابة الخزرجي : حياته وما بقي من شعره ، منشور في مجلة المورد المجلد ١٤ ، العدد الثاني ، لسنة ١٩٨٥م .
- عيون أخبار الرضا – للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣١٨هـ) ، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة ، ١٤١٧هـ .
- غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب – محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي ، تحقيق محمد عبدالعزيز ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٩٩٦م ، بيروت .
- الفائق في غريب الحديث – للزمخشري ، ١٩٩٦م .

- الفتوح – لأبي محمد بن أحمد بن أعثم الكوفي (ت٣١٤هـ) ، تحقيق علي شيري ، دار الأضواء للطباعة والنشر ، ط١ ، ١٩٩١م ، بيروت - لبنان .
- الكامل في التاريخ - ابن الأثير (ت٦٣٠هـ) ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م ، دار صادر ، بيروت.
- كتاب الصناعتين - أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري (ت٣٩٥هـ) ، تحقيق علي محمد البجاوي ، وحمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، (د . ت) .
- كشف الغُمة في معرفة الأئمة - لأبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي (ت ٦٩٣هـ) ، مكتبة بني هاشم ، ١٣٨١هـ ، تبريز .
- كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب – محمد بن يوسف بن محمد الشافعي (ت٦٥٨هـ) ، تحقيق وتصحيح وتعليق الشيخ محمد هادي الأميني ، ط ٣ ، ١٤٠٤هـ ، طهران .
- كنز العُمال في سنن الأقوال والأفعال – علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي ، اعتنى به اسحق الخيمي ، (نت) .
- لسان العرب – ابن منظور الأنصاري (ت٧١١هـ) ، القاهرة ، د.ت .
- مجمع البيان في تفسير القرآن الكريم - للطبرسي (توفي في القرن ٦هـ) ، وضع حواشيه وشرح آياته وشواهده إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، بيروت.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – للحافظ أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي المصري (ت٨٠٧هـ) ، تحقيق حسام الدين القدسي ، مكتبة القدسي ٢٠١٥م ، القاهرة .
- مختصر تاريخ دمشق – لابن منظور ؛ تحقيق احمد راتب ومحمد ناجي العمر ، ١٩٨٥م ، دمشق .
- المحاسن والأضداد – للجاحظ (٢٥٥هـ) ، حققه وقام عليه المحامي نبيل عطوي ، الشركة اللبنانية للكتاب للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٦٩ م ، بيروت - لبنان .
- المستدرك على الصحيحين – للحاكم النيسابوري ، بيروت ، (د.ت) .
- مسند الإمام أحمد – بيروت ، د . ت .

- مصباح المُجتهد وسلاح المُتعبد – للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، صححه وأشرف على طباعته فضيلة الشيخ حسين الأعلمي ، موسوعة فقه الشيعة ، بيروت - لبنان .
- معالي السبطين في أحوال الحَسن والحُسين – للشيخ محمد مهدي الحائري ، المازندراني قدس سره ، مؤسسة البلاغ ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م ، بيروت - لبنان .
- معجم البلدان – ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) ، قدم له محمد عبدالرحمن المرعشلي ، دار احياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت .
- معجم ديوان أشعار النساء في صدر الإسلام – د.ليلى محمد ناظم الحيالي ، مكتبة لبنان ناشرون ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩م ، بيروت - لبنان.
- مفاتيح الجنان – للشيخ عباس القمي ، دار المتقين ، بيروت، (د.ت) .
- مقاتل الطالبيين – لأبي الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ) ، تحقيق أحمد صقر ، ط١ ، ايران ، ١٤٢٠هـ .
- مناقب آل مُحمّد المسمى بالنعيم المقيم لعترة النبأ العظيم – لشيخ الشافعية العارف شرف الدين أبي محمد بن شجاع الدين محمد بن عبدالواحد الموصلي (ت٦٥٧هـ) ، تحقيق العلامة السيد علي عاشور ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ط ١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ن ، بيروت - لبنان .
- موسوعة عبدالله بن عباس – لمحمد مهدي الخرسان ، ١٤٣٣هـ ، قم .
- المناقب – للحافظ الموفق بن أحمد بن محمد البكري الحنفي ، المعروف بخطيب خوارزم (ت٥٦٨هـ) ، مكتبة نينوى الحديثة ، طهران (د.ت).
- مناقب آل أبي طالب – لأبي جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب ، (ت٥٨٨هـ) ، طبع مؤسسة انتشارات العامة بالمطبعة العلمية بقم ، ١٣٧٩هـ .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – لعلي بن أبي بكر الهيثمي نور الدين ، تحقيق حسين سليم أسد الداراني ، دار المأمون للتراث ، ٢٠٠٩م .
- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة – للخوئي ، تحقيق إبراهيم الميانجي ، ط٤ ، ١٣٦٠هـ ش .
- ميزان الحكمة – تأليف محمد الريشهدي ، دار الحديث ، قم ، (د.ت) .

- وقعة صفّين - نصر بن مزاحم المنقري ، تحقيق عبدالسلام هارون ، ط٢ ، ١٣٨٢هـ ، القاهرة.
- ينابيع المودة لذوي القُربى – للقندوزي ، تحقيق سيد علي جمال الحسيني (ت١٢٩٤هـ) ، ١٤١٦هـ ش
- الهداية الكبرى – الحسين بن حمدان الخصيبي (ت ٣٣٤هـ) ، الناشر البلاغ ، ١٤١٩هـ .

فهرست المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
الآية الكريمة	٣
الإهداء	٤
مقدمة الكتاب	٥
الإمام الحَسن المُجتبى (ع) خطيباً مُفوَهًا	٩
نبذة مختصرة وموجزة عن سيرة الإمام الحَسن المجتبى (ع)	١٤
من أخبار علمه اللدني	١٩
أزواجه وأولاده وبناته	٢٠
شهادته عليه السلام	٢٣
القسم الأول : أقوال الإمام الحسن عليه السلام	٢٩
القسم الثاني : المناظرات	٧٣
أولاً : مع عمرو بن العاص ، ومروان بن الحكم ، وزياد بن أبيه	٧٥
ثانيًا : مع عبدالله بن الزبير	٨٠
ثالثًا : مع معاوية بن أبي سفيان (١)	٨٥
رابعًا : مع معاوية بن أبي سفيان (٢)	٨٧
خامسًا : مع مروان بن الحكم (١)	٨٩
سادسًا : مع عمرو ب العاص في الطواف (١)	٩٤
سابعًا : مع عمرو بن العاص (٢)	٩٧
ثامنًا : مع مروان بن الحكم (٢)	١٠١
القسم الثالث : الخطب	١٠٥

الخطبة الأولى : استنفار الناس لوقعة الجمل (١) ١٠٧
الخطبة الثانية : استنفار الناس لوقعة الجمل (٢) ١١١
الخطبة الثالثة : تهيئة الناس استعدادًا لموقعة الجمل ١١٥
أبو موسى يخذل الناس عن نصرة الامام علي ١١٧
الخطبة الرابعة : التهيؤ لحرب الجمل ١٢١
الخطبة الخامسة : الرد على عبدالله بن الزبير ١٢٥
الخطبة السادسة : التحضير لموقعة صفّين ١٢٩
الخطبة السابعة : الاستنفار لموقعة صفّين ١٣٤
الخطبة الثامنة : بعد قضية التحكيم في صفّين ١٣٩
الخطبة التاسعة : خطبها بطلب من الإمام علي بن أبي طالب ١٤٣
الخطبة العاشرة : خطبها بطلب من أبيه ١٤٧
الخطبة الحادية : نعي الإمام علي عليه السلام ١٥١
الخطبة الثانية عشرة : مقطع من خطبة بعد شهادة أمير المؤمنين ١٦٨
الخطبة الثالثة عشرة : عند وفاة أمير المؤمنين علي عليه السلام ١٧١
الخطبة الرابعة عشرة : بعد شهادة أبيه أمير المؤمنين ١٧٤
الخطبة الخامسة عشرة : خطبة البيعة واستحقاق الولاية ١٧٧
الخطبة السادسة عشرة : بعد أنْ بايعه المسلمون خليفة خلفاً لأبيه ١٨٥
الخطبة السابعة عشرة : خطبها في أيام خلافته ١٨٧
الخطبة الثامنة عشرة : مقطع من إحدى خطب الجمعة ١٩١
الخطبة التاسعة عشرة : بعد تحرك معاوية لحرب الحَسن ١٩٤
الخطبة العشرون : بعد اليأس من مواصلة الحرب ١٩٩

الخطبة الحادية والعشرون : في الصلح مع معاوية بن أبي سفيان (١) ٢٠٣
الخطبة الثنية والعشرون : الصلح مع معاوية بن أبي سفيان (٢) ٢٠٦
الخطبة الثالثة والعشرون : بعد توقيع معاهدة الصلح ٢٠٨
الخطبة الرابعة والعشرون : بعد توقيع معاهدة الصلح مع معاوية ٢١٢
الخطبة الخامسة والعشرين : بعد الصلح والعودة الى ساباط المدائن ٢١٦
الخطبة السادسة والعشرون : بعد أن طعنوه ونهبوا رحاله ٢١٨
الخطبة السابعة والعشرون : الرد على معاوية بعد أنْ استفزه ٢٢٠
الخطبة الثامنة والعشرون : الرد على معاوية بن أبي سفيان وعصابته ٢٤٠
الخطبة التاسعة والعشرين : وفادة الإمام الحسن الى معاوية ٢٥١
الخطبة الثلاثون : خطبها بطلب من أبيه . ٢٥٣
الخطبة الحادية والثلاثون : خطبها يصف بها أباه أمير المؤمنين ٢٥٤
خاتمة الكتاب ٢٥٦
نص معاهدة الصلح بين الإمام الحَسن ومعاوية ٢٥٧
المصادر والمراجع ٢٥٩
فهرست المحتويات ٢٦٦